2

تاريخ العرب

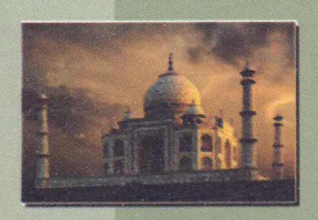


الوجود العربى فى الهند
فى العصور الوسطى



د. محمد نصر عبد الرحمن

هذا الكتاب



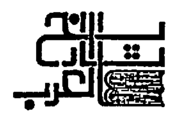
يرسم فضاءً جديدًا للوجود الإسلامي في الهند في العصور الوسطى، فقد شغلت الهند مكانة متميزة على خارطة الدولة الإسلامية على اعتبار أنها كانت بداية المجال الحيوى السياسي والاقتصادى لتلك الدولة، فعلاقتها بالدولة الإسلامية تمثل تجسيدًا حيًا للتطور السياسي والحضارى للنظم الإسلامية المركزية، وانعكاساتها على النظم الأخرى في ولاياتها، وإذا كان العرب المسلمون قد ذهبوا إلى الهند في إطار من العلاقات التجارية، فإنهم كانوا حاملين بين جنباتهم حميد صفات المسلم الحق؛ كنموذج وقدوة للسلوك الإنساني القويم، وإن ذلك أدى إلى انتشار دين الله الحنيف ومهد لوجودهم هناك، بيد أن العلاقات عبر الزمان والمكان لا يُمكن أن تمضي في نسق واحد، أو تستقر على وتيرة واحدة، تبعا لتنوع مجالاتها بين ما هو سياسي أو اقتصادى أو ثقافي أو اجتماعي، وما إلى ذلك من مواقف ومصالح متباينة، مما احتوته دفتى هذا الكتاب.




ISBN# 9789774486283
6 221149 032545

السعر ١٥ جنيهاً

الغلاف: محمد بغدادى



الوجود العربى فى الهند
فى العصور الوسطى

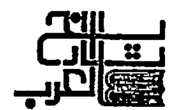
د. محمد نصر عبد الرحمن

الطبعة الأولى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٤

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
سلسلة



المراسلات: الهيئة المصرية العامة للكتاب
كورنيش النيل - رملة بولاق - القاهرة
ص. ب: ٢٣٥ - الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
E-mail: info@gebo.gov.eg



عبد الرحمن، محمد نصر.

الوجود العربى فى الهند فى العصور الوسطى/ محمد نصر عبد الرحمن. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤.

٢٢٤ص؛ ٢٤ سم. ـ (تاريخ العرب)

تدمك ٣ ٨٢٨ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ المسلمون فى الهند.

٢ ـ العصور الوسطى.

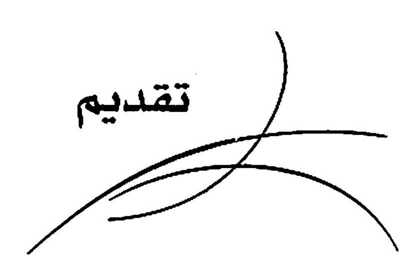
أ ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٣٦٠/ ٢٠١٤

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 828 - 3

ديوى ٣٠١,٤٥٢٩

تقديم



إذا كان التاريخ العربى المعاصر قد شهد حالة مكثفة من وجود العمالة الوافدة من الهند وغيرها من دول جنوب شرق آسيا حاليًا، وخاصة فى منطقة الخليج العربى؛ فإن العصور السابقة، كانت شاهدًا على ذهاب العرب إلى شبه القارة الهندية التى وصفها بعض الرحالة آنئذ بأن " بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عطر "، ولعل اهتمام السلسلة بمثل هذه الموضوعات، التى تبحث فى العلاقات الدولية؛ جنبًا إلى جنب مع خصوصيات دول العالم العربى التاريخية؛ تأتى من منطلق أنه دائما وأبدا توجد العلاقات بين البشر، وهو الأمر الذى يحدث تباعًا بفعل المصالح التبادلية، ويُسهم فى صنع حلقات التاريخ الإنسانى والتطور الحضارى.

ومما يعطى مذاقا خاصًا لموضوعنا هذا أن طرفيه "العرب والهند"؛ قد شكلا معًا مزيجًا من العلاقة التاريخية المتميزة والمتباينة أيضًا عبر مختلف العصور، بدءًا من الأزمنة القديمة وصولاً إلى التاريخ المعاصر، وإن هذه الدراسة للوجود العربى فى الهند فى العصور الوسطى، تُمثل حلقة وسطى مهمة فى الوصل بين التاريخ القديم والحديث.

وإذا كان العرب المسلمين قد ذهبوا إلى الهند فى إطار من العلاقات التجارية، فإنهم كانوا حاملين بين جنباتهم حميد صفات المسلم الحق؛ كنموذج وقدوة للسلوك الإنسانى القويم، وإن ذلك أدى إلى انتشار دين الله الحنيف ومهد لوجودهم هناك، بيد أن العلاقات عبر الزمان والمكان لا يُمكن أن تمضى فى نسق واحد، أو تستقر على وتيرة واحدة، تبعًا لتنوع مجالاتها بين ما هو سياسى أو اقتصادى أو ثقافى أو اجتماعى، وما إلى ذلك من مواقف ومصالح متباينة، مما احتوته دفتى هذا الكتاب.

وعلى أية حال فإن التمهيد لمتن الدراسة الذى يرجع بنا إلى المحاولات الإسلامية لفتح الهند فى عهد الخلفاء الراشدين والعصر الأموى، ثم الفترة التاريخية التى يتم تناولها وهى

من ١٣٢ - ٣٩١هـ/ ٧٥١ ـ ١٠٠١م، تُعتبر فترة تاريخية ثرية بأحداثها وتأتيراتها وموثراتها المتبادلة بين العرب والهند، فهى تتناول العلاقات بين الدولة العباسية والهند فى مختلف مجالاتها السياسية، والاقتصادية وطرق التجارة وأدواتها وسبلها والإطار التبادلى كما وكيفا، وفى الجوانب الاجتماعية تناولت الهجرات ومدى التكيف مع البيئات الجديدة ومواقف أهل البلاد من الوافدين الجدد وما إلى ذلك وأثر البيئات البنيوية، وفى المجالات الثقافية؛ مما اشتملت عليه تيارات الفكر والتلاقح الثقافى والبنية التكلملية فى العلوم المختلفة كالرياضيات والطب والفلك وغيرها.

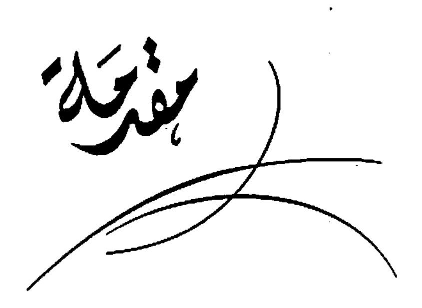
وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب كان فى الأصل رسالة أكاديمية نال بها الدكتور محمد نصر درجة الدكتوراة من كلية الآداب، جامعة عين شمس، وكانت بعنوان " الوجود الإسلامى فى الهند فى العصور الوسطى "، والمؤلف حاليا أستاذ مساعد/ مشارك بقسم التاريخ بالكلية ذاتها، وهو من الباحثين الأكفاء المشهود لهم بالخلق القويم.

وقد رؤى بالتنسيق معه وموافقته إجراء تعديل بسيط فى العنوان بإستبدال كلمة الإسلامى بالعربى، فأصبح على النحو المدون به؛ إتساقا مع عنوان السلسلة ودلالة لمكنونها؛ بأنها بلورة لتفاعلات بشرية فى إطار من العلاقات؛ بكل ما فيها من علاقات أو صراعات المصالح، وأيضا حتى لا ينصرف الاعتقاد إلى أنها تختص أو تناقش الأمور الدينية، فهذه لها تخصصاتها وأهل اختصاصها مما ليس هنا مجاله؛ كما أن هذا التبديل يعطى دلالة أوضح للوافدين العرب، وإن إستقرارهم هو الذى صنع وجودهم وإنتشار الإسلام هناك، أكثر مما قد يتم تفسيره قرينا واختصاصاً بأهل البلاد الأصلين، الذين كان من بينهم من اعتنقوا الإسلام، أو ظل على ديانته أو معتقداته، وعاش فى كنف الإمارة أو الدولة الإسلامية.

وفى النهاية، فإن هذا العمل يُعتبر من الدراسات الأكاديمية التى اعتمدت على شمولية النظرة وعمق التحليل، فى إطار من التفكيكية والتركيبية، بحثا عن الجوانب الدلالية والشمولية لحل الإشكالات الملتبسة، سواء بتداخل الأزمنة أو المواقف ولا شك يُمثل إضافة مهمة للمكتبة العربية فى موضوعه وفترته التاريخية، وبالله التوفيق وعليه قصد السبيل.

رئيس التحرير

دكتور خلف عبدالعظيم سيد الميرى



من بين العوالم الحضارية الكبرى التى ارتبط بها العرب، يأتى العالم الهندى ليعتلى ذروة سنامها، نظراً لما حواه الأنموذج الهندى من حضارات متباينة تغايرت مع ما يجاورها، وما شغلته الهند من مكانة متميزة على خارطة الدولة الإسلامية على اعتبار أنها كانت بداية المجال الحيوى السياسى والاقتصادى لتلك الدولة. ومنذ ما يربو على عقد من الزمان وجهت وجهى شطر هذا العالم حين وقع اختيارى عليه ليكون موضوعاً لأطروحة الدكتوراه الخاصة بى؛ ومنذ ذلك الحين انطلقت أطوف دروبه فى محاولة لرسم فضاء جديد للوجود الإسلامى فى الهند فى العصور الوسطى عشية ظهور الغزنويين خلال الفترة من ١٣٢ هـ/٧٥٠ م إلى ٣٩١ هـ/ ١٠٠١م.

وترجع أهمية تلك الفترة إلى أنها سبقت الوجود الغزنوى فى الهند، والذى عده البعض بداية الوجود الإسلامى فى الهند، استناداً لما حققته الحملات الغزنوية من نجاح باهر. لذلك كان من الضرورى دراسة المرحلة السابقة للوقوف على ما أنجزته الدولة الإسلامية فى الهند، والذى تعدى فتح بعض أراضيه وتكوين ولاية إسلامية هناك، إلى تكوين نسق علاقى فى جوانب شتى مع الكيان الهندى. تلك العلاقات التى تركت آثاراً واضحة فى التاريخ والحضارة الإسلامية خلال تلك الحقبة وما بعدها.

كما ترجع هذه الأهمية أيضاً إلى أن علاقة الدولة الإسلامية بالهند خلال تلك الفترة، تمثل تجسيداً حياً للتطور السياسى والحضارى للنظم الإسلامية المركزية، وانعكاساتها على النظم الأخرى فى ولاياتها. وتزداد تلك الأهمية إذا علمنا أن

الهند فى بعض مراحل تلك الحقبة، صارت مسرحاً للمنافسة العباسية ـ الفاطمية، بعد أن نجح الفاطميون فى إقامة إمارة تابعة لهم هناك، وما تركه ذلك من تداعيات على أوضاع المسلمين هناك.

وقد تبدو هذه الفترة طويلة نظرياً، لكن التأمل فى طبيعة تلك العلاقات يجد أن تطور الظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية خلال تلك الفترة، من الصعب تجزئته حين نفسر تلك الظواهر. فقد تباين النظام السياسى للولاية الإسلامية فى الهند خلال تلك الفترة، وتطور من السيطرة المباشرة خلال العصر العباسى الأول إلى نمو الإمارات المستقلة هناك خلال العصر العباسى الثانى، ولا يمكننا تفسير تلك الظاهرة دون تتبع جذورها وتطورها. وينسحب ذلك على الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى ارتبطت بتلك الظاهرة.

وأغلب الدراسات لهذا الموضوع الحيوى خرجت متفرقة على أيدى العديد من المؤرخين المتنوعين الذين كتبوا فيها إما بأسلوب عاطفى، أو تقليدية نصوص، أو اهتمام مرحلى، أو حالة أحادية. فإذا كان هناك من درس تاريخ المسلمين السياسى فى الهند، فقد تغاضى عن بحث ما هو أهم، وهى طبيعة العلاقات بين السلطة الإسلامية المركزية والهند، وإفرازاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى شكلت بنية الوجود الإسلامى فى الهند. أما من انطلق من دراسة الإمارات العربية فى الهند، فقد فاته دراسة مسببات عديدة لبروز تلك الحالات المتعاقبة، والإشكاليات المركزية المرتبطة بالهيكلية السياسية الجديدة التى ربطت تلك الإمارات بالدولة العباسية، ولم يجد لها تفسيراً. كما أن دراسة علاقة الدولة العباسية بالهند لا يمكن فصلها أو تجزئتها عن دائرة العلاقات العباسية العامة، علما بأن بنية تلك العلاقات لا يمكن فصلها البتة عن حركة ذلك الطور العالمى من التاريخ.

ولعل من أهم الصعوبات التى واجهت الباحث فى هذه الدراسة، هى تعدد مباحثها، سواء فى النواحى السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. مما

استلزم بالضرورة تنوع مصادر البحث لتشمل كتب التاريخ والجغرافيا والأدب والفقه وغيرها، وهو الأمر الذى اقتضى من الباحث الكثير من الجهد، لانتقاء ما تحتاجه الدراسة من تلك المصادر، وتحرى الدقة فيها، ثم تحليل ودمج المادة المنتقاة فى بوتقة واحدة، فى إطار الهيكل العام للدراسة. بجانب ندرة المادة التاريخية المتاحة فى بعض مناحى الدراسة مثل العلاقات الاجتماعية بين الدولة العباسية والهند مما استدعى دمجها مع العلاقات الاقتصادية فى فصل واحد.

ومنهجنا فى هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائى الذى يعتمد على شمولية النظرة، وديناميكية الفكر، وعمق التحليل. حيث نستوعب النص ونحيط بدوائره المباشرة، ونتخذ من التحليل وسيلة لوضع المسلمات واليقينيات موضع تساؤل، بحثاً عن أفق للفهم متحرر من التصنيفات المفهومية الجاهزة. والهاجس المركزى لأطروحتنا هو محاولة إعادة قراءة المصادر وفق منهجية تفكيكية - تركيبية بحثاً عن الجوانب الدلالية والشمولية لحل الإشكاليات الملتبسة، وتنقيباً عن العناصر الفاعلة، بالمعنى العام الدلالى والشمولى لكلمة (الفاعلة). وذلك حتى ننتقل بالأطروحة من مجرد التأرخة أو العمل التوصيفى إلى المعرفة الابستمية القائمة على التمعين الذى يوطد معرفتنا بهذا الجانب الحيوى من التاريخ الإسلامى، ويكفل حضورنا المناسب فى أجوائه المعرفية.

وخلال أطروحتنا لم نقم بإخضاع البنية التاريخية للمنطق الشديد فى تعاقبية الأزمنة الكرونولوجية، بل وفقاً لمنطقها الداخلى. ففى بنيتنا تتداخل الأزمنة حسب المواقف، ونستدعى مواقف ماضية لتفسر أحداث لاحقة، مما يقتضى انكسار خطية الترتيب الزمنى الذى يعرفه العرض التاريخى. لكن ذلك لا يعنى أن نوظف تلك الطرائق بقصدية موغلة فى الصرامة، وبعيداً عن الأحداث وبشكل لا يتناسب معها ؛ وإنما يعنى انسجام هذا التوظيف بطريقة أو أخرى، مع الأحداث ودلالتها المحايدة للبنية التاريخية السهلة، والواضحة الأطروحة.

ولن أزعم أن تلك الأطروحة قدمت منهجاً متكاملاً فى دراسة تلك العلاقات، نظراً لصعوبة تلك المهمة على الصعيدين المنهجى والمعرفى معاً. إذ أن المنهجية

المتكاملة فى دراسة تلك العلاقات تقتضى سبراً عميقاً للمناهج الجزئية فى دراستها، وكذلك بالنسبة للجانب المعرفى الذى يقتضى إلماماً واعياً بما أنتجه تطبيق تلك المناهج الجزئية من معارف وأفكار منثورة فى المصادر المتنوعة، وهو أمر من الصعب أن تجمعه دراسة واحدة.

ولقد قسمت الدراسة إلى تمهيد، وثلاثة فصول؛ حيث بسطت الحديث فى التمهيد عن المحاولات الإسلامية لفتح الهند خلال عصر الخلفاء الراشدين، ثم تناولت فتوح المسلمين فى الهند خلال العصر الأموى، على اعتبار أن هذين المحورين مثلا أرضية التواجد العباسى هناك بعد ذلك، كما تركا آثاراً واضحة على علاقة العباسيين بالهند بشكل واضح.

وتناول الفصل الأول العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والهند فى الفترة من ١٣٢ هـ/ ٧٥١ م إلى ٣٩١ هـ/ ١٠٠١ م، أى من مطلع العصر العباسى حتى ظهور الغزنويين. حيث تعرض المبحث للأوضاع السياسية فى الهند خلال أخريات العصر الأموى وبدايات العصر العباسى. وكذلك موقف العباسيين الخلافات القبلية التى نشبت بين العرب فى السند، وحركات المقاومة الشعبية الهندية تجاه الحكم العباسى، وهجمات القراصنة الهنود على السفن والسواحل العباسية. كما تناول المبحث أيضاً الأوضاع السياسية فى الهند فى مطلع العصر العباسى الثانى، ورصد تطور الأطر الاجتماعية والسياسية للعرب فى الولاية وظهور الإمارات المستقلة بها، وعلاقة العباسيين بتلك الإمارات، وكذلك قيام الإمارة الإسماعيلية بالهند، وموقف العباسيين منها، وعلاقتها بجيرانها. كما يتناول المبحث علاقة العباسيين بممالك الجوار الهندية.

أما الفصل الثانى فقد خصص لمعالجة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الدولة العباسية والهند، حيث بدأ بالعلاقات الاقتصادية والتى تركزت بشكل أساسى على النواحى التجارية، حيث تعرض لأهم الطرق التجارية التى ربطت بينهما، والصعوبات التى اعترضت سبيل الحركة التجارية، والجهود المشتركة التى

بذلتها السلطات العباسية والهندية لتذليل تلك الصعوبات. بجانب ذلك استعرض الفصل ماهية الوسطاء التجاريين الذين تولوا تسيير آلة العمل التجارى بين الطرفين، ثم اختتم المبحث بالتعرض لبنية التعامل الاقتصادى على صعيد التبادل السلعى من حيث الكم والكيف.

كما تناول العلاقات الاجتماعية بين الطرفين، حيث استعرض الهجرات العربية للهند من حيث مسبباتها، وما تركته من آثار على البيئة الهندية، ومدى تكيف العرب مع بيئتهم الجديدة، وإلى أى حد تركت تلك البيئة آثارها عليهم. ثم موقف الهنود من هذا الحراك المزاحم لهم فى وطنهم. كما يتناول الجانب الآخر من تلك العلاقات، وهى الهجرات الهندية للدولة العباسية، من حيث العوامل التى أدت إليها، وتأثير تلك الهجرات فى تاريخ العباسيين، والموقف الرسمى والشعبى من تلك الهجرات.

واختص الفصل الثالث بدراسة العلاقات الثقافية، حيث تعرض لدراسة النسق العضوى للتراث الهندى بصورة موجزة. كما تناول انتشار الإسلام فى الهند على النطاقين الملكى والشعبى، مع المقارنة بينهما، وكذلك التيارات الأدبية والفكرية المتبادلة ثم منظومة التصوف الإسلامى - الهندى، من خلال حلقات الاتصال، والتأثيرات المتبادلة. وكذلك التلاقح الثقافى وبنية التعاملية الثقافية بين الهنود والعرب، على صعيد العلوم المختلفة، كالرياضيات، والطب، الفلك، وغيرها.

والآن على أن أسعى إلى محراب الشكر والعرفان، لأتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور/ محمود إسماعيل عبد الرازق، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، الذى أفاض على من وافر علمه، وغزير خبرته، ونقاء سريرته، ما أعاننى على المضى قدماً فى هذا العمل حتى خرج إلى الوجود بهذه الصورة.

كذلك شكرى العميق إلى الأستاذ الدكتور فتحى أبو سيف، أستاذ التاريخ الإسلامى، على ما بذله معى من جهد ربما فاق جهدى، وعلى ما أحاطنى به من

اهتمام وتوجيه، وما خصني به من ملاحظات قيمة صقلت فكري، وأتاحت لي رؤية أعمق وأكثر تحديداً لمفردات الدراسة.

ولا يفوتني أن أتوجه بخالص شكري إلى الأستاذ الدكتور/ محمد مؤنس عوض، أستاذ التاريخ الإسلامي بآداب عين شمس، لما أفادني به من نصح، وما أمدني به من كتب من مكتبته الخاصة. وكذلك شكري العميق لزملائي بآداب عين شمس؛ الدكتور / أيمن عبد الحليم، المدرس بقسم لغات الأمم الإسلامية، على ما أمدني به من مراجع، وترجمة النصوص الأردية. والدكتور/ أحمد سعيد، المدرس بقسم الوثائق والمكتبات، على ما أمدني به من كتب ودوريات، والدكتورة / ياسمين عبد المطلب، المدرس بقسم الإرشاد السياحي على مساعدتها في ترجمة النصوص الفرنسية.

وكذلك خالص شكري لأمناء مكتبات جامعتي القاهرة وعين شمس، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، والمركز الفرنسسكاني للدراسات الشرقية، والمعهد الدومينيكاني للدراسات الشرقية، ومركز الدراسات الآسيوية بجامعة القاهرة، والمركز الثقافي الهندي، والجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

ولا يفوتني أن أتقدم لأساتذتي وزملائي بالكلية والقسم بالشكر على ما منحوني إياه من التشجيع والعون، فلهم مني كل الشكر والتقدير. ومع يقيني أن كلمات تتلى في محراب الشكر والعرفان غير كافية، إلا أن قلمي لا يملك سواها، وإن كان قلبي يحمل لهم بين ثناياه الكثير.

ذلك مبلغي من العلم، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي.

" وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

د/ محمد نصر

تمهيد

١ - المحاولات الإسلامية لفتح الهند خلال عهد عمر بن الخطاب:

يرجع ارتباط العرب بالهند إلى فترات موغلة فى القدم، ورغم أن الظروف الطبيعية لم تكن مشجعة على الاتصال بين الطرفين لأن الطريق البرى نحو الهند كان طويلاً وشاقاً، إلا أن الطريق البحرى لم يصمد طويلاً أمام المحاولات المبكرة من الجانبين للتعرف بالآخر . ولا يمكننا أن نحدد على وجه الدقة الفترة التى تعمقت فيها العلاقات العربية بالهند قبيل بداية الفتوحات الإسلامية، لكن يمكننا القول أن الهند عند بداية الفتح لم تكن ذلك العالم الميتافيزيقى الذى يجهله العرب، حيث تبلورت لديهم فكرة واضحة عن هذا العالم من خلال اتصال العرب - خاصة سكان جنوب شبه الجزيرة العربية ـ بالهند(١) .

وخلال الفترات المبكرة غلب على العلاقات بين الجانبين الطابع الاقتصادى من خلال العمليات التجارية المتبادلة، ثم تطورت هذه العلاقات واتسعت بعد أن توافدت على الهند هجرات عربية متعددة استقرت على الشريط الساحلى الجنوبى الغربى للهند، حيث أقام العرب هناك بعض المراكز العمرانية، وعلى الجانب الآخر نزحت بعض القبائل الهندية واستقرت فى بعض المناطق العربية(٢) .

على هذا النحو احتلت الهند مكانة متميزة فى التراث العربى، لذلك لم يكن غريباً أن يفكر العرب بعد قيام الدولة الإسلامية فى محاولة ضم الهند إلى دولتهم، لكن الأمر لم يكن سهلاً بطبيعة الحال، فمحاولة فتح الهند عبر الطريق البرى فى

عهد أول الخلفاء الراشدين كانت ضرباً من الخيال، لأن تقدم المسلمين نحو الهند عبر هذا الطريق كان يحتم عليهم اختراق التخوم الشمالية لها، وكان ذلك يعنى ضرورة فتح تلك التخوم أولاً، ولما كان المسلمون مازالوا يقاتلون فى الولايات الفارسية الشمالية، لذا فإن أقرب نقطة إسلامية برية للهند كانت بعيدة للغاية.

وبدا الطريق البحرى هنا أقرب الطرق لتحقيق هذا الهدف، خاصة بعد امتداد النفوذ الإسلامى حتى السواحل العمانية، وبالتالى كان الانطلاق البحرى منها هو أقرب الطرق للوصول إلى الهند فى تلك الفترة. ورغم ذلك رأت السلطة الإسلامية المركزية تأجيل تلك المحاولة لفترة لاحقة، نظراً لصعوبة الطريق البرى، كما أن البحرية الإسلامية الرسمية فى هذه المنطقة كانت جنيناً لم يظهر للنور بعد.

لكن هذا التأجيل الرسمى لم يقف حائلاً أمام بعض المحاولات الفردية التى قام بها بعض الولاة المسلمين لفتح الهند، وظهرت أولى هذه المحاولات خلال العقد الثانى من القرن الأول الهجرى، وقام بها عثمان بن أبى العاص الثقفى والى عمان والبحرين، حيث أرسل فى أخريات عام ١٥هـ/ ٦٣٦م[٣] ثلاث حملات بحرية استهدفت بعض مدن الساحل الشمالى الغربى للهند مثل تانه Thana[٤]، وبروص Barous[٥]، وديبل Daybal[٦].

وقبل أن ندخل فى تفاصيل هذه الحملات ومدى نجاحها ورد فعل السلطة الإسلامية المركزية تجاهها، يجدر بنا أن نقف على الدوافع التى حملت عثمان على إرسال هذه الحملات، فلا شك أنه كانت هناك ظروف داخلية وخارجية دفعت لتكوين السيطرة الإسلامية على الهند دفعاً ذرائعياً، حيث كان فتح الهند واحداً من طموحات المسلمين خلال العهود الإسلامية المبكرة، ويرجع ذلك لأسباب متعددة؛ لعل أهمها الحماسة الدينية التى صاحبت المسلمين فى توسعهم للجهاد فى سبيل الله ونشر الدعوة الإسلامية، بعد أن منحهم الإسلام شرعية احتواء أراضى الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية، وغيرها من العوالم الجغرافية والسياسية التى لم تصلها الدعوة الإسلامية.

وزاد من تلك الحماسة أن الهند اكتسبت مكانة خاصة فى التراث الدينى للمسلمين، وذلك لوجود عدد من الأحاديث النبوية الشريفة التى وعدت المسلمين بفتح الهند ومجدت المشاركين فى هذا الفتح(٧). وعلى هذا النحو أعطت الأحاديث النبوية المحاربين الذين يفتحون الهند مجداً ذو وضع خاص، حيث اعتبرتهم مساوين للمسلمين الأطهار الذين سيقاتلون المسيخ الدجال آخر الزمان، وجعلت بذلك فتح الهند ضمن آمال المسلمين وطموحاتهم المستقبلية، بل جعلت الفتح كما ذكر بعض الباحثين واجبًا دينيًا مقدسًا(٨).

لكن الحماسة الدينية وحدها لم تكن المحرك الوحيد بالطبع للمسلمين لفتح الهند، بل كانت عوامل أخرى لعل أهمها الطموح الشخصى لعثمان، الذى امتد نحو الهند بوصفها الامتداد الطبيعى لولايته إذا ما جاوزت أنظاره المياه التى تفصلهما، ولعل ما شجعه على ذلك تلك المناوشات الجريئة التى قام بها سلفه العلاء الحضرمى، وما حققه من نجاح فى المياه الفارسية(٩)، مما جعل عثمان يتطلع لتحقيق نجاح مماثل فى المياه الهندية متأثراً بما سمعه من حديث الرسول ﷺ أثناء صحبته له، وما لمسه من خبرة أهل عمان والبحرين البحرية فى المنطقة، وتنقلهم الدائم وهجراتهم المستمرة للمناطق الساحلية المقابلة لهم(١٠).

ويمكننا أن نضيف لتلك العوامل العامل الاقتصادى الذى تظهر دلالته فى الهدف الجغرافى الذى اتجهت صوبه تلك الحملات، حيث هاجمت بعض موانئ ساحل كجرات(١١)، وكانت تلك الموانئ تعج بسفن القراصنة الهنود الذين دأبوا على الإغارة على السفن والموانئ العربية.

ولكى نفهم دوافع عثمان فى ذلك يجب أن نرجع بالزمان عدة قرون، حين كان العرب ـ خاصة عرب الجنوب فى عمان واليمن ـ يسيطرون على مقاليد التجارة فى منطقة الخليج العربى و المحيط الهندى، ثم انتقلت تلك السيطرة للفرس مع دخولهم المنطقة كقوة عظمى، ثم دخلت الإمبراطورية البيزنطية فى الصورة واحتدم الصراع بين الإمبراطوريتين حول الطرق التجارية البحرية المؤدية للهند والصين،

كما ظهرت مملكة أكسوم Auxum الحبشية كمنافس ثالث فى ظل غياب الدور العربى[١٢].

ثم سرعان ما عاد العرب للظهور على الساحة بعد قيام الدولة الإسلامية وتوجيههم الضربات المتلاحقة للفرس والبيزنطيين، ولاحت فى الأفق بوادر السيطرة الإسلامية على المنطقة خاصة بعد ضعف البحرية الفارسية، وكان كل ذلك إيذاناً بعودة السيطرة العربية، لكن هؤلاء القراصنة الهنود باتوا يهددون تلك السيطرة بهجماتهم المستمرة على السفن الإسلامية[١٣]، لذا كان من الضرورى توجيه بعض الضربات لهم.

ولسنا نميل لما رآه بعض الباحثين[١٤] من أن العامل الاقتصادى كان المحرك الأساسى للمسلمين، وأن اندفاعهم نحو الهند كان ورائه أخبار ثرواتها من الذهب والجواهر، وأن حملاتهم كانت غارات للسلب والنهب ولم يكن هدفها الفتح. وهو أمر مبالغ فيه لأن المسلمين خلال الفتوحات الإسلامية الأولى كانت للحماسة الدينية اليد العليا فى تحركاتهم.

كما لا نميل إلى ما رآه البعض الآخر[١٥] من أن هذه المحاولات كانت انتقاماً من حاكم السند نتيجة مساعدته للفرس أثناء قتالهم ضد المسلمين، أو أنها كانت لمطاردة المرتدين من أهل الهند الذين كانوا يسكنون شبه الجزيرة العربية وأسلموا، ثم ارتدوا وولوا مدبرين نحو أوطانهم مرة أخرى.

وهذا الرأى تبدو فيه بعض المبالغة، فالحملات اكتفت بالهجوم على بعض المدن الساحلية التى لا تتبع كلها حاكم السند ولم تحاول التغلغل داخل البلاد لقتاله، وهو أمر بديهى فلم يكن للمسلمين أن يشنوا حملات انتقامية تحتاج الكثير من الرجال والعتاد خلال تلك الفترة الحرجة من انسياحهم فى الولايات الفارسية.

وهكذا انطلقت الحملات الثلاثة فى اتجاه الهند، فاتجهت الحملة الأولى نحو تانة، واتجهت الثانية نحو بروص، والثالثة نحو ميناء ديبل[١٦]. ويبدو أن تلك الحملات كانت استطلاعية، فلم تتوغل داخل الهند بل اكتفت بالهجوم على تلك

المدن وحققت انتصارات جزئية واكتفت بذلك وعادت لقواعدها مرة أخرى. ورغم هذا النجاح إلا أن رد فعل الخليفة لم يكن مشجعاً، حيث أرسل يوبخه قائلاً: " يا أخا ثقيف لقد حملت عود على دود[١٧]، وإنى أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم "[١٨].

ولا ينبغى أن نفسر موقف عمر من منظور شخصى ضيق بمعزل عن الظروف التى كانت تحيط بالدولة الإسلامية الناشئة، فالمسلمون منذ أن قدر لهم الانسياح فى العالم لنشر الإسلام وهم يواجهون خصومًا متعددين فى جبهات متسعة، لذلك كان فتح جبهة جديدة يعنى المزيد من الإنهاك لهذه القوة الوليدة؛ ولا يجب أن نفسر رفض عمر للحملات البحرية بتلك النظرة الضيقة التى تصوره يخشى ركوب البحر تأسياً بالرسول ﷺ، فالثابت أن الرسول كان يشجع على غزوات البحر[١٩]. كما أن عمر نفسه أرسل بعد ذلك عام ٢٠هـ/ ٦٤٢م حملة بحرية إلى بلاد الحبشة[٢٠].

وبعد هذا الرد توقف النشاط الإسلامى نحو الهند لفترة مؤقتة انصرف المسلمون خلالها لاستكمال فتوحاتهم فى الولايات الفارسية الجنوبية، واستغرقت تلك الفتوحات ما يقرب من عقد كامل، وبعد أن توغل المسلمون فى إقليم كرمان[٢١] تطلعوا لفتح مكران[٢٢] ورغم أن مكران كانت تخضع إدارياً للسلطة الفارسية، فإنها كانت تعتبر أول حد طبيعى للهند من ناحية الشمال الغربى.

وخلال عام ٢٣هـ/ ٦٤٢م وصلت طلائع الجيش الإسلامى على مكران ولما فشل حاكمها الفارسى فى الحصول على أية مساعدة من حكومته المركزية، اضطر للاستنجاد براجا چچ Raja Chach حاكم السند، واستجاب الأخير وأمده بقوات كبيرة، لكن ذلك لم يمنع انتصار المسلمين وتقدمهم شمال غربى الهند حتى وصلوا لنهر مهران[٢٣].

ثم توقفت حركة الفتوحات الإسلامية مرة أخرى بعد أن أصدر الخليفة عمر أوامره الصارمة بعدم تجاوز مكران[٢٤]، وذلك فى إطار سياسته العامة التى

استهدفت الاكتفاء بذلك خلال تلك المرحلة، والتى ظهرت أيضاً فى الجناح الغربى من الدولة حينما أمر بتوقف الجيوش الإسلامية عن فتح إفريقية فى بلاد المغرب.

٢- المحاولات الإسلامية لفتح الهند خلال عهد عثمان بن عفان:

استمر توقف حركة الفتح فى شمال الهند فى بداية حكم الخليفة عثمان بن عفان (٢٤ هـ/ ٦٤٣م- ٣٥هـ/ ٦٥٤م)، بل إن سكان مكران سرعان ما انتفضوا على الحكم الإسلامى وخرجت مكران من حوزة المسلمين. ورغم ذلك ظل عثمان على موقفه المتردد فى استكمال الفتح، حيث آثر الخليفة فى بداية حكمه ألا يخالف سياسة سلفه، وظهر ذلك إبان فتوحات المغرب أيضاً، حيث رفض استكمال ما أمر عمر بتوقفه ولم يعاود الفتح إلا بعد أن ألح عليه كبار الصحابة، ويبدو أن عثمان مع منحه الضوء الأخضر لاستكمال الفتوحات فى المغرب، أعاد التفكير مرة أخرى فى غزو الهند ولكن مع بعض الحذر، لذلك أرسل لواليه على العراق يطلب منه إرسال مبعوث خاص فى مهمة استكشافية للهند.

وقام الوالى بإرسال أحد رجاله فى هذه المهمة، لكن يبدو أن هذا الرجل سلك الطريق البرى عبر مكران، وهناك صدم بجفاف تلك المناطق كما أعاقه السلوك الوحشى لسكان تلك المناطق خاصة قبائل القفص[٢٥]، وعندما عاد إلى مركز الخلافة كان وصفه للهند وتحديداً الجزء الشمالى منها كالتالى " ماؤها وشل وثمرها دقل، إن قل الجيش بها ضاعوا وإن كثروا جاعوا "[٢٦].

ولاشك أن هذا التقرير أثار خوف عثمان وألغى أية مخططات مستقبلية لغزو الهند، لكنه لم يكن إلغاءً نهائياً، بل كانت فترة مؤقتة استأنف المسلمون بعدها الفتح، وشجعهم على ذلك فتح إقليم سجستان[٢٧] والذى كان موقعه استراتيجياً بالنسبة للسند، وكان الطريق منها نحو الأخيرة أكثر سهولة من طريق مكران، لذلك صارت سجستان قاعدة هامة للحملات الإسلامية عليها، وبالفعل انطلقت إلى هذه الحملات عام ٢٩هـ/ ٦٥١م واستطاعت استعادة مكران والوصول حتى ضفاف نهر مهران[٢٨].

٣- المحاولات الإسلامية لفتح الهند خلال عهد على بن أبى طالب:

على هذا النحو استطاع المسلمون وضع موطئ قدم لهم فى الشمال الغربى للهند، لكن اندلاع الخلافات بين المسلمين فى أعقاب مقتل عثمان سرعان ما أوقف مشروع الفتح، ثم عاود المسلمون نشاطهم فى عهد على بن أبى طالب، حيث انطلقت حملة جديدة من مركز الخلافة عام٣٩هـ/ ٦٥٩م واستطاعت أن تعيد السيطرة الإسلامية على مكران، لكن سرعان ما أثرت الأحداث فى مركز الخلافة على أوضاع تلك الحملة بعد مقتل على وانتهى الأمر بهزيمتها ومقتل قائدها[٢٩].

وهكذا فى تقييمنا للحملات الإسلامية على الهند خلال عصر الخلفاء الراشدين نجد أن الوضع العام لتلك الحملات لم يكن يحمل طابعاً منظماً، فكانت حملات استطلاعية فى معظمها، هاجمت السواحل الغربية والحدود الشمالية الغربية للهند ولم تتوغل فى قلب شبه القارة، واختلفت طبيعة هذه الحملات باختلاف العلل التاريخية داخلية كانت أم خارجية، إضافة لطبيعة البيئة الجغرافية.

وتأثرت هذه الحملات لحد بعيد بسياسة الخلفاء المركزية، والأحداث التى كانت تعصف بمركز الخلافة، وكان استمرار هذه الحملات من عدمه مرتبطاً بما تراه السلطة المركزية، وكان طابع هذه الحملات فى عهد عمر غير رسمى، ثم صارت رسمية فى عهد عثمان ؛ ورغم أن هذه الحملات لم تحقق نجاحاً كبيراً نظرياً إلا أن الواقع أثبت أنها أتاحت للمسلمين خبرات واسعة بتلك المناطق، وهو ما سيكون له كبير الأثر فى اتساع نطاق الفتوحات خلال العصر الأموى، وانتشار الإسلام فى الهند بصورة واسعة بعد ذلك.

١ - حملة محمد بن القاسم:

قدر لفتوحات المسلمين فى الهند خلال العصر الأموى أن تأخذ منحى جديداً، اتخذت فيه شكلاً أكثر انتظاماً وأصبح لها مردود واسع، لكن هذا التحول لم يتم دفعة واحدة خلال هذا العصر بل استغرق فترة امتدت قرابة نصف قرن من الزمان، حافظ الأمويون خلالها على التنظيم الثغرى[٣٠] الذى وضعوه على حدود دولتهم

والذى يقضى باتخاذ الولايات الحدودية كثغور للهجوم على المناطق المجاورة ومحاولة فتحها.

وفى بداية هذا العصر كانت الحملات تخرج من ثغرى سجستان ومكران بتوجيه مباشر من السلطة المركزية، أو بواسطة والى العراق الذى أنيط به الإشراف على أعمال الفتح فى المناطق الشرقية من الدولة، وكانت هذه الحملات تهدف إلى اختبار قوة الهنود وتثبيت الحدود الإسلامية، ولم تكن تهدف كما رأى البعض إلى السبى والغنائم![٣١].

انطلقت الحملة الأولى عام ٤٤هـ/ ٦٦٤م صوب شمال الهند، بقيادة القائد المخضرم المهلب بن أبى صفرة، بتوجيه من والى العراق عبد الله بن عامر[٣٢] واستطاع المهلب أن يتوغل فى أقصى شمال الهند خاصة فى قلب مملكة كابل[٣٣]، وتمكن من الاستيلاء على بعض المناطق الواقعة بين كابل والسند مثل بنةBanna والأهوارAlAhwar[٣٤]، ورغم أن المهلب اكتفى بذلك وعاد إلى سجستان، فإن بعض الباحثين[٣٥] عد هذه الحملة بداية الغزو الحقيقى للمسلمين فى شمال الهند.

ثم واصلت الحملات الإسلامية تدفقها من مكران وسجستان واستطاعت الوصول لأول مرة لبعض النقاط العميقة شمال غربى الهند، وفتحت بعض المدن مثل قندهار وقندبيل وقصدار[٣٦]، ثم توقفت الحملات بعد ذلك حيث تفرغ المسلمون لتأمين وجودهم فى سجستان[٣٧].

وعلى هذا النحو بدت الحملات الإسلامية السابقة خاطفة وغير منتظمة، كانت تهاجم المناطق القريبة من الثغور الإسلامية، ولم تكن تهدف للاستقرار فى تلك المناطق إبان تلك الفترة، وظهر ذلك فى عدم التزام المسلمين بالإجراءات المتبعة عند الاستقرار فى المناطق المفتوحة، من اختطاط مساكن جديدة وبناء مسجد جامع، وغيرها من الإجراءات الإدارية.

وخلال أزمة السلطة التى نشبت بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، أعلنت بعض الولايات الشرقية ولائها لابن الزبير نكاية فى الحكم الأموى، لذلك

مـا إن تـخلص عبد الملك من تلك الأزمـة عـام ٧٣هـ/ ٦٩٣م حتى سعى لإعادة بسط سيطرة الأمويين على تلك المناطق، وساعده على ذلك وجود شخصية قوية على الساحة مثل الحجاج بن يوسف الثقفى، الذى استطاع بما جبل عليه من شدة وقسوة أن يعيد الأمور لنصابها، واستمر فى الاضطلاع بهذا الدور فى الجناح الشرقى من الدولة الأموية بعد أن تولى حكم العراق والولايات التابعة لها عام ٧٥هـ/ ٦٩٤ م[٣٨].

لكن طموح الحجاج لم يكن ليقف عند هذا الحد، بل كـان يأمل فى تخطى أسلوب الحملات الثغرية المؤقتة، ويبدو أنه كان يأمل أن يرى جيوش المسلمين تنساح شرقاً لتستولى على الهند وتناطح الإمبراطورية الصينية، لذلك وضع خطة ذات محاور ثلاث تتضمن غزو الهند ومملكة كابل وبلاد ما وراء النهر Trasoxian[٣٩] ولاشك أن دافعه فى ذلك كان تحقيق مجد شخصى، ولتأكيد جدارته بالثقة الواسعة التى أولته إياها السلطة الأموية، وليعادل بذلك التقدم الذى أحرزته الجيوش الإسلامية فى الجناح الغربى من الدولة.

لكن هذا الطموح جابهته العقبات قبل أن يولد، حيث فوجئ الحجاج بمحاولة إحدى الأسر العربية وتدعى أسرة العلافى[٤٠] بالاستقلال بولاية مكران وقام زعيما هذه الأسرة محمد ومعاوية بقتل والى الحجاج عليها[٤١]، مستندين فى ذلك على دعم راجا داهر حاكم السند لهما.

ولم يكن الحجاج ليقف ساكناً أمام ضياع هذا الثغر الهام، لذلك بادر بإرسال حملة إليها عام ٧٨هـ/ ٦٩٨م لكنها فشلت فأتبعها بحملة أخرى فى العام التالى، وكانت هذه الحملة أوفر حظاً من سابقتها، حيث انتصرت على العلافيين وقتل محمد وعادت بذلك مكران للسيادة الأموية. ونلاحظ أنه حتى هذه الحملة لم يقع صدام مباشر بين داهر والجيوش الإسلامية.

ولم تكن هذه هى حركة التمرد الوحيدة التى اندلعت ضد الحجاج، فخلال عام ٨٠ هـ/ ٧٠٠م أرسل حملة لغزو مملكة كابل بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث،

وكانت هذه المملكة قد أصابها الوهن وأصبحت على وشك السقوط فى أيدى المسلمين، لكن عبد الرحمن انقلب على الحجاج فجأة وأعلن التمرد[٤٢]، وبعد صراع عنيف انكسرت شوكة عبد الرحمن واضطر للجوء لحاكم كابل معتقداً أنه سيحميه، لكن الأخير سلمه للحجاج وعرض عليه دفع الجزية طمعاً فى رده عن مملكته[٤٣].

وفى أعقاب القضاء على تلك التمردات تطلع الحجاج مرة أخرى لاستكمال مشروعه خاصة مع تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة، والذى شهد عهده طفرة هائلة فى حركة الفتوحات الإسلامية، وبينما كان الحجاج يتطلع للانسياح شرقاً، كانت الجيوش الإسلامية ترابط على سواحل المغرب الأقصى بقيادة موسى بن نصير، وتحلق بأنظارها نحو الجانب المقابل استعداداً لغزو شبه جزيرة ايبيريا.

ولم يلبث الحجاج أن استأنف مشروعه بغزو بلاد ما وراء النهر وكابل فأرسل حملة كبرى بقيادة القائد الشهير قتيبة بن مسلم عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م، وكانت مهمة قتيبة اختراق بلاد ما وراء النهر ورفع لواء الإسلام بين القبائل التركية هناك، والتى كانت تتمتع بحماية الإمبراطورية الصينية، كما كان عليه التوغل فى الناحية الشمالية لكابل؛ وحقق قتيبة نجاحًا باهرًا فيما وراء النهر، كما أخضع جزءًا من مملكة كابل وأضطر حاكمها لطلب الصلح مع المسلمين[٤٤].

وهكذا قطع الحجاج خطوة كبيرة فى سبيل إتمام مشروعه، ولم يبق أمامه سوى غزو الهند نفسها، لكن عملية الغزو لم تكن هينة من الناحية الحربية، حيث كانت الهند محصنة من البر والبحر ومثلت للحجاج مشكلة حقيقة، فمن الناحية البرية كان الطريق الشمالى الغربى هو المتاح لغزو الهند، وكان على الجيوش الإسلامية اختراق الكثير من التخوم الوعرة الفقيرة التى لا تعين على متابعة الفتح، كما كان شمال الهند منقسماً للعديد من الممالك، لذلك كان على الجيوش الإسلامية الدخول فى معارك عديدة لضمان الانتصار الكامل، فى الوقت الذى كان فيه خط الإمدادات القادم من العراق طويل للغاية وغير مكتمل.

وعلى الجانب الآخر لم تكن البحرية الإسلامية تمتلك أسطولاً كبيراً فى المياه الشرقية لديه القدرة على المواجهات الحربية على طول السواحل الهند[٤٥]، كما أن الثغور الإسلامية البحرية القريبة من الهند مثل البحرين وعمان لم يكن من السهل إرسال حملات بحرية منهما، بعد اضطراب الأحوال هناك نتيجة حركات التمرد المستمرة لأهلهما، وانتشار الخوارج والشيعة بهما مما كان له كبير الأثر فى إضعاف النفوذ الأموى هناك. يضاف لذلك أن الخليفة الوليد كان يعارض مشروع غزو الهند استناداً لفشل التجارب السابقة، والتكاليف المرتفعة المتوقعة لتلك الحملة مع عدم ضمان عائد مادى أو حربى متوقع، خاصة مع حرص الحجاج على غزو شمال الهند وهو قطاع فقير بالمقارنة بجنوبه الذى كان يصعب الوصول إليه.

ولاشك أن هذه الصعوبات كانت كفيلة بإضعاف عزيمة الحجاج لكن طموحه كان أقوى من كل ذلك، كما أن الأقدار لم تدع له الفرصة للتفكير كثيراً، إذ سرعان ما وقعت حادثة عجلت بضرورة الصدام مع راى داهر، حيث يذكر البلاذرى[٤٦] أن بعض التجار المسلمين كانوا يعيشون فى جزيرة الياقوت[٤٧]، وبعد وفاتهم قررت بناتهم العودة لأوطانهم مرة أخرى، فلجأن لحاكم الجزيرة الذى قام بإرسالهن فى عدة سفن إلى البصرة، وأثناء رحلة العودة تعرضت لهن بعض سفن القراصنة الهنود بالقرب من ميناء ديبل وقاموا بأسرهن. وتلك الرواية نجدها عند الكوفى[٤٨] ولكن بتفاصيل مختلفة، حيث ذكر أن حاكم الجزيرة أرسل للحجاج سفينة محملة بالهدايا والعبيد، وصاحب هذه السفينة نساء مسلمات لأداء فريضة الحج، ونظراً لسوء الأحوال الجوية جنحت السفينة حيث أسرها بعض القراصنة.

هناك من الباحثين[٤٩] من يرى أن حاكم سيلان اعتنق الإسلام وقام بإرسال بعض الهدايا للخليفة الوليد بن عبد الملك فى تلك السفن، أو أن الخليفة أرسل بعض رجاله للهند لشراء جوارى وسلع أخرى، وذهب أحد الباحثين[٥٠] بعيداً حين رأى أن هذه القصة مختلقة وظهرت فى هذا التوقيت لتبرر الغزو الإسلامى للهند.

ولا يهمنا هنا الاختلاف حول تفاصيل الرواية بقدر ما يهمنا ما تحمله من دلالات، حيث عدت تحدياً صريحاً من الهنود للسلطة الإسلامية، أما أن القصة مختلقة فهذا أمر غير وارد، فلم يكن المسلمون بحاجة لسبب يتخذونه ذريعة لغزو الهند التى كانت دائماً على خارطة فتوحات المسلمين منذ وقت مبكر، كما أنها مثلت أحد أبرز أركان مشروع الحجاج التوسعى فى المشرق.

كما يهمنا أيضاً محاولة حاكم سيلان وسلوكه الودى تجاه الحجاج، والذى يبدو طبيعياً فى ضوء العلاقات التجارية لبلاده مع العراق، حيث كان الحجاج يحكم البصرة والكوفة الواقعتان فى وادى دجلة والفرات، تلك المنطقة التى كانت ترسو منها السفن القادمة من سيلان والبحار الشرقية وتبحر منها أيضًا.

ويهمنا أيضاً رد فعل الحجاج تجاه تلك الحادثة، حيث أثارت حفيظته بالطبع وسرعان ما تحرك لإطلاق سراح الأسرى، لكنه لم يلجأ للحل العسكرى فى البداية نظراً للعقبات التى سبق ذكرها، لذا اتخذ الجانب الدبلوماسى فى البداية وأكتفى بمراسلة داهر يطلب منه التدخل بنفوذه لإطلاق سراحهم، لكن رد الأخير جاء مخيباً لآماله متعللاً بأن هؤلاء القراصنة خارج دائرة نفوذه(٥١).

وبديهى أن هذا الرد أصاب الحجاج بالصدمة وزاد من حنقه على داهر الذى لم ينس له الحجاج مساندته لأسرة العلافى، كما كان يدرك أن هؤلاء القراصنة يخضعون بالفعل لسلطة داهر، وهو الأمر الذى ستثبته الأحداث بعد ذلك عندما ستعثر الجيوش الإسلامية على هؤلاء الأسرى فى سجون داهر. وأغلب الظن أن اكتفاء الحجاج بإرسال تلك الرسالة فى البداية أدى إلى عدم اكتراث داهر بها، معتقداً أن المسلمين أضعف من أن يهددوه فى مملكته، خاصة وأنه لم يجد أى صدى من المسلمين تجاه دعمه للعلافيين ولاشك أن تأخر اصطدام الحجاج بداهر كان راجعاً لطبيعة الحملات الإسلامية التى كانت قائمة على التنظيم الثغرى دون محاولة التغلغل فى شبه القارة الهندية، وكذلك لتردد السلطة الأموية فى توجيه حملات مؤثرة على الهند استناداً للتجارب السابقة فى هذا المجال.

لكن الأمور سرعان ما تهيأت للحجاج لاستكمال مشروعه الشرقى وغزو الهند بعد أن تعهد الأخير للخليفة بتغطية الحملة لنفقاتها، ويبدو أن غضب الحجاج لم يمكنه من الإعداد الجيد لهذا الغزو، حيث أرسل ثلاث حملات نحو ميناء ديبل عبر البر والبحر، لكن مصير تلك الحملات كان الفشل الذريع(٥٢). وأمام هذه الضربات المتلاحقة للجيوش الإسلامية أدرك الحجاج أن الفتح الجدى للهند يتطلب استعدادات ضخمة ومزيد من التنظيم لتلافى عوامل الفشل السابقة. ثم جاء عام٩٢هـ/٧١٠م يحمل فى طياته بشائر الخير للمسلمين، ففى الجناح الغربى حقق المسلمون نصراً قوياً على القوط فى موقعة وادى لكة Guadalete، أما فى الجناح الشرقى فقد أعد الحجاج حملته الفاصلة على شمال الهند والتى حرص على نجاحها بشدة، وظهر ذلك فيما اتخذه من إجراءات لانطلاق هذه الحملة.

وكانت أولى هذه الإجراءات أن جعل على رأس الحملة شابًا موهوبًا هو وابن عمه وصهره محمد بن القاسم الثقفى(٥٣)، وتلك حقاً كانت خطوة جريئة لأنه كان ما زال فتًا صغيراً لم يتجاوز العقد الثانى من عمره. لكن هذا الاختيار لم يأت من فراغ بل كان راجعاً لما تمتع به القائد الشاب من ذكاء وشجاعة، وما حققه من إنجازات باهرة فى فتوحات إقليم فارس(٥٤)، حيث عد ذلك معجزة لمن فى مثل سنه.

وظهرت حكمة الحجاج فى أنه لم يلق بمحمد فى غياهب الهند وحده بل أمره بموافاته أولاً بأول بتطورات الأمور، وأن يطلعه على خطواته قبل تنفيذها، وحرصه الواضح على إرشاده فى بعض الأمور الحربية والإدارية ضماناً لنجاح الحملة(٥٥). كما حرص الحجاج على إمداد الحملة بكل ما تحتاجه حتى فى أقل الأشياء مثل الإبر والخيط والخل، كما أمد الحملة ببعض الأسلحة الثقيلة التى تفيد فى الحصار مثل المناجيق، وفى الوقت نفسه أدرك أن هذه الأسلحة قد تكون عائقاً أمام التقدم السريع للجيوش الإسلامية، خاصة عبر الطريق البرى المار بصحراء مكران، لذلك قرر أن تتخذ الحملة الاتجاهين البرى والبحرى، حيث تحركت جيوش ابن القاسم من إقليم فارس فى الوقت الذى أرسل له الحجاج قوات مساعدة بجانب الأسلحة والمؤن عبر الطريق البحرى نحو ميناء ديبل لتقابل الجيش الإسلامى هناك(٥٦).

وهكذا أظهرت تلك الحملة الاستعدادات ومدى عبقرية الحجاج وبعد نظره، وظهر ذلك أيضاً فى الجيوش المساعدة التى أرسلها لمحمد، حيث حرص على أن تكون من أهل الشام معقل الأمويين ومستقر حكمهم حتى يضمن بذلك ولائهم، وابتعد عن أهل العراق خوفاً من تمردهم وحتى لا يتسببوا فى فشل الحملة.

قبل الخوض فى تفاصيل هذه الحملة التى قدر لها أن تكون أول حملة إسلامية تتغلغل فعلياً فى مملكة السند، وتحتك بأهالى المنطقة وقبلهم القوات الهندية الرسمية، يجدر بنا التعرض للأحوال الداخلية هناك، حيث سيكون لتلك الأحوال تأثير بالغ على مجريات هذه الحملة وتغلغل النفوذ الإسلامى فى شمال الهند.

ولعل أدق وصف لهذه الأحوال ما كتبه الباحث الهندى ماهاجان Mahajan(٥٧) حين قال: " لم يكن النظام الاجتماعى الهندى مع انقساماته المتعددة والغيرة المتبادلة بين عناصره بالقوة الكافية ليقاوم انقضاض المسلمين". وتظهر العبارة السابقة مدى الضعف والتفكك الذى كان يعانى منه المجتمع الهندى، حيث عانى هذا المجتمع من التفاوت الطبقى وكان على رأس الهرم الاجتماعى البراهمة من الكهنة والأكشترية المقاتلة من النبلاء، ويأتى فى منتصف الهرم طبقة الويشية من المزارعين والتجار، ويقبع فى ذيل هذا الهرم طبقة الشودرا من سفلة الناس الذين ليس لهم مهنة فلم يعترف لهم بعمل غير خدمة الآخرين(٥٨).

وكان البراهمة والأكشترية هما عماد المجتمع، ومن الأكشترية كان ينصب الملك لكن كان للبراهمة امتيازات خاصة جعلت نفوذهم يفوق نفوذ الملوك أنفسهم، حيث كان الملك لا يقطع أمراً دون مشورتهم، ويحرص على تلبية مطالبهم كاملة(٥٩). وأدت تلك الامتيازات إلى تبرم الطبقات الأخرى، خاصة أن داهر حاكم السند اضطهد بعض العناصر مثل الميد Med والجت Jat(٦٠). وعاملهم معاملة سيئة فلم يسمح لهم بالاشتراك فى الجيش أو ركوب الخيل أو لبس الحرير وغيرها من الأمور التعسفية(٦١). ولم يقتصر الشقاق على الناحية الطبقية فحسب بل تعداه للناحية العقائدية، حيث شهدت الهند تطاحناً مذهبياً بين البراهمة

والبوذيين، وكان لهذا الصراع بالغ الأثر فى تفكك الجبهة الهندية وضعفها[٦٢]، وامتد هذا التدهور للنواحى الاقتصادية، فمع عدم الاستقرار سادت الفوضى وهجرت الأراضى وأجدبت، وصارت مناطق شمال الهند تعانى من فقر مدقع[٦٣].

وزاد من سوء الأمور أن داهر لم يكن يتمتع بشعبية كبيرة بين الهنود، فوالده چچ Chach كان وزيراً لحاكم السند راى سيهاسى SehasiRai، وبعد وفاة الأخير اعتلى چچ العرش وتزوج الملكة الأرملة، لذلك كان مكروهاً من الشعب خاصة أنه كان برهميًا فى الوقت الذى كان فيه معظم سكان السند من البوذيين، لذلك حكم مملكته بقبضة حديدية، وسار ابنه داهر على منواله، لذا كان هو الآخر مكروهاً من شعبه[٦٤].

صفوة القول أن السكان فى شمال الهند لم يكونوا متحدين فى مواجهة الوافد الجديد، لذلك انقسموا على أنفسهم فيما يتعلق برد فعلهم تجاه الحملات الإسلامية، وفشلوا فى الصمود أمام ابن القاسم كما سنرى.

وعلى هذا النحو تهيأت الأسباب أمام ابن القاسم للقيام بحملة ناجحة تدعمها استعدادات ممتازة وعناصر الضعف فى الجانب الهندى، وفى ظل ذلك خطا ابن القاسم أولى خطواته فى النصف الثانى من عام ٩٢هـ/ ٧١١م[٦٥]، وفى مكران التقى بواليها الذى انضم إليه بقواته، ثم تحركت جموع المسلمين بقيادة ابن القاسم قاصدة ميناء ديبل، وأظهر الأخير براعة حربية حين سلك الطريق الساحلى لمكران، هذا الطريق الذى اكتسب شهرة تاريخية لأن الإسكندر المقدونى سلكه عند عودته من الهند قاصداً إقليم فارس عام ٣٢٥ ق. م[٦٦]، وفى الطريق نحو السند بسطت الجيوش الإسلامية نفوذها على بعض المدن مثل فنزبور وأرمابيل[٦٧]، كما انضمت للمسلمين بعض العناصر الهندية من قبائل الميد والزط القاطنين بمكران[٦٨].

وفى ربيع عام ٩٣هـ/ ٧١١م وصل ابن القاسم قرابة مدينة ديبل يؤازره الشطر البحرى من قواته، التى صارت بمحاذاة ساحل مكران تجنباً للصدام المبكر مع

البحرية الهندية. وعلى أسوار تلك المدينة استعد لحصار طويل لها، حيث ستظهر هنا عبقريته الحربية وبعد نظره فى مجال الإدارة المدنية، فكل مناورة عسكرية أو هجوم كان يسبقه خطة محكمة، وكل نصر يحققه يتبعه تنظيمات إدارية فى المدن المفتوحة من أجل تأمين خط الامداد[٦٩].

وظهر ذلك عند محاولة فتح مدينة ديبل، حيث أدرك أنها ستقاوم طويلاً باعتبارها البوابة الأساسية للتوغل فى شمال الهند، وسيقاتل الهنود بضراوة حتى لا تسقط، لذلك حاصر تلك المدينة حصاراً شديداً مستخدماً نوعاً ضخماً غير مألوف من المناجيق، كما استخدم أسلوب الحرب النفسية، فقد كان بالمدينة معبداً بوذياً كبيراً بأعلاه برج تعلوه راية حمراء، وكان السكان يعتقدون أن هذا البرج يحميهم طالما كانت تلك الراية تخفق فوقه، لذلك قرر مهاجمته بقذائف المناجيق فى محاولة لإسقاطه للتأثير المعنوى على السكان.

ونجد لدى البلاذرى[٧٠] إشارة إلى أن الحجاج هو الذى أقترح على ابن القاسم القيام بذلك، بينما ذكر الكوفى[٧١] أنه أحد البراهمة، فى حين رأى أحد الدارسين المحدثين أن كاهناً بوذياً هو الذى أشار على ابن القاسم بمهاجمة راية برج المعبد[٧٢]. ولانجد تعارضاً بين ما ذكره كل من البلاذرى والكوفى، فربما أشار أحد البراهمة على ابن القاسم بذلك نكاية فى البوذيين فى ظل الصراع المحتدم بين الطائفتين، ثم عرض ابن القاسم الأمر على الحجاج فوافقه على ذلك.

لم يصمد البرج طويلاً أمام ضربات المسلمين، وسرعان ما تهاوى أمام تلك الضربات، وكان لهذا رد فعل سيئ على سكان المدينة فهبطت معنوياتهم مما سهل على المسلمين اقتحام المدينة، لكن حامية المدينة وواليها واصلوا المقاومة، وبعد قتال شديد تم فتح المدينة عنوة وأمر ابن القاسم بقتل ما تبقى من حاميتها[٧٣]. وقد دفع هذا السلوك بعض الدارسين المحدثين إلى إدانة ابن القاسم واتهامه بالتعصب والقسوة[٧٤]. ويمكننا هنا أن نفسر سلوك ابن القاسم فى ضوء أن المدينة فتحت عنوة لذا كان قتل حاميتها أمر طبيعى بعد أن أرهقوه بالقتال ورفضوا الصلح أو الدخول فى الإسلام.

وبعد ذلك عثر ابن القاسم على أسرى السفن السيلانية، مما أعاد للأذهان ذكرى غدر داهر، ثم قام بعد ذلك ببعض الإجراءات الإدارية لاستقرار المسلمين هناك لأول مرة فى تاريخ الحملات الإسلامية على الهند، حيث ترك بالمدينة حامية مكونة من ٤٠٠٠ مقاتل، وبنى لهم مساكن جديدة ومسجداً جامعاً[٧٥]. ثم واصل بعد ذلك زحفه شمالاً حتى مدينة نيرون[٧٦] دون أن يلقى مقاومة شديدة، وقد يبدو غريباً ألا يتحرك داهر حتى الآن، فرغم أنه شعر باقتراب خطر المسلمين فإنه لم يقم بأية استعدادات لمواجهتهم، ويبدو أنه لم يلق بالاً للمسلمين اعتقاداً منه أنهم أضعف من أن يهددوه فى مملكته، وظهر ذلك فى الرسالة التى أرسلها لابن القاسم بعد تحركه نحو نيرون، والتى تفيض بلهجة التهديد واللامبالاة[٧٧].

لكن ابن القاسم لم يأبه بهذا التهديد وتقدم حتى أبواب المدينة، وكان أهلها قد أرسلوا اثنين من كهنتهم للحجاج يطلبون الصلح قبل وصول ابن القاسم إليهم، لذلك جنحوا للسلم دون مقاومة، وقام بدوره بالعفو عنهم بعد استشارة الحجاج، ثم تقدم نحو منطقة سيوستان وهنا توجه كهنتها البوذيين للحاكم وطالبوه بتسليم المدينة للمسلمين، وبالطبع رفض الحاكم ذلك لكنه اضطر للفرار مع جزء من حامية المدينة خوفاً من انقلاب أهلها عليه[٧٨].

ولكى نفسر هذا السلوك من جانب البوذيين لابد أن يكون ذلك فى إطار رد فعل كل من السلطات الحاكمة والسكان المحليين تجاه الفتح الإسلامى، فكما ذكرنا كان الصراع محتدماً بين البراهمة والبوذيين، ورغم أن غالبية السكان كانوا من البوذيين فإن السلطة كانت فى أيدى البراهمة، وأتبع هؤلاء سياسة جائرة ضدهم، ومن هنا كان هناك نفور دائم بين البراهمة من الأرستقراطية الحاكمة وعامة الشعب من البوذيين، وجاء هذا التنافر فى صالح المسلمين، لذلك كانت بعض العناصر المحلية لا تقاوم الفتح الإسلامى على الإطلاق، بل رحبوا بالحملات الإسلامية وساعدوها فى بعض الأحيان. ويرى أحد الباحثين[٧٩] أن تعاون البوذيين مع الفاتحين الجدد كان رغبة منهم فى الاتصال بالجانب المنتصر، خاصة مع اتساع معارضة البوذيين للبراهمة، كما يرى أيضاً استناداً على الكوفى أن البوذيين روجوا لنبؤة تبشر بفتح المسلمين للهند.

وفى هذا الاتجاه يذهب باحث آخر[٨٠]، حيث يرى أن المسلمين اكتسبوا تعاطف الطبقات المطحونة مما دفع هذه الطبقات لمساعدة المسلمين، وإن فسر باحث ثالث[٨١] هذا التعاون على أنه خيانة من جانب البوذيين. وهكذا كانت السلطات الحاكمة من البراهمة تقاوم الفتح الإسلامى بشدة، أما غالبية السكان من البوذيين فقد رحبوا بالفتح.

ثم واصل ابن القاسم تقدمه مستغلاً استسلام البوذيين، هذا الاستسلام الذى رفع من الروح المعنوية للمسلمين وحطم معنويات البراهمة، لذلك ما إن وصل إلى منطقة البدهة حتى قام حاكمها كاكا كوتال KakaKotal بالاستسلام لابن القاسم، بل وساعده فى القضاء على المقاومة فى منطقته[٨٢] وظهر هنا تأثره الواضح بالنبؤة التى بشرت بقدوم المسلمين، كما ظهر طموحه السياسى ورغبته فى الانضمام للجانب المنتصر.

وأدت تلك الانتصارات المتوالية لابن القاسم إلى وصوله لضفاف نهر السند الذى أصبح الفاصل الوحيد بينه وبين المعركة الفاصلة مع داهر، وهناك عرض حاكم المنطقة موكة بسايه Moka Bisaya المساعدة فى مقابل أن يدعم ابن القاسم مركزه، وبالفعل أمد المسلمين ببعض القوارب التى أعانتهم على عبور النهر[٨٣]، ويمكننا تفسير سلوك كاكا وموكا فى ضوء الطموح السياسى والرغبة فى الاحتفاظ بسلطانهم، لقناعتهم الشديدة بأن المسلمين هم الجانب المنتصر[٨٤].

وعلى الجانب الآخر لم يكن داهر مقدراً لكفاءة ابن القاسم، ولم يكن يتوقع تخلى بعض رجاله عنه، لذلك فقد فوجئ باجتياز المسلمين النهر، ومن هنا كان عليه خوض غمار موقعة حاسمة يتوقف عليها مصير مملكته كلها، وبعد مناوشات طويلة وفى التاسع من رمضان عام ٩٣هـ/ ٧١١م بدأت وقائع المعركة الفاصلة التى حشد فيها داهر كافة أسلحته، واستمرت المعركة عدة أيام انتهت بانتصار ساحق للمسلمين ومقتل داهر نفسه[٨٥].

وبعد هذا الانتصار الساحق اكتسح ابن القاسم شمال الهند باندفاعه السريع وكان السكان يرحبون به ويحتفون بمقدمه بصورة لم يألفها أى فاتح من قبل، فأثناء تحركه نحو مدينة الرور[٨٦] حاضرة السند عرج فى طريقه على مواطن قبائل الساما، وفور ظهور طلائع الجيش الإسلامى بدأ أفراد هذه القبائل يدقون الطبول ويعزفون ويرقصون احتفالاً وترحيباً بابن القاسم، وعندما استفسر الأخير عن تلك الضوضاء أخبروه أنها عادة القبائل فى ترحيبها بالحاكم الجديد[٨٧].

وأدى هذا التقدم الساحق للمسلمين إلى تغيير جذرى فى موقف البراهمة تجاه ابن القاسم، فأثناء تقدمه نحو الشمال الشرقى حاصر مدينة برهمناباد[٨٨]، وكان ابن داهر ويدعى جيسيه Jaysingh يتحصن بها، لكنه سرعان ما انسحب أمام ضغط المسلمين ودخل ابن القاسم المدينة، وبعد مناوشات مع حاميتها توجه إليه كبار رجال المدينة من البراهمة وطلبوا الأمان وكدليل على صدق تعاونهم قاموا بتسليمه أرملة داهر رانى لادى Rani Ladi وقد برر أحد الباحثين هذا السلوك بأنهم كانوا يرغبون فى حماية وضعهم المميز فى المجتمع الهندى[٨٩].

أما عن ابن القاسم فلم يخيب رجائهم، ومنحهم الأمان بجانب حرية ممارسة شعائرهم الدينية، بل زاد على ذلك بحفاظه على مكانتهم الاجتماعية وتعيين بعضهم كجباة للجزية فى المناطق المفتوحة[٩٠]. واستمر تقدمه بعدها حتى وصل إلى الرور حيث حاصرها حصاراً شديداً أدى بأهلها الى طلب الصلح، وبالفعل أجابهم لما طلبوه مع منحهم الحرية الدينية أيضاً[٩١].

استعد ابن القاسم بعد ذلك لخطوة هامة فى طريق الفتح الكامل للسند وهى فتح مدينة مولتانMultan[٩٢]، التى عدت من أعظم مدن السند وأحصنها، بجانب كونها العاصمة الدينية للمملكة وقبلة الحجاج البوذيين من شتى أنحاء الهند، لذا كان من الطبيعى أن تقاوم هذه المدينة بضراوة، وبالفعل ظل المسلمون يحاصرونها ما يزيد على الشهرين حتى نفدت مؤنهم واضطروا لأكل دوابهم، ثم بدت بوادر انفراجه لتلك الضائقة عندما دلهم أحد رجال المدينة على ثغرة فى أسوارها، استطاع

المسلمون عن طريقها نقب هذه الأسوار وهزيمة حاميتها[٩٣]، كما قام بأسر السدنة البوذيين الذين استماتوا فى الدفاع عن مدينتهم بوصفها أهم معاقل البوذية فى الهند.

ووجد المسلمون فى تلك المدينة تعويضاً عن تلك النفقات الباهظة التى تكلفتها هذه الحملة، حيث اعتاد الحجاج الهنود من زائرى المدينة أن يضعوا فى معبدها نذورهم من الذهب والجواهر، وبلغ من كثرة ما غنمه المسلمون من تلك المدينة أن أطلقوا عليها فرج بيت الذهب[٩٤]. بجانب ذلك أبقى ابن القاسم على المعبد الرئيسى للمدينة لإدراكه أن لذلك أهمية كبرى للحفاظ على فتوحاته، ولكى يتوافق ويتعايش فى سلام مع سكان المدينة[٩٥].

وأدى سقوط مولتان فى أيدى المسلمين إلى اتساع المجال أمامهم للتوغل شمالاً، لكن أنباءً مفاجأة وصلت إلى ابن القاسم بوفاة الحجاج جعلته يوقف زحفه ويعاود أدراجه نحو الرور ليرقب ما ستسفر عنه الأمور، وأثناء ذلك لم يقف ساكناً وإنما واصل إرسال الحملات على مختلف نواحى الهند، حيث أرسل حملة ضد مملكة كيرج[٩٦] والتى كان يحكمها أحد أفراد عائلة داهر، والتى كانت أيضاً معقل القراصنة الهنود واستطاع أن يخضعها لسلطانه[٩٧].

ونلاحظ أن اتجاه الحملة الأخيرة كان نحو الجنوب، وأنها وصلت حتى أعماق خليج كوچ Kutch وهو أمر جديد على ابن القاسم الذى اتخذ الاتجاه الشمالى منذ بداية رحلته فى الهند، والواقع أن اتجاهه للشمال منذ البداية كان أمراً حكمته أمور عديدة، فمن بين أسباب تلك الحملة كان الثأر من داهر نتيجة مواقفه العديدة تجاه السلطة الأموية، كما أن هذا الاتجاه كان طبيعياً خاصة مع وجود الثغور الإسلامية القريبة نحو الشمال، وكان التوجه نحو الجنوب من البداية يعنى وضع الجيوش الإسلامية بين فكى الرحى مما يعرضها لخطورة بالغة، كما أن العامل الطبيعى المتمثل فى تضاريس الهند كان يحتم ذلك، فالاتجاه نحو الجنوب عبر الطريق البرى كان يحتم اختراق نطاق واسع من صحراء راجبوتانا، بجانب سلسلة جبال وندیا Vindia التى مثلت حاجزاً فاصلاً بين الشمال والجنوب[٩٨].

على هذا النحو بدا التوغل جنوباً أمراً معقداً، ولكن ما الذى دفع ابن القاسم لذلك؟ بداية لابد أن نلاحظ أن هذا التوغل لم يتجاوز حدود مملكة السند وتوابعها، كما أن ابن القاسم أراد بذلك أن يحقق هدفاً هاماً من أهداف حملاته وهو القضاء على قوة القراصنة الذين هددوا السفن التجارية الإسلامية وتحدوا السلطة الأموية كما سبق أن رأينا. ويبدو أنه كان يؤجل تحقيق ذلك حتى ينتهى من الهدف الأساسى الذى كلفه به الحجاج وهو الوصول للصين، لكن تطورات الأحداث جعلته يتجه للقضاء على القراصنة حتى يحقق بذلك جانباً كبيراً من أهداف الحملة، على اعتبار أن الوصول للصين كان يستلزم وقتاً طويلاً.

بجانب ذلك اتجه ابن القاسم للقضاء على أقوى أعدائه فى الشرق وهى مملكة قنوج[99] لكن مشروع غزو قنوج لم يقدر له الاكتمال، وأصيبت الفتوحات الإسلامية فى الهند بانتكاسة خطيرة، فبعد وفاة الوليد بن عبد الملك خلفه أخيه سليمان عام ٩٦هـ/ ٧١٤م، وكان هذا الأمر بمثابة كارثة على الفتوحات الإسلامية بوجهه عام والهند بوجه خاص، فنظراً للخلاف القديم بين سليمان والحجاج فإن الأول قام بعزل كافة رجال الأخير[100]، ولم يكن ابن القاسم وحده ضحية هذا الخلاف فلم يكن مصير قتيبة أفضل منه، وحتى موسى بن نصير لم تكن معاملته أحسن حالاً ممن سبقوه، وزاد الطين بلة أن حاكم العراق الجديد كان موتوراً من الحجاج، لذلك لم يكتف بعزل ابن القاسم بل أمر القائد الجديد للجيوش الإسلامية فى الهند يزيد بن أبى كبشة بالقبض على ابن القاسم وتعذيبه، وأطاع يزيد الأمر وقام بتعذيبه ثم قتله بعد ذلك عام ٩٦هـ/ ٧١٥م[101].

على هذا النحو المؤسف انتهت حياة ابن القاسم، وانتهت معها حملته العسكرية على شمال الهند التى استغرقت قرابة أربع سنوات، امتدت من أواخر عام ٩٢هـ/ ٧١١م حتى عام ٩٦هـ/ ٧١٥م، وخلال تلك الفترة فتح مدخل وادى الهندوس الأدنى ووصل حتى الحدود الجنوبية لمملكة كشمير، ولا شك فى أنها كانت من أنجح الحملات الإسلامية على الهند، ولا يبزها فى ذلك سوى حملات محمود الغزنوى بعد ذلك.

كانت سياسة ابن القاسم الإدارية سبباً أساسياً لانتصاراته الناجحة، وذلك بوضعه أسس لمبادئ جديدة فى كل مدينة مفتوحة وهى مبادئ الصداقة والعفو، وأدى ذلك لدفع السكان المحليين لتدعيمه ضد حكامهم، حتى أن الكثير من سكان السند حزنوا لما أصابه[١٠٢]، ورغم أنه استخدم القسوة أحياناً فإن ذلك كان يتم عند الضرورة وكان من أسباب نجاحه أيضاً هو تأسيس مواطن جديدة للاستقرار ووضع حاميات عسكرية فى كل المدن الهامة.

أدى سقوط ابن القاسم إلى إضعاف الوجود الإسلامى فى الهند، حيث توقف تقدم المد الإسلامى، وباستثناء صحوات متقطعة، تحول المسلمون من الهجوم للدفاع عن الأراضى التى بحوزتهم. أما عن الجيش الإسلامى هناك والذى كان يلقى الدعم من الحجاج فقد رفض سليمان دعمه، وأرسل لهم رسالة محبطة يقول فيها " ازرعوا واحرثوا حيث أنتم فلا شام لكم "[١٠٣]، وهو هنا يعلن عن استغنائه عن خدماتهم وتسريحهم من الجيش، ولاشك أن ذلك كان قراراً خاطئاً من سليمان، حيث أدى لاضطراب أحوال المسلمين هناك خاصة بعد موت يزيد بن أبى كبشة بعد ١٨ يوماً من قدومه للسند، وأستغل جيسيه ابن داهر الفرصة واستطاع استرداد مدينة برهمناباد[١٠٤].

ثم حدثت صحوة جديدة لحركة الفتوحات الإسلامية بداية من عام ١٠٠هـ/ ٧٠٠م عندما تولى قيادة الجيوش الإسلامية فى الهند قائد قوى هو جنيد بن عبد الرحمن المرى، الذى أعاد للأذهان مرة أخرى ذكرى انتصارات ابن القاسم عندما نجح فى إعادة النفوذ الإسلامى للمناطق المتمردة، وبدأ بانتزاع برهمناباد من جيسيه ثم قتله، كما أرسل حملات متفرقة استطاعت الوصول حتى حدود كشمير، مما جعل حاكمها يطلب نجدة إمبراطور الصين ووضع نفسه تحت حمايته[١٠٥]، كما اتجه أيضاً نحو الجنوب وأرسل حملات على كاثيوار Kathiwar وبروص وأزين Odjein ومالوا Malva[١٠٦]، وهى مناطق تجمع القراصنة التى سبق لابن القاسم أن هاجم بعضها، وبلغت سطوة جنيد أن قام بعض الحكام الهنادكة كسب وده عن طريق إرسال الهدايا[١٠٧].

لكن هذه الصحوة لم تلبث أن انطفأت بعد أن قامت السلطة الأموية بنقل جنيد إلى خراسان لمواجهة تحركات بنى العباس هناك عام ١١١هـ/ ٧٢٦م. ولم يكن خليفته تميم بن زيد بنفس كفاءته، لذلك ساء وضع المسلمين هناك حتى أنهم فروا من المدن الهندية، وقام تميم نفسه بالفرار إلى العراق فى العام التالى. وعندما تولى الحكم بن عوانة مقاليد الجيوش الإسلامية فى الهند عام ١١٢هـ/ ٧٢٧م كان معظم أهلها قد ارتدوا عن الإسلام ولم يعودوا يجدون مكاناً مناسباً فى البيئة الهندية، لذلك قرر الحكم بناء مدينة جديدة لتكون حاضرة للمسلمين فى السند، وقام بالفعل ببنائها على الشاطئ الشرقى لنهر مهران وأسماها المحفوظة(١٠٨)، ويظهر من بناء هذه المدينة وما يوحى به اسمها الموقف الحرج للمسلمين هناك.

لكن الحكم سرعان ما لقى حتفه فى إحدى المعارك التى خاضها ضد المناطق المرتدة وخلفه عمرو بن القاسم الذى كان أحد قادته، وخلال عهده يبدو أن المحفوظة لم تتمكن من الصمود وحدها أمام ضغط السكان المحليين من الناحية الغربية لنهر مهران، لذلك قرر عمرو بناء مدينة حصينة أخرى على تلك الضفة من النهر وأطلق عليها اسم المنصورة(١٠٩)، واتخذ من المدينتين قاعدتين للهجوم على المناطق الهندية المناوئة للمسلمين، ورغم تلك الجهود إلا أن الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك قرر عزله وقام القائد الجديد بسجن عمرو، ويبدو أن الأخير قد استرجع ما حدث لوالده من تعذيب لذلك قرر أن ينهى حياته بنفسه عام ١٢٥هـ/ ١٧٤٢م(١١٠).

وخلال تلك الحقبة الأموية نجد أن ثمة حقيقة هامة، وهى أن السلطة الأموية لم تستطع التحكم الفعلى فى الولاية الإسلامية فى السند، وأدى ذلك لتحويلها لملاذ للفارين من الجزء المركزى من الدولة، ومن الحالات الهامة للجوء الخارجين على الدولة إلى السند حالة منصور بن جمهور، وكان ظهور ذلك الرجل على مسرح الأحداث خلال العقد الأخير من عمر الدولة الأموية، وهو رجل يدل ماضيه على طموح سياسى يتعدى المنظور العقائدى، فرغم أنه أعتنق أفكار ومبادئ الخوارج، فإنه انضم للبلاط الأموى وصار أحد موظفيه عندما عمل كوالى على العراق(١١١) لكنه سرعان ما عاد لمبادئه الثورية حين انضم لثورة عبد الله بن معاوية الشيعية عام

١٢٧هـ/ ٧٤٤م[١١٢]، وعندما فشلت تلك الثورة فر إلى السند حيث كانت تربطه بواليها يزيد بن عرار صلة قرابة، لكن الأخير خشى من غضب الخليفة الأموى أو بالأحرى طموح منصور، لذلك أخبره بأنه ضيف غير مرغوب فيه، وأمام ذلك قام منصور باستقطاب بعض العناصر المتمردة وتمكن من هزيمة يزيد وأنتقم منه انتقاماً بشعاً حين قام بدفنه وهو حى، ثم دخل المنصورة وأرسل بعض الحملات لتوطيد نفوذه فى شمال الهند، وظل فى موقعه حتى قيام الدولة العباسية[١١٣].

مما سبق يمكننا أن نحدد ملامح العلاقات العربية الهندية خلال العصر الأموى على النحو التالى:

استمرت محاولات فتح الهند فى بداية هذا العصر على نمط العصر الراشدى فى إطار التنظيم الثغرى، من حيث عدم انتظامها أو اتخاذها إجراءات كفيلة باستقرار المسلمين فى المناطق المفتوحة.

تبدلت الأمور فى عهد الوليد بن عبد الملك، وتطورت الحملات الإسلامية لتتخذ شكلاً أكثر انتظاماً وفاعلية نتيجة عوامل داخلية وخارجية، وبفضل مشروع الحجاج الطموح وعبقرية ابن القاسم، لكن الفتوحات سرعان ما أصيبت بانتكاسة من جراء عزل ابن القاسم ثم نقل جنيد المرى إلى خراسان.

من خلال تلك الأحداث يمكننا أن نقرر أن ثبات الحكم الإسلامى فى السند كان يتأثر بانعكاسات الأحداث فى الشام والعراق، فتحكم الخلفاء وولاة العراق فى عزل وتعيين الولاة أدى لعزل ولاة أقوياء كابن القاسم وجنيد، وتعيين ولاة ضعاف كتميم بن زيد، مما كان له كبير الأثر على قوة حركة الفتوحات وكفاءة الحكم الإسلامى فى شمال الهند، كما أن كثرة تعيين الولاة أدت فى النهاية لعدم استقرار الأمور هناك.

هوامش التمهيد

(١) للوقوف على معلومات العرب عن الهند قبل الفتح الإسلامى لها انظر:

Saddiqi, M., India as known to the ancient Arabs , IAC, 5 (1957), pp.275 - 281.

وللمزيد من التفاصيل عن العلاقات المبكرة بين عرب شبه الجزيرة والهند انظر،

Nadvi, S., The Early Relation between Arabia and India , IC, 11 (1937), pp.172-181.

(٢) عن المراكز العمرانية المبكرة التى أقامها العرب فى الهند انظر، شيخ محمد إكرام، إسلامى هند وپاكستان كى مذهبى أور علمى تاريخ عهد مغليه سى بهلى، جلد أول، دهلى، ١٩٩١، ص ٤١ - ٥٠؛

Nadvi, Muslim colonies in India before the Muslim conquest , IC, 8 (1934), pp.477-489, 600 - 620; 9 (1935), pp.144-166, 423 - 442.

وعن الهجرات الهندية المبكرة للمناطق العربية انظر، المباركبورى، من النارجيل إلى النخيل، ثقافة الهند، ١٩٦٥، ص ٣٣ - ٦٦.

(٣) ذهب الباحث الهندى محمد إسحاق إلى أن تاريخ هذه الحملات يرجع لعام ٢٣هـ/ ٦٤٤م مستنداً على أدلة غير مقنعة، لكن بلوتش رد عليه وفند هذا الرأى وأثبت أن تاريخ هذه الحملات يرجع للجزء الأخير من عام ١٥هـ/ ٦٣٦م. لمزيد من التفاصيل انظر،

Ishaq, M., A peep into the First Arab expeditions on India under the companions of the Prophet , IC, 19 (1945), pp.109-114; Baloch, N., The probable date of the First Arab expeditions to India, IC, 20 (1946), pp.250-266.

كما ذهب نجم بعيداً حين وضع تاريخاً غريباً لتلك الحملات وهو عام ١١هـ/ ٦٣٢م انظر:

Nigam, S., Religious attitude of Muslim rules in India , IC, 56 (1982), p.97.

(٤) هى الآن عاصمة إحدى محافظات ولاية مهاشترا الجديدة، وتقع بالقرب من مدينة بومباى، وللمزيد من التفاصيل عنها انظر، الادريسى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ج١، القاهرة ١٩٩٤، ص١٩١؛ سيد رضوان على، تعريف مدن الهند وتحديدها الواردة فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى، مجلة العصور، المجلد الثانى، الرياض، ١٩٨٧، ص ١٣٩

Reinaud, M., Memoir geographique historique et scientifique sur l'Ind (Frankfurt, 1993), p.169.

(٥) وهى الآن إحدى مديريات إقليم كجرات وللمزيد من التفاصيل عنها انظر ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج١ ، بيروت ، (ب . ت) ، ص ٤٠٤ ؛

Ninar, M., Arab geographer's knowledge of southern India, (Madras, 1942) , p.27.

(٦) من أهم موانئ السند ، وهى مشتقة من الكلمة السنسكريتية Delvalaia وتعنى مقام الآلهة وتقع الآن بالقرب من مدينة كراتشى وتعرف أطلالها باسم بانبهور وللمزيد عنها انظر ، الادريسى ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٦٧ ؛ إبراهيم البلوشى ، ميناء ديبل عند الفتح الإسلامى ، التاريخ العربى ، العدد الثالث ، ١٩٩٧ ، ص١١١ ـ ١٢٩ ؛

Nadvi, Daibul , JPHS, 1(1953), pp.8-14; Pathan, M., The ruins of Bahmbhor and its identification with Al Daybul the Arab seaport of Sind , IC, 43 (1969), pp.297-304; Khan, H., Debal and Mansura: the historical cities of the early Islamic period, PJHC, 2 (1981), pp.103 - 122.

(٧) ومن تلك الأحاديث ما رواه النسائى فى سننه عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال : «عصابتان من أمتى أحرزهما الله من النار ، عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم» ، كما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : «وعدنا رسول الله غزو الهند ، فإن أدركتها أنفق فيها نفسى ومالى ، وإن قتلت كنت أفضل الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر» انظر النسائى ، كتاب السنن الكبرى ، تحقيق عبد الغفار سليمان ، سيد حسن ، ج٣ ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص٢٨ ؛ أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج٢ ، القاهرة (ب . ت) ، ص ٢٢٨ ؛ ابن الأثير ، النهاية فى غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر الحمزاوى ، محمود الطناحى ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١١٢ ؛ الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج٥ القاهرة ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٨٢ .

(8) Friedmann, Y., A contribution to the early history of Islam in India , in Myriam Rosen Ayalon (ed.), Studies in memory of Gaston Wiet, (Jerusalem, 1977), p.319; Titus, M., Islam in India and Pakistan, (Calcutta, 1959), p.8

(٩) للوقوف على معارك العلاء الحضرمى ضد البحرية الفارسية انظر ، محمد أرشيد العقيلى ، دور الخليج العربى فى الفتوحات الإسلامية ، ندوة مكانة الخليج العربى فى التاريخ الإسلامى جامعة الإمارات ، ١٩٨٨ ، ص ١٥٦ ـ ١٦٨ .

(١٠) عن خبرة أهل عمان والبحرين وانتشارهم فى الأقاليم المجاورة لهم انظر ، فاروق عمر ، انتشار العرب فى أقاليم الخليج العربى الشرقية فى العصور الإسلامية الأولى ، ندوة مكانة الخليج ، ص٦٢ ـ ٧٠ .

(١١) تقع كجرات على الساحل الغربى للهند وللمزيد عنها انظر ،

Talwalkar, V., Gujarat in medieval times , PROC.7th ALL-IND.OR. CONF. (1933), pp.555 - 567.

(١٢) للوقوف على طبيعة هذا الصراع ودوافعه انظر ، جورج حورانى ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى ترجمة السيد يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٩٧ ـ ١٠٥ ؛ هايد ، تاريخ التجارة

فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ج١ ، ترجمة أحمد محمد رضا ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢- ٢٤ ؛ رأفت عبد الحميد ، الصراع الدولى حول شبه الجزيرة العربية فى القرن السادس الميلادى ، الإمبراطورية البيزنطية ، ج١ ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٩٥- ٢٤٩ .

(١٣) سيتم مناقشة هذه النقطة بالتفصيل فى الفصل الثانى .

(14) Prassad,I., History of medieval India,(Allahabad ,1952),p.53; Lanepoole, S., Medieval India under Mohammedan rule,(London , 1971) , p.20; Titus, Islam in India ,p.37.

(١٥) عن هذا الرأى انظر ، المباركبورى ، العقد الثمين فى فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص٤٣ ؛ التوم الطالب محمد ، فتح إقليم السند وانتشار الثقافة العربية الإسلامية ، المؤرخ المصرى ، ١٩٨٩ ، ص ٧٩ ؛ عبد الله محمد جمال الدين ، التاريخ والحضارة الإسلامية فى الباكستان ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٨ .

(١٦) الكوفى ، فتحنامه سند ، ص ٨٣ .

(١٧) ناقش فريدمان هذه العبارة باستفاضة فى بحثه الذى وضعه حول الجزء الخاص بفتح السند فى تاريخ البلاذرى ، حيث تتبع أصل هذه العبارة فى المصادر التاريخية راجع :

Friedmann, Y., " Minor problems in Al-Balduris account of the conquest of Sind" RSO , 45 (1970), pp.253-260.

(١٨) البلاذرى ، فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٤٢٠ ؛ وقد فسر ماهاجان هذا الرد على أنه فشل لتلك الحملات ، رغم ما يفهم من الرد من أنه لم تكن هناك خسائر بشرية أو مادية فادحة انظر :

Mahajan, D., Muslim rule in India, (New Delhi, 1970), p.17.

(١٩) حيث روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «غزوة فى البحر مثل عشر غزوات فى البر» انظر ، ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، كتاب الجهاد ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٢٠ .

(٢٠) الطبرى ، تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ج٣ ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١١٢ .

(٢١) تقع كرمان فى الجنوب الغربى لإيران وللمزيد عنها انظر ؛ محمد نصر عبد الرحمن ، كرمان منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية الدولة الطاهرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين شمس ، ١٩٩٩ .

Lestrange, G., The cities of Kirman , JRAS, (1901),pp.281-290.

(٢٢) تقع مكران فى الجنوب الشرقى من إيران وللمزيد عنها انظر ، المستوفى ، نزهة القلوب ، بسعى واهتمام لسترانج ، لندن ، ١٩١٩ ، ص ١٤١ ؛

Holdish, Notes on ancient and medieval Makran , GJ, (1896) , pp.387 - 405.

(٢٣) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ١٨١- ١٨٢ ويسمى أيضاً نهر السند أو الأندوس ، وإليه نسب الجزء الشمالى من الهند فعرف بمملكة السند ، وللمزيد من التفاصيل عنه انظر ، القزوينى آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، (ب . ت) ، ص ١٢٥ ؛

Raverty,H., The Mihran of Sind and its tributaries , JRSB ,(1979) , pp. 158-164 ; Ferrand,G., Relations de voyages et textes geographiques arabs, persans et turks relatifs á l extréme-orient du viiie au xviiie siécles, (Frankfurt , 1993), pp.94-95.

(٢٤) مجهول، مجمل التواريخ والقصص، تصحيح بهار، تهران ، ١٣١٨ش ، ص ٢٧٩ .

(٢٥) للوقوف على طبيعة هذه القبائل انظر،

Bosworth, C., The Kufishes or Qufs in Persian history , JBIPS, 14 (1975), pp.9- 17.

(٢٦) ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، ج١ ، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٦٧ ، ص ١٧٩ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٢١ ؛ ونلاحظ أن هذا الوصف قد اكتسب شهرة تاريخية ، حيث نسبته بعض المصادر العربية لمواضع وأشخاص آخرين ، انظر مثلاً الدينوري ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم النمر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٣٢١ ابن قتيبة ، عيون الأخبار، ج٢، القاهرة ، ١٩٢٥ ، ص ١٩٩ .

(٢٧) من أهم الأقاليم الفارسية ، وللمزيد من التفاصيل عن ملامح جغرافيته انظر ، القزويني ، آثار البلاد ص ٢٠١ـ٢٠٢ ؛

Tate, S., Seistan, A memoir on the history, topography, ruins and people of the country, (Quetta, 1977).

(٢٨) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ، ١٦٤ .

(٢٩) الكوفي ، فتحنامه سند ، ترجمة بلوش ، دمشق ، ١٩٩١ ص ٨٧ .

(٣٠) تأثر هذا التنظيم إلى حد ما بالنظام البيزنطي في حماية الحدود ، وأساسه أن تنشأ سلسلة من الحصون على الحدود يركز فيها المقاتلة والجنود والمجاهدون والمرابطون وتحشد المؤن والذخائر ، انظر، حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٩ .

(٣١) عن هذا الرأي انظر، إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٢٦ ؛

(٣٢) البلاذري ،فتوح البلدان ،ص ٤٢١ ؛ خواندمير، حبيب السير في أخبار البشر ، جلد دوم ، تهران ١٣٥٨ ش ، ص١١٨ .

(٣٣) عن تلك المملكة وعلاقتها بالدولة الإسلامية انظر، إصلاح عبد الحميد ريحان ، علاقة كابل بدولة الخلافة من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الطاهرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين شمس ، ١٩٩١ .

(٣٤) تقع بنة في غرب باكستان وتسمى الآن بنوكوهات ,والأهوار هي لاهور الحالية وللمزيد انظر، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٥٠١ .

Yusuf, S., AlAhwar, Lokhot and Lahowur , IC, 21 (1947), pp.52-55 ; Baqir, M., Lahor during the Pre-Muslim period , IC,22 (1948) , pp.295-309.

(٣٥) عن هذا الرأي انظر،

Elphinstone,M., The history of India , the Hindu and Mohametan period , (London , 1911) ,p.306 ; Rashid, K., The first Muslim invasion of the north west frontier of

the Indo - Pakistan subcontinent. (44 A.H / 664-5 A.D) , JASP, 8ii (1963), pp.25-32; Fatmi, S., First Muslim invasion of N.W frontier of the Indo- Pakistan subcontinent 44 A.H, 664-5 A.D , JASP, 8 (1963), pp.37-45.

(٣٦) للوقوف على التوصيف الجغرافي لهذه المناطق انظر ،القزويني ، آثار البلاد ، ص ١٠٤ الادريسى ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ١٧٥ ؛ لسترانج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس ، كوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص ٣٧٠ ؛

Fussman , J., Notes sur la topographie de l ancienne kandhar , RAA, 13 (1966), pp.33-58.

(٣٧) البلاذرى ،فتوح البلدان ،ص ٤٢٢ ؛

Friedmann, Minor problems,pp.253-255 ; Rienuad, Fragments arabes et persans inedits relatifs Alinde (Frankfurt , 1993), p.183.

(٣٨) للوقوف على ملامح شخصية الحجاج وسياسته في الجناح الشرقى من الدولة انظر ، مجهول العيون والحدائق وأخبار الحقائق ، بغداد ١٩٦٩ ، ج٣ ، ص ١١ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق محمد اسماعيل الصاوى ، القاهرة ١٩٢٤ ، ص ٩٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق احسان عباس ، ج٢ ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٩ـ٥٥ ؛

Périer, J., Vie d Al-Hadjdaj ibn Yousf,(Paris , 1904) ; Abdul Hakim, Authority and Law under Hajjajs administration , PROC.3rd.P.conf. 1962, pp.73-80. Habib, I., A study of Hajjaj bin Yusufs outlook and polices in the light of the Chachnama , BIS, 6-7 (1962-3), pp.34-48.

(٣٩) عن موقع هذه البلاد وعلاقة المسلمين بها قبل الحجاج انظر ،القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٥٥٧ محمد عبد الهادى شعيرة ،الممالك الخليفة أو ممالك ما وراء النهر ،مجلة كلية الآداب- جامعة فاروق ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص٤- ٢١ ؛ أحمد تونى عبد اللطيف ، الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك ، أبحاث المؤتمر الدولى (المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز) ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٣، ص ٤٩ - ٦٩؛

A survey of the expansion of Islam into central Asia during the ;Hassan, A ., , IC, 44 (1970), pp.165-175.;Umayyad Caliphate

(٤٠) ترجع جذور تلك الأسرة إلى بنى سامة بن لؤى إحدى قبائل قريش ، وللمزيد من التفاصيل عن بداية تواجدهم فى مكران انظر ، الكوفى ، فتحنامه سند ، ص ٧٩ـ ٨٠ .

(٤١) ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، ج١ ، ص ٣٥٦ ؛ البلاذرى ، فتوح البلدان ،ص ٤٢٣ .

(٤٢) للوقوف على ظروف هذا التمرد وأسبابه انظر ، مجهول ، تاريخ سيستان ، تصحيح بهار ، طهران ١٣١٤ ش ، ص ١١٣ - ١١٨ ؛ فتحى أبو سيف ، حركة عبد الرحمن بن الأشعث وأثرها على ولايات المشرق الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٩١ ؛ عبد المجيد أبو الفتوح ، ثورة عبد الرحمن بن الأشعث ، مجلة كلية الآداب- جامعة المنصورة ، ١٩٨٢، ص ١- ١٥؛

Alfaruque, M., The revolt of Abd al-Rahman ibn al-Ashath: its nature and causes , IS, 25 (1986), pp.289-304.

(43) Reinaud, Mémoire geographique, p.179

(٤٤) عن تفاصيل تلك الحملة انظر ,عبد الشافى محمد ,الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر , أبحاث المؤتمر الدولى ,ص ١٥-٢٢ .

(٤٥) للوقوف على أحوال البحرية الإسلامية فى تلك الفترة انظر ,أحمد مختار العبادى ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١٣ـ ٥٩

Nadvi, S., Arab navigation, IC, 15(1941), pp.435-448; 16 (1942), pp.72-86, 182-189, 404- 422; Abdul Ali, Arabs as seafarers, IC, (1980), pp.211-222.

(٤٦) فتوح البلدان ,ص ٤٢٣ ؛ فرشته ، تاريخ فرشته ، ج٢، بومباى ، ١٩٠٠ ، ص ١٣٢ .

(٤٧) وهى سرنديب أوسيلان وللمزيد من التفاصيل عنها انظر ,الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٧٢ ،٧٤؛ البيرونى ، الجماهر فى معرفة الجواهر ، حيدر آباد ، ١٣٥٥ هـ ، ص ٤٦ ـ ٤٧

Nafis, A., The Arabs knowledge of Ceylon , IC, 19(1945), pp.223-241; Cook, K., Ceylon its geography, its resource and its people, (London , 1953), pp.26-28 ; Fatmi, S., The identification of Jazirat Al-Yaqut , JASP, 9 (1964), pp.19-35.

(٤٨) فتحنامه ,ص ٩٦- ٩٧ .

(٤٩) عن هذا الرأى انظر ،

Mahajan, Muslim Rule,p.17 ; Brown, J., The history of Islam in India , MW, 39 (1949), pp. 11-25 ; Ikram, S., History of Muslim civilization in India and Pakistan , (Lahore, 1982) , p.3.

(٥٠) عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣٥ .

(٥١) البلاذرى ,فتوح البلدان ,ص ٤٢٣ ؛ الكوفى ,فتحنامه ,ص ٩٨ .

(٥٢) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٤٧ .

(٥٣) عن شخصية ابن القاسم وجهوده فى فتح شمال الهند انظر ,الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٠٠ وما بعدها ؛ محمود شيت خطاب ، محمد بن القاسم الثقفى فاتح السند ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد ١٦ ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٧ـ ١٤٨ ؛ المباركبورى ، رجال السند والهند ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٥٠٠ ـ ٥٠٤ ؛

Gabrieli, F., Muhammed Ibn Qasim Ath- thaqafi and the Arab conquest of Sind , EW, 15 (1965), pp.281-295; Abbasi, M., Muhammad Bin Qasims conquest of Sind (A military appraisal) , JCA, 2 (1979), pp.159-188.

(٥٤) عن إنجازات ابن القاسم فى فارس انظر ،

Baloch, G., Muhamed Ibn Al- Qasim. A study of his family background and personality , IC, 27 (1953) , pp.242-271.

(٥٥) ويذكر البلاذرى أن البريد كان سريعاً و منتظماً بينهما حتى أن رسائل الحجاج كانت تصل لمحمد فى ثلاثة أيام فقط انظر ، البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٢٤ . وانظر بالملاحق نماذج من الرسائل المتبادلة بين الحجاج ومحمد بن القاسم .

(٥٦) الكوفى ،فتحنامه ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(57) Muslim rule, p.16.

(٥٨) جوستاف لوبون ، حضارات الهند ، ترجمة عادل زعيتر ،القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٢٩٥ .

(٥٩) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ، نشر دى غويه ، ليدن ، ١٨٨٩ ص ٣٣ ؛ الساداتى ، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ١٦ .

(٦٠) وتطلق المصادر الإسلامية على الجت اسم الزط وهم الزنوج من الهنود ، وللمزيد من التفاصيل عن هذين العنصرين انظر ، البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٦٦ ـ ٤٦٩ .

Bahadur, G., The Meds of Makran , IN.A, XI (1941), pp.147-149 ;Elliot, H. & Doson, J., The History of Hndia as Told by its Own Historians , The Muhammadan Period , vol.I , (Frankfurt ,1997), pp.507-508 ; 519-530

(٦١) الكوفى ،فتحنامه سند ، ص ٦٢ .

(٦٢) عن النواحى العقائدية لدى هذين العنصرين وطبيعة الصراع بينهما انظر ، الكرديزى ، زين الأخبار ، ترجمة عفاف زيدان ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٤٩٤- ٤٩٦ ؛ البيرونى ، تحقيق ما للهند، ص٥٧ ؛ فيلسين شاله ، تاريخ مختصر أديان بزرك ، ترجمة منوجهر خدايا ، تهران ١٣٥٥ ، ص ٩٧- ١١٥ ؛ حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية فى أسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٥- ١٦ ؛

Prassad, Medieval India, pp.30-32; Brown, History of Islam, p13.

(63) Majumdar, C., An advanced history of India ,(London, 1950), P.275.

(64) Mahajan, Muslim rule, p.25

(٦٥) اختلف المؤرخون حول تاريخ هذه الحملة ، فالطبرى وابن الأثير يجعلانها قبل عام ٩٠هـ/ ٧٠٩ م، أما البلاذرى فلا يحدد تاريخاً لها ، وهناك من يرى أنها انطلقت عام ٩٢هـ/ ٧١١ م مثل ابن خياط والكوفى ، وهو ما تستقيم له الأحداث انظر، ابن خياط تاريخ ابن خياط ، ج١ ، ص٤٠٤ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٢٤ ؛ الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ص ٤٤٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص ٥٣٦ ؛ الكوفى ، فتحنامه ص ١٥ .

(66) Powel, A history of India , (New York , 1955) , p.99.

(٦٧) وفنزبور الآن تسمي بنج كور ، أما أرمابيل فأطلالها تقع الآن فى مقاطعة لاس بيله فى بلوجستان انظر ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٥٢ ؛ لسترانج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس ، كوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤ ، ص ٣٦٨-٣٦٩ ؛

Spooner,B., Notes on the Toponomy of the Persian Makran , Iran and Islam , 1971,pp.217-533.Holdish , Notes on makran , p.400 ; Rooman , A., Baluchistan in Our History , JPUHS, ii (1960) ,pp.1-5 .

(٦٨) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٢٤ .

(٦٩) للوقوف على عبقرية ابن القاسم الحربية انظر ، الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٢٢ وما بعدها ؛

Baloch, Muhammad ibn al- qasim, p.261.

(٧٠) المصدر السابق، ص ٤٢٤ .
(٦١) المصدر السابق، ص ١٠٩ .
(72) Qureshi, I., The Muslim community of the Indo-Pakistan subcontinent (The Hague, 1962), p.39.
(٧٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٢٥ .
(٧٤) عن هذا الرأى انظر ،
Titus, Islam in India, p.19; Prassad, Medieval India, p.57.
(٧٥) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٤٢٥ .
(٧٦) وتسمى أيضاً نيرون كوت ، وتقع الآن بالقرب من حيدر آباد وللمزيد عنها انظر ، الادريسى ؛ نزهة المشتاق، ج١ ، ص ١٦٨ .
(٧٧) عن نص هذه الرسالة انظر ، الكوفى ، فتحنامه ، ص ١١٣- ١١٤ .
(٧٨) الكوفى ، المصدر نفسه ، ص ١٢٠-١٢١ .
(79) Qureshi , The Muslim Community , p.38.
ويبدو أنها كانت نبؤة عامة فى الهند ، حيث ذكر الكوفى فى موضع آخر أنه كانت هناك نبؤة برهمية مشابهة انظر ، الكوفى ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ .
(80) Ikram, Muslim civilization, p.9.
(81) Majumdar, An advaced history, p.274.
(٨٢) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٢٢ .
(٨٣) الكوفى ، المصدر نفسه ، ص ١٤٩ .
(84) Friedmann, Islam in India, p.326.
(٨٥) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٦١ .
(٨٦) وتقع الآن جنوب شرق حيدر آباد ، وللمزيد عنها انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان ، ج٣ ص ٢٥٣؛
Minorsky,V., Les Tsiganes Luli et Lurs Persans, JA , (1931),pp.281-305.
(٨٧) الكوفى ,المصدر السابق ,ص ٢٠٠ .
(٨٨) ويعنى أسمها مدينة البراهمة ، وتقع الآن شمال شرق حيدر آباد وللمزيد عنها انظر، الاصطخرى، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، مراجعة محمد شفيق غربال القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٠٢ .
Haig, N., " On sites of Bramanabad and Mansura in Sind ", JRAS, xvi (1886),pp.281-294 ; Elliot , The history of India , p.369.
(89) Friedmann, Islam in India, p.326.
(٩٠) الكوفى، فتحنامه، ص ١٩١ .
(٩١) البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٤٢٦ ؛ اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج٢ ، ص ٢٨٩ .

(٩٢) وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة السنسكريتية Maliathan والتى تعنى موضع قبيلة مالى، تلك القبيلة القوية التي كانت تقطن المنطقة زمن الإسكندر المقدونى وللمزيد عنها انظر : القزويني، آثار البلاد، ص ١٢١ ـ ١٢٣ ؛

Pathan , M., "Multan under Arabs", IC , 43(1969), pp.13-20 ; Maqbul, A., "Multan (as described by Arab writers) , JIH , (1973) , pp.361-367.

(٩٣) الكوفى، المصدر السابق، ص ٢١٤ .

(٩٤) للوقوف علي طبيعة ثروة هذه المدينة ومصدر دخلها انظر :

Whitehead , R ., " Multan : the house of gold" , N.CH , 5 th ser. (1937) , pp.60-72.

(95) Reinaud , Mémoire géographique , p.185.

(٩٦) وكيرج هى الصفة المعربة لكيره، وتقع الآن على بعد عشرين ميلاً إلي الغرب من أحمد أباد، وللمزيد من التفاصيل عنها انظر : المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٤٦، ج١، ص ١٦٩ ؛

Magumdar, R., "The kingdom of Kira" , IHQ , 9 (1933) , pp.11-17.

(٩٧) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٢٧ .

(٩٨) للوقوف على الطبيعة الجغرافية للهند انظر ،

Spate, O., India and Pakistan, A general and regional geography, (London, 1954), pp.594-597

(٩٩) للوقوف على أحوال تلك المملكة انظر ، المسعودى ، مروج الذهب ، ج١ ، ص ١٦٦ ؛

Nadvi, S., Qannauj (an Inquiry into the origin and geographical position of the city) ", IC, 7(1943), pp.361-377.

(١٠٠) مرجع هذا الخلاف أن الوليد رغب فى عزل سليمان عن ولاية العهد وأيده الحجاج فى ذلك ، لذلك أسرها سليمان فى نفسه ولم يبدها إلا بعد وفاة الوليد ، لذا انتقم من رجال الحجاج ، انظر الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٦، ص ٤٩٩ .

(١٠١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٢٨ .

ويذكر الكوفى رواية غريبة مؤداها أن الوليد هو الذى استدعى ابن القاسم للمثول بين يديه ، ثم أمر بقتله لأن إحدى ابنتى داهر اللتان سبق أسرهما وارسلتا لدمشق ادعت أن ابن القاسم أعتدى عليها . وتلك الرواية مختلقة بالطبع ، لأن الثابت تاريخياً أن الذى عزل ابن القاسم هو سليمان وليس الوليد. وقد تعرض أحد الباحثين الهنود لتلك المسألة فى دراسة حول نهاية ابن القاسم قارن فيها بين رواية الكوفى والروايات التاريخية الأخرى ، وانتهى إلى عدم صحة رواية الكوفى انظر ، الكوفى ، فتحنامه ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٢ ؛

Jaffar, S., "End of Imad- Uddin Muhammad Ibn Qasim the Arab conqueror of Sind ", IC, 19 (1945(, pp.54 -68; Friedmann , Minor problems , pp.258 - 260; Gabrieli, F., "Muhammed Ibn Qasim , pp.292-295.

(١٠٢) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٤٢٨ .

(١٠٣) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ص ٤٩٩ .

(١٠٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٢٩ .

(١٠٥) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٣١٦ .

(١٠٦) تقع تلك المناطق على الساحل الغربى للهند وللمزيد من التفاصيل عنها انظر ، سيد رضوان ، تعريف مدن الهند ، ص١٤٤ ؛

Law , B. , Historical geography of ancient India , (Pris, 1954) , pp.197-299 ; Spate ,

(١٠٧) عن طبيعة تلك الهدايا انظر ، ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، تحقيق محمد حميد الله ، مراجعة صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٧٩ ، ص ١٤- ١٥ .

(١٠٨) اليعقوبى ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

(١٠٩) وقد رأى بعض الدارسين أن الذي بنى تلك المدينة هو الحكم بن عوانة اعتماداً على نص للبلاذرى ، رغم أن الأخير ذكر أن الحكم أمر ببنائها فقط ولم يمهله القدر لتنفيذ ذلك انظر :

عبد المنعم النمر ، الإسلام فى الهند ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٧٧ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف ، بلاد الهند فى العصر الإسلامى القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص١٥ . وقد قام أحد الباحثين الهنود بدراستين حول مؤسس تلك المدينة وموقعها الجغرافى ، وانتهى إلى أن عمرو هو مؤسس تلك المدينة انظر ،

Pathan, M., Foundation of al Mansura and its situation , IC , 38 (1964), pp.183 194; Present ruins of al Mansura , IC , 42 (1968), pp.25 -33.

(١١٠) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ص ١٢٦ .

(١١١) ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، ج٢ ، ص ٣٨٩ .

(١١٢) عن تلك الثورة أسبابها وأحداثها انظر ، الأصفهانى ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ١٩٩ ؛

Tucker, W., Abd Allah ibn Muawiya and the Janahiyya : rebels and ideologues of the late Umayyad period , SI, 51 (1980) , pp.39 -57.

(١١٣) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٣٤٠ .

الفصل الأول



ورث العباسيون عن أسلافهم الأمويين إمبراطورية مترامية الأطراف، امتدت من نهر جيحون Oxus شرقاً حتى شواطئ الأطلسى غرباً. وكانت الولاية الإسلامية فى السند ضمن هذا الإرث، حيث تركها الأمويون جنيناً فى رحم التاريخ لم يكتمل، فلم يورثوها تخوماً آمنة مع ممالك الجوار، ولم يخلفوا بها مؤسسات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية قادرة على حفظ هذا الكيان لفترات طويلة. لذلك ورث العباسيون هذا الكيان المبتسر الذى كان أشبه بجزيرة منعزلة وسط محيط معادى، ومن المعروف أن هذا الكيان أقام وجوده بالقوة ويستمر بها، وبحكم نظرته إلى حاضره ومستقبل وجوده، سوف يكون جهده الأساسى بل الكلى منصرفاً نحو تعزيز وجوده هناك، وشن الحرب باستمرار فى الجغرافية التى يسيطر عليها، وفى الجغرافية المحيطة التى يطمع بالتوسع فيها. لكن ذلك لم يكن يعنى أن الحراك العباسى نزاع للعدوانية، فلا شك أن تلك الظروف هى التى دفعت لذلك دفعاً ذرائعياً.

وقد قامت العلاقة بين الدولة العباسية والهند على ثلاثة محاور فاعلة، الأول يختص بالولاية العباسية فى الهند (السند)؛ والثانى يتعلق بالإمارات العربية التى نتجت عن الانشطار الكلى لتلك الولاية، والمحور الأخير يتجه لممالك الجوار الهندية. ويمثل هذا التمرتب الثلاثى النسق العضوى لتلك العلاقات، والذى تقولبت وفقه السياسة التكتيكية العباسية. وبالنسبة للمحور الأول، ووفقاً للرؤية

السابقة لفلسفة السياسة العباسية الخارجية، فإن الشاغل الأول للعباسيين كان إخضاع السند لسلطتهم الجديدة، ثم ضمان الأمن الداخلي داخل هذا الكيان بما يؤكد على تلك السلطة، ويحتفظ بهذا الكيان داخل الفلك العباسي. ومن أجل ذلك حظى الكيان العباسي هناك بدعم سياسي وعسكري صريح من السلطة العباسية لتحقيق هذا الغرض.

ولاشك أن الهاجس الأمني مثل أهمية قصوى في علاقة العباسيين بولاياتهم بوجه عام، والسند بوجه خاص. ويلوح لنا أن هناك عناصر ثلاثة مثلت تهديداً مباشراً له. الأول الصراعات الاثنية التي لوثت المحيط السياسي ليس في الولاية وحدها، بل في غالبية جسد الدولة؛ تلك الصراعات التي تكررت ملخصة أو مطولة في المصادر التاريخية، ومفادها الدائم يشدد بصرامة على أن العباسيين كانوا سبباً مباشراً لتفاقمها. ومرجع ذلك أن النظام العباسي في الولايات كان نظاماً متراتباً وجزئياً: متراتب لأن الأوجاركية العباسية وما تنتقيه من قبائل، تقبع على قمته وتتمتع بالمداخيل الاقتصادية؛ وجزئي لأنه لا يعطي لبقية القبائل حق المشاركة في ذلك. ولذا بدأ العداء ينشب مخالبه بين القبائل التي ترفل في جلباب الترف، والأخرى التي تعرضت للتهميش والإلغاء، وعاشت مدوسة مسحوقة تعاني الشظف والمسغبة.

والعنصر الثاني يتعلق بثورات بعض العناصر الهندية ضد الحكم العباسي في السند. وقد مثلت تلك الثورات نوعاً من المقاومة الوطنية التي نبعت بفعل عوامل ذاتية أو تأليب خارجي. أما العنصر الثالث فكان التهديدات الهندية من الممالك المتاخمة للسند، والتي لم تكن بالخطورة المتوقعة نظراً لتفسخ الكيان الهندي للعديد من الكيانات المتناحرة، التي لم تتعاون للتخلص من هذا الكيان الإسلامي، خاصة مع وجود مصالح اقتصادية لبعض تلك الكيانات مع الدولة العباسية، جعلتها تضرب صفحاً عن ذلك.

تلك هي بعض مؤشرات المشهد العباسي في الهند؛ ووفقاً لتلك العناصر الثلاثة، أدارت الدولة العباسية سياستها لمواجهة تلك العناصر. وقبل أن نتطرق

للأوضاع السياسة فى السند وعلاقتها بالدولة العباسية، يجدر بنا أن نلقى نظرة سريعة على ممالك الجوار الهندية خلال العصر العباسى، إذ أن علاقة العباسيين بالسند ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعلاقتهم ببقية أجزاء شبه القارة الهندية.

ولم تكن الهند خلال تلك الحقبة تخضع لكيان سياسى واحد، بل انقسمت للعديد من الكيانات السياسية التى تباينت فى الحجم والقوة. ونبدأ من الشمال الذى خضع بصورة أساسية لمملكتين كبيرتين، الأولى مملكة كشمير التى امتدت تخومها حتى مملكة الهند كوش Hindushahi فى كابل شمالاً ومملكة قنوج جنوباً، وساعد على ازدهار تلك المملكة ظهور العديد من الحكام العظام فى تاريخها ولعل أشهرهم شنكرفرمان Shankarvarman (٩٣ - ١٠٦هـ/ ٧١٢ - ٧٢٤م)، وموكاتابيدا Mukatapida (١٠٦ - ١٦٠هـ/ ٧٢٤ - ٧٧٧م)[١].

وإلى الجنوب منها مملكة قنوج التى امتد نفوذها على شمال الهند من سواحلها الشرقية حتى سواحل كجرات؛ ودانت السيطرة فيها للأرستقراطية الحاكمة من أسرة البرتهاريين Pratiharas (٨٠ - ٣٩٣هـ/ ٧٠٠ - ١٠٠٣م)، الذين عرفوا أيضاً باسم جورجرا برتهاريين Pratiharas Gurajara، ربما لأن أصولهم ترجع لمنطقة جورجرترا Gurjartra أوغرب راجستان Rajasthan[٢].

وترجع شهرة تلك المملكة لتزعمها المقاومة الهندية ضد الحملات الإسلامية التى انطلقت من السند إبان العصر الأموى، وقد حاول ملوكها مد نفوذهم نحو الغرب، لكن محاولاتهم باءت بالفشل أمام المقاومة العنيفة من جانب حكام مملكة الراشتركوت Rashtrakutas - التى سنتحدث عنها لاحقاً - لذلك اكتفوا بمد نفوذهم حتى سواحل كجرات. ويعد بهوجا Bhoja، الذى اعتلى العرش عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، أشهر حكام تلك المملكة، إذ استطاع بعد معارك دامية مع الراشتراكوت أن يبسط سيطرته على شبه جزيرة كجرات، وسيطر بذلك على قطاع عريض من شمال الهند[٣]. وخلفه ابنه مهندرابالا الذى حكم حتى عام ٢٩٧هـ ٩١٠/ م. وتطلق بعض المصادر الإسلامية على حكام تلك المملكة اسم ملوك الجرز، وهذا اللقب

على الأغلب مشتق من لقبهم جورجرترا. كما تذكر أن ملكهم على لسان من الأرض[٤]، وهى إشارة واضحة لشبه جزيرة كجرات.

وفى أقصى الشرق وتحديداً فى منطقة البنغال Pengal ظهرت مملكة البالاس Palas التى أسسها جوبالا Gopala عام ١٣٢هـ/٧٥٠م، عندما جرى تنصيبه كملك من جانب نبلاء المنطقة، وخلفه ابنه دهرمابالا Dharmapala الذى حكم حتى عام ١٩٤هـ/ ٨١٠م، وقد تطلع دهرما للتوسع غرباً على حساب الراشتراكوت لكنه فشل فى ذلك فاتجه بطموحاته شمالاً، لكنه لقى هزيمة أخرى من حاكم قنوج نجبتا الثانى Nagabhata II وأدى هذا الفشل فى النطاقين الشمالى والغربى، إلى تركيز جهوده فى التوسع فى التخوم المجاورة له. وبعد موته خلفه ابنه ديفابالا Devapal الذى حكم حتى نهاية العصر العباسى الأول، ثم خلفه ابنه ماهى بالا Mahipala[٥]، الذى واصل الصدام مع الراشتراكوت والجرز دون تحقيق نتيجة حاسمة[٦].

أما مملكة الراشتراكوت أهم وأقوى الممالك الهندية، فقد بسطت سيطرتها على هضبة الدكن وسواحل الهند الغربية، وقد ظهرت تلك المملكة للوجود على يد دنتيدورجا Dantidurga فى منتصف القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى، وكما ظهر لنا واجهت تلك المملكة العديد من التحديات من جانب الممالك الهندية الشمالية والشرقية، لكن الأمر لم يقتصر عند هذا الحد، إذ امتد هذا التحدى للكيانات السياسية الجنوبية، ولعل أهمها مملكتى البالفاس Pallavas والشالوكياس Shalukyas، والمملكة الأولى جاورت الراشتركوت من الجنوب، وتمكنوا من الصمود أمام قوتهم، لكنهم لم يتمكنوا من الصمود أمام الشالوكياس، خاصة ملكهم بولاكسين الثانى الذى تمكن فى النهاية من السيطرة على مملكتهم، لكن موته عجل بنهاية مملكته إذ استولى الراشتراكوت على معظم أملاكهم، وخبت قوتهم السياسية خلال تلك الحقبة[٧]. لكن أخاه فسنوفاردهنا Visnuvardhana استطاع أن يؤسس فرعًا لتلك الأسرة شرق الهند، وقد تحدث ابن رسته عن هذا الفرع وأطلق عليهم اسم " السلوقيين "، وذكر أن ملوك

الراشتراكوت لا يتزوجون إلا منهم لشرفهم، وأنهم فى حالة عداء مع حكام قنوج[٨].

وبجانب تلك القوى واجه الراشتراكوت ثلاثة كيانات أخرى فى أقصى جنوب الهند الأولى مملكة جيرا Chera، التى سيطرت على سواحل مليبار Malybar، ومملكة باندیا Pandya التى بسطت سيطرتها على سواحل الهند الجنوبية ومنطقة كرومندل Cromandel، والثالثة مملكة جولا Chola التى دانت لها السواحل الجنوبية الشرقية للهند. ويبدو أن تلك الممالك اعترفت بالنفوذ السياسى للراشتراكوت فى المنطقة، حتى أن جووندا Govinda أعظم حكام الراشتراكوت، كان يوصف بأنه مرعب جيرا وباندیا وجولا[٩].

وقد خلفه ابنه أموغافارشا Amoghavarsha (١٩٨ـ٢٦٤هـ/ ٨١٤ـ ٨٧٨م) الذى جنى ثمار ما قام به والده، فصار الحكام الهنود يجلونه " فإذا وردت رسله على سائر الملوك صلوا لرسله تعظيماً له "[١٠]. وخلفه ابنه اندرا الثالث Andra3 (٣٠٢ ـ ٣١٤هـ/ ٩١٥ ـ ٩٢٧م)، واستطاع أن يقهر مملكتى قنوج والبالاس، وصار أعظم حاكم هندى فى عصره[١١]، وظهر ذلك فيما ذكره المسعودى عن قوته وجيشه العظيم[١٢]. ثم خلفه ابنه كريشنا الثالث Krishna3 (٣٢٢ـ ٣٥٢هـ/ ٩٣٤ـ ٩٦٣م) الذى عد آخر ملوك الأسرة العظام، واستطاع أن يقهر ممالك الجنوب، فهزم كل من البالفاس والشالوكياس، كما أستولى على ممتلكات مملكة جولا. لكن موته كان بداية النهاية لتلك المملكة التى سقطت عام٣٦١هـ/ ٩٧٢م[١٣].

تلك كانت نظرة سريعة على خلفيات الواقع السياسى للممالك الهندية والتى بها نكمل تفاصيل الخارطة السياسية للهند. ولا شك أن تعدد القوى السياسية فى الهند، وصراعاتها الداخلية، وتجاوب تكوينها الداخلى مع قسماتها الخارجية، وتفاعلها مع الأحداث، واستجابة الأحداث لمنطق السببية، قد حدد بشكل كبير النسق العلائقى لها مع الدولة العباسية، كما ساهم فى تحضين الكيان العربى فى الهند لفترات طويلة، حتى فى لحظات ضعفه.

وبوجه عام كانت العلاقة عدائية مع مملكة قنوج، نظراً للتجاور المباشر فى الشرق والجنوب، ونظراً لسيطرتهم على كاثيوار معقل القراصنة، والمصادر تصف حكام تلك المملكة بأنهم مبغضون للعرب[١٤]. وعلى العكس من ذلك كانت العلاقات مع ممالك الراشتراكوتيين والبالاس وجيرا، الذين تجمع المصادر على حبهما للعرب وعلاقتهم الطيبة بالمسلمين سواء من التجار المارين بمملكتهم أو المقيمين بها، وكان ذلك راجعاً لاعتبارات اقتصادية وأيديولوجية سنبرزها لاحقاً[١٥]. أما مملكة كشمير فكانت العلاقات معها متأرجحة وفقاً للعلل التاريخية.

أما عن الأوضاع داخل السند نفسها، فلاشك أن إعطاء صورة عن الوضع السياسى فى الولاية خلال العصر العباسى يعد من الأمور الحذرة، لأن ثمة عوامل عديدة مختلفة المصادر والأبعاد تتداخل باستمرار فيصعب معها إعطاء صورة تجسد الواقع دون التحسب للاهتزازات والتفاعلات. وخصوصاً أن العامل الرئيسى فى هذا السياق يتمثل فى المحاولات العباسية المحمومة لبسط سيطرتهم على الولاية؛ والنشاط السياسى يتمحور حولها مع ما يرافق ذلك من تطورات تبعاً لمصالح القوى السياسية على الساحتين الداخلية والخارجية.

ومن خلال العلاقة مع الولاية الإسلامية فى السند، كان دخول العباسيين فى صراعات متعددة أمراً لا مندوحة عنه؛ فالموقف فى الولاية كان شديد الحساسية بعد أن وطد منصور بن جمهور أقدامه هناك، كما كان عليهم أن يسعوا سعياً حثيثاً كى يوجدوا صيغة توفيقية ترأب الصدع الذى تفجر بين القبائل العربية التى استقرت هناك؛ ذلك الصدع الذى أرق جفون الخلفاء العباسيين، ليس فى السند وحدها ولكن فى مختلف أنحاء الدولة العباسية.

ومع انتقال عاصمة العباسيين ومركز حكمهم إلى العراق، تحول مركز الإشراف على الجناح الشرقى من الدولة من العراق إلى خراسان، وهو أمر بقدر ما يحمل من دلالات سياسية واستراتيجية، فإنه يحمل إرهاصاً للتوجهات المستقبلية للعباسيين فى المنطقة. وتقديراً لجهود أبو مسلم الخراسانى فى خدمة الدعوة

العباسية قام أبو العباس السفاح (١٣٢ ـ ١٣٦هـ/ ٧٥٠ ـ ٧٥٤م) بتوليته على خراسان، ومضطلعاً بشئون القسم الشرقى من الدولة[١٦].

وكان من أولى مهام أبا مسلم استعادة أملاك الأمويين فى هذا الجناح، لذلك بادر بإرسال حملات مكثفة على بلاد ما وراء النهر التى انسلخت عن الدولة الأموية فى أواخر سنيها، كما ولى وجهه شطر السند فى محاولة لاستعادتها وإخضاع ابن جمهور، لكن ذلك الامتثال لم يكن سهل المنال بعد أن وطد الأخير نفوذه هناك، واستطاع بالفعل أن يتغلب على أولى الحملات التى أرسلها أبو مسلم ضده[١٧].

ورغم ذلك لم تلن عزيمة أبا مسلم، فأتبعها بحملة أخرى بقيادة موسى بن كعب التميمى[١٨]، وكان الأخير أكثر مراساً وخبرة لذلك لم يبادر بالمواجهة السريعة المباشرة مع ابن جمهور، بل مكث غير بعيد لاستطلاع الأمور، ثم اتجه لاستعمال الحيلة للإيقاع بين أنصار ابن جمهور، ويبدو أنه حقق نجاحاً فى ذلك، إذ سرعان ما تحرك لقتال ابن جمهور ونجح فى هزيمته، واضطر الأخير للفرار، لكن موسى سرعان ما أدركه وقتله[١٩].

بعد ذلك دخل موسى مدينة المنصورة عاصمة الولاية، ودشن بذلك الوجود العباسى هناك، واتجه بعد ذلك إلى محاولة إثبات ذاته بمهاجمة بعض الممالك الهندية المجاورة لكنه لم يحقق نجاحات تذكر[٢٠]. وإذا كانت سنوات العقد الأول من حكم العباسيين للسند قد مرت هادئة، فإن العقدين التاليين خلال حكم أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٥م)، قد شهدا الكثير من الأحداث الساخنة على صعيد الوضع الداخلى فى السند أو على صعيد العلاقات بين الطرفين.

وكانت بداية هذه الأحداث بعد أن ترك موسى الولاية وتولى مكانه ابنه عيينه عام ١٤١هـ/ ٧٥٨م، خلال هذا العام زادت خطورة القراصنة الهنود فى المحيط الهندى، وأعلنوا بوضوح عن قوتهم فى مقابل القوة العباسية الجديدة، واندلع الصدام بين الطرفين خلال رحلة تفقدية للأسطول العباسى الوليد، حين اعترضت طريق الرحلة بعض سفن القراصنة عند المياه الفارسية الجنوبية، وتحديداً عند جزيرة

قيس[٢١]، ولقى الأسطول العباسى هزيمة مفاجئة أجبرته على الانسحاب والعودة لقواعده فى البصرة [٢٢]، بل وزاد الأمر سوءاً أن بعض السفن العباسية وقعت فى قبضة القراصنة الهنود بالقرب من السواحل اليمنية خلال العام نفسه[٢٣].

ولاشك أن لتلك الأحداث دلالات عديدة، حيث أظهرت التفوق النسبى للقراصنة الهنود، ليس على السواحل الهندية وحدها بل على السواحل الفارسية والعربية أيضاً، وهو ما كان يعنى تهديداً واضحاً للسيادة الإسلامية فى المنطقة، وكذلك اقتصاديات الدولة العباسية على المدى البعيد. كما أوضحت تلك المواجهات أن الأسطول العباسى فى مياه المحيط الهندى لم تكتمل قوته بعد، ولاشك أن ذلك كان أمراً طبيعياً، خاصة أن الدولة العباسية مازالت فى طور النمو؛ يضاف لذلك افتقار العباسيين للمراكز البحرية القريبة من الهند، مثل البحرين وعمان اللذان سيطر عليهما الخوارج والشيعة[٢٤]، مما جعل السيطرة العباسية عليهما متذبذبة وألغى أية محاولة لاستخدامهما كقواعد بحرية مضادة لهؤلاء القراصنة، وهكذا كانت قواعد الأسطول العباسى البحرية بعيدة مما أضعف من تحركاته.

وإذا ما تركنا مياه المحيط الهندى وتوغلنا داخل الولاية الإسلامية فى السند نجد أن النزاع القبلى بين العرب المستقرين هناك تفجرت أولى بوادره خلال عهد عيينه، حيث ثارت القبائل اليمانية ضد الوالى الجديد ونهبوا بيت المال. وقد يبدو هذا التمرد للوهلة الأولى ذا أبعاد سياسية أو قبلية، ولكن لو تأملنا العبارة التى رد بها المنصور على واليه " لو عدلت لم يشغبوا، ولو وفيت لم ينهبوا "[٢٥]، لأدركنا أنها تشى بأن الأوضاع الاقتصادية لليمانية قد حملت فى رحمها بذور هذا التمرد.

ولا شك أن لتلك الكلمات مغزى واضح عن السياسة التى اتبعها هذا الوالى والتى كانت قاسماً مشتركاً لمعظم الولاة العباسيين، ليس فى السند وحدها ولكن فى معظم الولايات العباسية، وهى الانحياز لإحدى القبائل على حساب الأخرى وفقاً لانتماء الوالى القبلى، ويبدو أن عيينه انحاز للقيسية على حساب اليمانية، وبسط

لهم يديه كل البسط، بل زاد على ذلك أنه اتبع سياسة قاسية ضدهم، وقتل الكثير من عامتهم[٢٦]. ولا غرابة إذن أن يتمخض عن هذا كله تلك الثورة وهذا المسلك من جانب اليمانية والذى اتسم بالعنف.

ومن السهل إذاً والحال كانت كذلك أن نفهم قلق المنصور العميق إزاء تدهور الأوضاع فى الولاية، لذا نراه يختار والياً متميزاً لحكم الولاية وهو عمر بن حفص[٢٧]. ورغم ذلك لم يكن انتقال السلطة فى الولاية إليه أمراً سهلاً، حيث أبدى الوالى السابق بعض المقاومة خوفاً من التسليم والتعرض لبطش المنصور، لكن مقاومته لم تلبث أن انهارت واستسلم لعمر الذى أرسله بدوره لمركز الخلافة، وأثناء تلك الرحلة حاول الفرار - أو هكذا سهل له مرافقوه من اليمانية - وكان من السهل عليهم بعد ذلك قتله أثناء محاولته الفرار انتقاماً لما فعله بهم[٢٨].

ويبدو أن العلويين انتهزوا فرصة تذبذب الأوضاع فى الولاية وبعدها عن السلطة المركزية العباسية، لذلك حاولوا مد نفوذهم هناك، وظهر ذلك إبان حركة محمد النفس الزكية[٢٩]، ويبدو أنه آنس من عمر ميلاً للعلويين خلال الفترة القصيرة التى اختبأ فيها فى السند دون علم الأخير، لذلك بادر بإرسال ابنه عبد الله إلى الولاية. وقد أبحر الأخير مع رهط من أتباعه متخفيين فى زى تجّار خيول، وهى التجارة التى كان لها سوق رائجة هناك، وكان يهدف من ذلك التخفى عن أعين العباسيين. فلما مثل عبد الله بين يدى عمر كشف النقاب عن شخصيته، ولم يخيب عمر رجائه حيث رحب به وأبدى استعداده لمناصرته، بل ودعا كبار حاشيته لمبايعة النفس الذكية، وأتخذ البياض شعاراً له، وتأهب للمروق على العباسيين.

لكن الرياح أتت بما لم تشتهيه سفن ابن حفص، فقد تطايرت الأنباء بمقتل النفس الزكية، وأصبح الموقف شديد الحساسية، وصار التخلص من عبد الله أمراً لا مندوحة عنه، ولكن يبدو أن عمر ظل محتفظاً مع ذلك بتعاطفه مع العلويين، لذلك أقترح على عبد الله أن يرسله ومن معه إلى أحد الحكام الهنادكة المجاورين، الذى يرتبط معه بعلاقات طيبة، والذى يحمل - رغم وثنيته - الكثير من الاحترام

للمسلمين، ولم يكن أمام عبد الله سوى قبول هذا العرض، وأتجه مع أتباعه إلى هذا الحاكم الذى أكرم وفادته[٣٠].

وكان من الطبيعى أن تتسرب تلك الأخبار للمنصور، الذى أرسل بدوره لعمر يطلب منه تفسيراً لما حدث، وهنا اسقط فى يد الأخير وخشى عاقبة غضب المنصور، لكن واحداً من شيعته تطوع بتحمل تبعات هذا الأمر برمته أمام المنصور، وجرى حمله لبغداد على وجه السرعة حيث ضربت عنقه على الفور[٣١]. ولا ينبغى أن ندهش من سلوك المنصور الذى يتفق مع سياسته المركزية الصارمة التى استهدفت التصدى لجموع الأعداء المتربصين بالدولة، والتى جعلته لا يتورع عن استخدام العنف فى مواجهة خصومه.

أما عمر بن حفص فنظراً لما له من عصبية كبيرة فى العراق، وتبرئته من تهمة التشيع للعلويين ظاهرياً على الأقل، فقد أكتفى المنصور بنقله للجناح الغربى من الدولة، إذ عينه والياً على أفريقية عام ١٥١هـ/ ٧٦٨م، ويبدو أن نقل عمر لم يكن لهذا السبب وحده حيث واصل عمر مسلسل الفشل فى التصدى لنشاط القراصنة حيث يذكر ابن خياط فى حولياته أن هؤلاء القراصنة امتدت بهم الجرأة حتى أنهم هاجموا شواطئ البصرة، بل أنهم توغلوا فى نهر دجلة أكثر من مرة، خاصة فى الثلاث سنوات الأخيرة من حكم عمر[٣٢].

وفى نفس العام تولى حكم الولاية هشام بن عمرو التغلبى[٣٣]، وتعد فترة ولايته التى استمرت ست سنوات (١٥١-١٥٧هـ/ ٧٦٨-٧٧٤م)، من أهم فترات الحكم العباسى للسند وأكثرها قوة، وكان أمام الوالى الجديد العديد من المهام الصعبة لكى ينجزها مع تزايد خطر القراصنة، وتجدد الاضطرابات والقلاقل من القبائل القيسية. وكان لزاماً عليه بعد توليه السلطة أن يحدد الهدف الذى يجب أن يبدأ به، وبعد دراسة مستفيضة وجد أنه لا يمكنه القضاء على النزعات القبلية إلا بجهود متصلة لم يكن قد استعد لها بعد، وفى نفس الوقت كان الأقرب للتصور أن تتشاحن اليمانية مع القيسية لمنع استقلال الأخيرة بالولاية، كما أن مواجهة القراصنة

تحتاج فترة طويلة وتجهيزات خاصة. ولذلك اعتبر أن التصدى لعبد الله والحاكم الهندى هو الأكثر إلحاحاً؛ خاصة أن تلك كانت رغبة ملحة للمنصور نفسه.

ولا تعطينا المصادر التاريخية تحديداً جغرافياً للمملكة التى لجأ إليها عبد الله، وتكتفى بإشارات سطحية عن طبيعتها وقوتها واحترام حاكمها للإسلام، وأغلب الظن أن تلك المملكة هى كشمير، حيث تتوافق طبيعتها مع ما ذكرته المصادر من قربها لنهر مهران، كما أن ميل حاكمها لاحترام الإسلام نجد له جذور تاريخية فى إشارة لدى الكوفى، الذى يذكر أن العلافى بعد هزيمته أمام الجيوش الأموية لجأ لحاكم كشمير الذى أحسن استقباله، بل ومنحه حكم إحدى مقاطعاته، وقام العلافى ببناء بعض المساجد هناك، وتلك إشارة مبكرة عن وصول الإسلام لتلك المملكة[٣٤].

ولعل ما يدعم هذا الرأى أن أول ما فعله هشام هو مهاجمة تلك المملكة، وذلك بعد أن ظفر بعبد الله وأتباعه أثناء تجواله على حدود تلك المملكة، ووفقاً لأوامر المنصور المشددة؛ ونجح هشام بالفعل فى غزو تلك المملكة وقتل ذلك الحاكم[٣٥]. ووفقاً للمطابقة الزمنية فإن هذا الحاكم هو موكاتابيدا، رغم أنه لم يثبت أنه قتل على أيدى المسلمين. والتفسير الأقرب لهذا التضارب أن هشام قتل أحد الحكام المحليين فى المملكة، إذ أن الوقت لم يكن ليسعفه للتوغل فى المملكة والقضاء عليها مع ما قام به من أعمال أخرى.

وبعد أن فرغ هشام من تلك المهمة تفرغ لمهمة أخرى لا تقل عنها أهمية، وهى مهاجمة تجمعات القراصنة الذين هددوا سواحل العراق والسفن الإسلامية فى المحيط الهندى وكانت المعاقل الرئيسية لهؤلاء القراصنة تقع فى سورشترا حول خليج كامبى، ولما كان الطريق البرى لتلك المناطق غاية فى الصعوبة، لذا قام بإرسال حملة بحرية إلى هناك، وتحديداً نحو ميناء ناربد Narbda[٣٦]، ويبدو أن تلك الحملة قد حققت نجاحاً ملحوظاً، وظهر ذلك فى اختفاء نشاط القراصنة مؤقتاً[٣٧].

بجانب ذلك شن هشام حملة أخرى ضد مدينة قندهار، وتشدد فى معاملة أهلها وحطم معبدهم الرئيسى وأقام بدلاً منه مسجداً، وقد رأى بعض الباحثين[٣٨]، أن

هذه المدينة تختلف فى دلالتها الجغرافية عن تلك المدينة التى تقع فى مملكة كابل، والتى سبق للمسلمين فتحها ولكن عبر الطريق البرى، ويرون أنها مدينة أخرى تحمل نفس الاسم وتقع فى كاثيوار، فى الركن الشرقى من خليج كامبى بالقرب من ميناء بروص، ويستند هؤلاء فى افتراضهم على ما ورد فى المصادر من أن هشام قام بتجهيز بعض السفن، وأبحر بها عبر نهر مهران حتى وصل لتلك المدينة وقام بفتحها، وهذا فى رأيهم يدل على أنها لم تكن مدينة برية، وإلا لفتحها المسلمون عن طريق البر كما فعلوا ذلك آنفاً.

وكان يمكننا قبول هذا الافتراض لولا أن لدينا نصاً للمسعودى، يذكر أن أحد روافد نهر مهران ينبع من جبال قندهار[٣٩]. ومعنى ذلك أنه يمكن غزو تلك المدينة عن طريق هذا النهر كما ذكرت المصادر؛ كما أن تحطيم هشام للمعبد الرئيسى للمدينة يؤكد ذلك، فمن المعروف أن أشهر معبدين للبوذيين كانا يقعان فى مولتان وقندهار، أما عن السلوك العنيف من جانب هشام فنجد له تفسيراً لدى الأصفهانى، الذى ذكر أن عبد الله استقر لبعض الوقت فى قندهار. وربما كان ذلك نوعاً من الانتقام من أهلها لاستضافتهم للأخير[٤٠].

وبعد هذه الجولات السريعة بين الشمال والجنوب، تفرغ هشام بعدها للتصدى للقلاقل والاضطرابات التى أثارتها بعض القبائل العربية، وكانت مدينة مولتان هى أولى المدن التى ظهرت بها تلك النزعة على يد قبيلة بنى سامة[٤١]، التى أعلنت استقلالها بالمدينة، بل وخرج زعيمها فى مظاهرة حربية للتصدى للوالى الجديد، لكن الأخير تمكن من دحرهم[٤٢]، وأستعاد بذلك السيطرة العباسية على تلك المدينة الهامة. ثم اتجه بعد ذلك لمدينة قندابيل، التى شهدت هى الأخرى محاولة استقلالية من جانب بعض بقايا الأمويين، واستطاع هشام أن يقضى على تلك المحاولة أيضاً[٤٣]. وهكذا استطاع هشام أن يصل بالنفوذ الإسلامى لأول مرة داخل مملكة كشمير، كما قضى مؤقتاً على نشاط القراصنة، ووأد النزعات الاستقلالية من جانب العرب المقيمين فى الولاية، وكان من نتائج هذا النشاط أن وصفه اليعقوبى بقوله " قدم إلى المنصور بما لم يقدم به أحد من السند "[٤٤].

لكن هذا الاستقرار والنجاح الذى تحقق فى علاقة الدولة العباسية بالولاية خلال عهد المنصور، سرعان ما عصفت به رياح الاضطراب خلال عهد المهدى (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م)، وظهر ذلك فى كثرة الولاة المعينين هناك وقصر مدة ولايتهم، حتى أن أحدهم لم يكمل فى منصبه أكثر من عشرين يوماً [٤٥]، مما يعطى صورة واضحة عن حقيقة الأوضاع هناك. ولاشك أن مرجع ذلك عدة عوامل داخلية وخارجية، فمركز الدولة العباسية نفسه كان يعانى من ازدياد نفوذ الموالى وسيطرتهم على شئون الحكم، كما ظهرت حركات الزندقة كالمانوية والمزدكية، مما مثل إحياء للنزعات الشعوبية، والتى كان على الدولة العباسية مواجهتها بكثير من الحزم والشدة[٤٦].

أما داخل الولاية فقد اندلعت ثورات قبائل الجت ضد الوالى الجديد روح بن حاتم[٤٧]، ولا تمنحنا المصادر أسباباً واضحة لتلك الثورة، لكن يمكننا أن نفترض أنها كانت بإيعاز من حاكم مملكة قنوج، أو من بعض القبائل العربية الطامحة إلى الاستقلال، كما يظهر فى الصورة أيضاً عامل هام وهو سوء الأوضاع الاجتماعية لهذه العناصر، فمن المعروف أن محمد بن القاسم أبقى على الوضع المتدنى لهذه العناصر الذى كان سائداً قبل وصول المسلمين للمنطقة، وضرب عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا، عندما علم أن هذه العناصر كانت دائمى الشغب وتغلب عليهم نزعة التمرد، مما جعله يبقى إلى هذا الوضع، وسار على خطاه من تبعه من الولاة [٤٨]. ولاشك أن تلك الأوضاع بجانب طبيعة تلك العناصر قد أدت لاندلاع تلك الثورات، ويبدو أن روح لم يتمكن من التصدى بحزم لها مما أدى لعزله عام ١٦٠هـ/٧٧٦م، وخلال العامين التاليين تعاقب على حكم الولاية خمسة ولاة[٤٩]، وهو عدد كبير قياساً على قصر تلك الفترة. ولاشك أن ذلك ترك أثراً واضحاً على استقرار الأمور هناك، وكان مرجعه فشل هؤلاء الولاة فى مواجهة تلك الثورة.

ويبدو أن القبائل العربية هناك استغلت تلك الظروف وتطلعت للاستقلال، مما أدى لنشوب الصراع بينها من جديد، ولاشك أن تداعيات هذه الأحداث جعلت

الولاية فى حاجة ماسة لشخصية قوية تعيد الأمور إلى نصابها، لذلك اختار المهدى لهذه المهمة أحد أفضل قادته، وهو الليث بن طريف[٥٠] الذى تولى الحكم عام ١٦٤هـ/ ٧٨٠م، واستمر فى منصبه حتى وفاة المهدى، وخلال تلك الفترة نجح فى القضاء على تلك الاضطرابات باستخدام الوسائل السلمية تارة مع القبائل العربية، والعنف تارة مع الجت حيث أوقع بهم مذبحة مروعة[٥١].

ويبدو أن القراصنة الميد قد واصلوا هجماتهم على السفن الإسلامية، مما جعل المهدى يرسل حملة بحرية بقيادة عبد الملك المسمعى قائد الأسطول العباسى فى المياه الشرقية، وقد هاجمت تلك الحملة تجمعات القراصنة فى سورشترا وتحديداً ناربد، حيث حققت نجاحاً ملحوظاً، لكن عبد الملك لم يكتب له أن يستمتع طويلاً بهذا النجاح، إذ يبدو أنه لم يضع فى حسبانه تقلب الظروف الجوية وأثر الرياح الموسمية العاتية، مما أدى لغرق الكثير من سفن الحملة، كما لقى الكثير من جنود الحملة حتفهم نتيجة تفشى وباء غريب بينهم[٥٢].

ولم تكن تلك النهاية المفجعة هى خاتمة العلاقات العباسية بالهند خلال عهد المهدى إذ أن هناك ثمة إشارة غير مباشرة عن وجود علاقات ودية بين المهدى وإحدى الممالك الهندية، وتلك الإشارة نجدها لدى ابن الزبير[٥٣] فى حديثه عن الهدية التى أرسلها هارون الرشيد للإمبراطور الكارولنجى شارلمان[٥٤]، إذ يذكر أن من بين محتويات تلك الهدية فيل هندى سبق أن أهداه أحد الملوك الهنود لوالده المهدى.

وتفصح تلك الإشارة عن وجود علاقات ودية بين الدولة العباسية وتلك المملكة الهندية، كان من ثمارها تلك الهدية للمهدى والتى شملت ذلك الفيل، والأرجح أن تلك المملكة هى مملكة البالاس فى البنغال، إذ أن لتلك الهدية مثيلاتها فى الفترات اللاحقة بين ملوك البالاس والخلفاء العباسيين، وترمز تلك الهدايا إلى العلاقات الودية التى ربطت بين الطرفين، وعلى ذلك كان هذا الملك الهندى هو دهارمابالا.

أما عن ملابسات هذا التقارب بين الطرفين خلال عهد المهدى فتبدو جلية فيما رواه سليمان التاجر[٥٥] من أن " أهل الهند مجمعون على أن ملوك الدنيا المعدودين أربعة. فأول من يعدون من الأربعة ملك العرب، وهو عندهم إجماع لا اختلاف بينهم فيه، أنه أعظم الملوك وأكثرهم مالاً وأبهاهم جمالاً، وأنه ملك الدين الكبير الذى ليس فوقه شيء. . "، ونص سليمان هنا يفصح عن الاحترام الذى يكنه الهنود بما فيهم ملوكهم للخليفة العباسى، ولعل ما يؤكد ذلك ما ذكره فى موضع آخر من أن حاكم مملكة قنوج رغم كراهيته للعرب، إلا أنه مقر أن ملك العرب أعظم الملوك. يضاف لذلك الدافع الاقتصادى المتمثل فى التبادل التجارى القوى بين التجار المسلمين ومنطقة البنغال، والذى كان يسبب رواجاً كبيراً هناك[٥٦]. وكان من صالح حكام البنغال دعم هذا التقارب التجارى عن طريق التقارب السياسى

وخلال عهد هارون الرشيد الذى جاوز العقدين من الزمان (١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٩م)، يمكننا أن نرصد أربع ظواهر هامة فى العلاقات بين الدولة العباسية والهند. والظاهرة الأولى هى ميل هارون الواضح نحو تطبيق اللامركزية فى الحكم سواء فى مركز الدولة نفسها أو فى جناحيها الشرقى والغربى. ويمكننا رصد تلك الظاهرة فى مركز الخلافة فيما قام به الرشيد من تفويض أمور الدولة إلى يحيى بن برمك وأسرته عام ١٧٨هـ/ ٧٩٤م، واستمرار هذه الأسرة بالاضطلاع بأمور الدولة طيلة تسع سنوات، حتى وضع الرشيد نهاية أليمة لها عام ١٨٧هـ/ ٨٠٢م فيما عرف بنكبة البرامكة[٥٧].

بجانب ذلك أقدم الرشيد على خطوة غاية فى الأهمية، وهى تقسيم الكيان السياسى للدولة العباسية لكيانات إدارية ثلاث، تولى إدارتها أبنائه الأمين والمأمون والمؤتمن عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م [٥٨]، حيث عهد بالجناح الغربى للأول، والجناح الشرقى للثانى، والثغور للثالث. ويبدو أن هذا التقسيم كان نظرياً على أرض الواقع، حيث ظلت الأمور عملياً فى أيدى البرامكة. وبعد عامين من تلك الخطوة أتبعها بخطوة أخرى فى الجناح الغربى من الدولة، وكانت فى الواقع خطوة

اضطرارية على طريق سياسته اللامركزية، وهى مباركة ميلاد إمارة الأغالبة، واعتبارها ثغراً عباسياً لحماية هذا الجناح من الأعداء المتربصين به(٥٩).

ولاشك أن ظاهرة اللامركزية قد ألقت بظلالها على الولاية العباسية فى السند مثل غيرها من الولايات. فإشراف البرامكة على أمور خراسان وما يتبعها من ولايات أدى لتردى الأوضاع هناك، ورغم ما حققه الفضل البرمكى من نجاح فى التصدى لمملكة كابل التى باتت تهدد النفوذ العباسى فى السند، واستيلاؤه على تلك المملكة عام ١٧٨هـ/ ٧٩٤م، إلا أن اعتماده على أبناء أسرته من البرامكة فى إدارة شئون الولايات أدى لتردى أوضاعها مع سوء سياسة هؤلاء الولاة؛ وتظهر المصادر مدى حرصهم على جمع المال دون مراعاة شئون تلك الولايات(٦٠). ولم تكن السند بمنأى عن تلك الأوضاع، إذ تولى حكمها بعض البرامكة الذين جعلوا جل همهم جمع الأموال للعودة بها بعد انتهاء مهامهم،(٦١) وكان لتلك السياسات المتردية أثرها فى تجدد الاضطرابات فى الولاية.

وأدت تلك الاضطرابات لتفاقم الظاهرة الثانية خلال عهد الرشيد، وهى تفجر الصراع من جديد بين القيسية واليمنية، هذا الصراع الذى صار قاسماً مشتركاً فى معظم الولايات العباسية، وساعد على اشتعال تلك الاضطرابات ما صك أسماع تلك القبائل عن الصراعات المماثلة، التى نشبت فى أنحاء الدولة بصورة واسعة لم تحدث من قبل، إذ اندلع الصراع بين القيسية واليمنية فى الشام وامتدت منها إلى مصر، ولم يكن من العسير أن تصل عدوى هذا الصراع للسند، وكان للقيسية اليد العليا فى هذا الصراع، إذ كانوا أكثر قوة وأعز نفراً، واستطاعوا أن يبسطوا سيطرتهم على معظم أنحاء الولاية(٦٢).

ولا يخفى علينا ما رمى إليه هذا الصراع من دلالات سلطوية، وهو أمر لم يغب عن ذهن السلطة الحاكمة، التى بدا لها أن الأسلوب الوحيد الكفيل بالقضاء على هذه الأزمة هو اتباع سياسة فرق تسد. لذلك قرر الرشيد توجيه قائد يمانى إلى الولاية حتى يمكنه جمع اليمنية حوله لكسر شوكة القيسية، وكان هذا القائد هو داود بن يزيد المهلبى(٦٣)، الذى آثر ألا يغامر بالمواجهة المباشرة مع القيسية، لذلك أرسل

أخاه المغيرة أولاً لاستكشاف الأمور، لكن القيسية سرعان ما فطنوا لذلك مما أثار حفيظتهم، لذا قرروا طرد اليمنية من الولاية نهائياً[٦٤].

ورغم ما توحى به تلك الأحداث من تعاظم نفوذ القيسية، فإنهم لم يدخلوا فى مواجهة مباشرة مع المغيرة، واكتفوا بالتحصن خلف أسوار مدينة المنصورة، ورفضوا فتح أبوابها له إلا بعد أن يتعهد بالمساواة بين القبائل، ويبدو أنهم جنحوا للسلم بعد أن شعروا بحرج موقفهم، لكن المغيرة سرعان ما قلب لهم ظهر المجن بعد أن دخل المدينة، واتضحت نواياه فى الانحياز لبنى جلدته، وأعاد الأمور بذلك إلى نقطة البداية، مما جعل القيسية يتكتلون ضده مرة أخرى وطردوه من المدينة.

وما إن صكت تلك الأخبار مسامع داود حتى أقبل فى حشد كبير لحصار المنصورة وبعد عدة أشهر استسلم له القيسية فى المدينة، وبعد أن نكل بهم اتجه نحو مولتان وبسط عليها سيطرته، وبذلك استقامت له الأمور[٦٥]. ويبدو أن تلك السياسة العنيفة من جانبه قد جعلته مرهوب الجانب، مما ساعد على سريان الهدوء فى الولاية حتى نهاية عهد الرشيد. وكان لهذا الهدوء أثره فى تنمية موارد الولاية المالية، وظهر ذلك فى قائمة الجهشيارى[٦٦] التى وضعها لخراج الدولة فى عهد الرشيد، والتى بلغ خراج السند بها ١١ مليون ونصف مليون درهم، وذلك غير الجانب العينى من الخراج. ويذهب بعض الباحثين[٦٧] إلى أن هذا التقدير مبالغ فيه إذا ما قورن بموارد السند الفقيرة نسبيًا. لكن ما يعزز قول الجهشيارى هو خضوع مولتان للسيادة العباسية، وما كانت تدره من أموال وفيرة من نذور الحجاج الهنود الذين يقصدونها من كل فج بعيد وظهر أثر هذا فيما كان يقوم به داود من إسباغ الأموال على شعراء حاشيته[٦٨].

والظاهرة الثالثة التى نلاحظها خلال عهد الرشيد أن الأسطول العباسى بدأ يسترد عافيته، ويحقق السيادة فى مياه المحيط الهندى. ولاشك أن ذلك أمر بديهى مع سعى العباسيين للسيطرة على الطرق التجارية وحماية حدود الدولة؛ وظهر هذا التفوق العباسى فى اختفاء هجمات القراصنة، ولا أدل على هذا النجاح من قول ابن خياط[٦٩]• فوجه الرشيد يحيى بن سعد فى ثلاثة عشر مركباً فى بحر البصرة

حتى بلغ عمان ولم يلق كيداً " . ويوضح النص السابق اختفاء القراصنة من الخليج العربى بعد أن كانوا يهددون سواحل البصرة ويشيعون الفزع فى الخليج. بجانب ذلك تعدى الأسطول مرحلة الدفاع عن شواطئ الدولة إلى الهجوم الفعال على معاقل القراصنة فى الهند. وظهرت باكورة تلك الحملات عام ١٧٤هـ/ ٧٩٠م، حيث خرجت حملة كبيرة نحو تجمعات القراصنة فى سورشترا، ورغم أنها لم تكن أولى الحملات العباسية ضد تلك المنطقة، فإنها كانت أضخمها وأبعدها تأثيراً ثم تبعتها حملات أخرى ناجحة، وتمتلئ حوليات ابن خياط بأخبار تلك الحملات وأعداد سفن القراصنة التى تم أسرها خلال تلك الفترة.

والظاهرة الرابعة والأخيرة فى عهد الرشيد هى استمرار العلاقات الودية بين الدولة العباسية ومملكة البنغال، من خلال السفارة التى أرسلها دهارمابالا للرشيد مع العديد من الهدايا الفخمة، ورد الرشيد عليها بالكثير من الهدايا [٧٠]، وتمثل تلك السفارة استمراراً للصلات الودية بين الطرفين للعوامل التى ذكرناها آنفاً.

ورغم أن موت الرشيد أدى لاندلاع الصراع بين ابنيه الأمين والمأمون، والذى استمر قرابة خمس سنوات وألقى بظلاله على الولايات العباسية، إلا أن الأوضاع ظلت هادئة فى السند بفضل قوة داود، وبنهاية هذا الصراع استقر المأمون على كرسى الخلافة (١٩٨ـ٢١٨هـ/ ٨١٣ـ٨٣٣م). وسار المأمون على نهج أبيه فى نزعته اللامركزية، إذ أسند ولاية الجانب الشرقى من دولته لأبرز قادته طاهر بن الحسين، الذى أسس أسرة انضوت بخدماتها تحت لواء الدولة العباسية ما يزيد على نصف قرن (٢٠٥ـ٢٥٩هـ/ ٨٢١ـ٨٧٢م)[٧١].

ولم يأت هذا الاختيار من فراغ، فهو أولاً ترضية لطاهر على ما بذله من مجهود فى خدمة المأمون إبان نزاعه مع الأمين، وثانياً لحاجة الجناح الشرقى من الدولة لسلطة قوية تحكمها فى ظل الخلافة. ورغم الدور الكبير الذى اضطلع به الطاهريون فى المشرق الإسلامى، فإن المصادر التاريخية تخلو من أية إشارة عن علاقتهم بالسند. وحتى مرسوم التولية الصادر من المأمون لطاهر بولايات المشرق يخلو من ذكر السند[٧٢]، كما أن قائمة خراج الدولة العباسية التى وردت لدى ابن خرداذبة،

لم يأت بها ذكر السند ضمن المناطق التى أنيط بعبد الله بن طاهر جمع خراجها[٧٣]. والتعليل المقبول لذلك هو كثرة أعباء الطاهريين الذين واجهوا الكثير من الثورات والفتن التى اندلعت فى المشرق، وبالتالى كان توجههم الأول نحو الولايات الفارسية، إذ كان من المرهق لهم توجيه جانب من قوتهم إلى ميدان آخر مثل السند

خلال الفترة التى تولى فيها طاهر توفى داود حاملاً معه عوامل الاستقرار فى الولاية، إذ خلفه ابنه بشر الذى كان على النقيض من أبيه، ونزع للتمرد على المأمون وأمتنع عن إرسال خراج الولاية، وكان من الطبيعى أن يعزله المأمون، لكن بشر لم يأبه بذلك، بل وأجبر الوالى الجديد على الانسحاب نحو ولاية كرمان. ولاشك أن المأمون قد أصابه القلق من هذا التمرد، لذلك استشار حاشيته فيمن يصلح لتأديب بشر، فأشاروا عليه بالاستعانة بغسان بن عباد مع بعض التحفظ، إذ سبق للمأمون أن عزله من ولاية خراسان عام ٢٠٥ هـ/ ٨٢٠ م لشكه فى إخلاصه[٧٤]. ويبدو أن المأمون لم يجد مفراً من الاستعانة به، لعلمه أن غسان من نفس عشيرة بشر، وأن له تأثيرًا قويًا عليه، لكنه مع ذلك اتخذ إجراءات وقائية تحسباً لأى تجاوز من غسان، حيث أرسل معه أخيه محمد بن عباد، وكان من كبار رجال البصرة وقتذاك ومن المقربين للمأمون، وكانت مهمة الأخير إلزام أخاه غسان بعد استرداد الولاية، أن يجعل حكمها لموسى البرمكى[٧٥].

بالفعل نجحت مساعى المأمون، حيث استسلم بشر لغسان دون مقاومة، وتولى أمور الولاية لموسى، ولا ينبغى أن ندهش للأسلوب الذى اتبعه المأمون فى معالجة تلك الأزمة، إذ يبدو أن المأمون لم يشأ أن يؤذى بشر إكراماً لذكرى والده، ولما تمتع به الأخير من عصبية فى العراق؛ أما اتجاه المأمون لأحد أفراد أسرة البرامكة بعد أن نحاهم أبيه عن أمور السلطة، فنجد له تبريراً فيما ذكره ابن خلكان عن إعجاب المأمون بالكفاءة الإدارية لأسرة البرامكة[٧٦].

هكذا فإن الأحوال فى الولاية خلال عهد المأمون ـ باستثناء تمرد بشر ـ مرت هادئة، ولم تكن هناك ظواهر هامة سوى ما ذكره البلاذرى بشأن قيام إمارة إسلامية

فى شمال كجرات، وترتبط تلك الإمارة بصورة غير مباشرة بقبيلة بنى سامة التى حملت تطلعات دائمة للاستقلال عن الدولة العباسية، ولم يكن مؤسس هذه الإمارة أحد أفراد تلك الأسرة، بل أحد مواليها ويدعى الفضل بن ماهان(٧٧).

ويبدو أن الفضل تخلى عن أحلام أسرة بنى سامة بالاستقلال بمدينة مولتان واتجه مع بعض اتباعه جنوباً نحو شمال كجرات وتحديداً نحو منطقة سندان فى سورشترا(٧٨)، وتمكن من فتحها وأسس بها إمارة مستقلة. وقد يبدو من الغريب أن يتجه لتلك المنطقة الخطرة التى اشتهرت كمرتع للقراصنة، وربما كان ذلك رغبة منه فى الحصول على اعتراف العباسيين به كثغر جديد ضد هؤلاء القراصنة، أو ربما آثر الابتعاد عن السند حتى لا يدخل فى صراع ضد الوالى العباسى أو قبيلة بنى سامة.

وبعد أن وطد الفضل نفوذه فى سندان، حرص على وجود صلات طيبة مع المأمون فبادر بإرسال الهدايا له، وجعل الخطبة له فى المسجد الذى بناه هناك. وتبدو هنا بوضوح نوايا الفضل فى التقرب للعباسيين، حتى يحصل على اعتراف رسمى بإمارته ويكسبها الشرعية. ولا يوضح البلاذرى هنا موقف المأمون من تلك الإمارة، والمرجح أن الأخير رحب بقيام تلك الإمارة، لاسيما أنها كانت خارج إطار نفوذه، ولعلها تحد من نشاط القراصنة هناك.

وخلال عهد المأمون استمرت العلاقات الودية الرسمية بين الدولة العباسية ومملكة البنغال، إذ قام حاكم البنغال بإرسال رسالة مطولة مع هدية فخمة إلى المأمون، ومن حسن الحظ أن بعض المصادر حفظت لنا نص تلك الرسالة ورد المأمون عليها(٧٩). وتبدأ الرسالة بكلمات الفخر من دهمى حاكم البنغال عن نفسه، ثم اتجه لإطراء المأمون وبيان شرفه، ثم يوضح بعد ذلك سبب تلك الرسالة، وهو ما تنامى إليه من حب المأمون للعلم وتوافق تلك الصفة مع ميول دهمى، لذلك أرسل مع الرسالة واحداً من أهم كتب الهند بجانب بعض الهدايا الثمينة الأخرى. وتفصح لغة الرسالة عن مدى تقدير دهمى للمأمون، وحرصه على استمرار

الصلات الودية بين الطرفين. وعلى الجانب الآخر رد المأمون عليه برسالة أعرب فيها عن سروره من رسالة دهمى، كما أرسل له كتاباً عربياً مع بعض الهدايا الثمينة

ومن السهل علينا تحديد هوية الحاكم الذى تطلق عليه المصادر اسم دهمى، وقد رأى أحد الباحثين[٨٠] أن دهمى هو دهارمابالا، وأن تاريخ الرسالة يعود لعام ١٩٨هـ/ ٨١٣م وأنه أرسل تلك الرسالة فور اعتلائه عرش المملكة. والجزء الثانى من افتراضه يهدم هذا الافتراض من أساسه، لأن دهارمابالا توفى عام ١٩٤هـ/ ٨١٠م، وبالتالى لا يمكن أن يكون قد أرسل تلك الرسالة.

والواقع أن المصادر لم تقصد هنا بدهمى اسم الحاكم، وإنما اللقب العام الذى كان يطلق على حكام تلك المملكة، ويؤكد ذلك أن هذا الاسم تكرر فى العديد من المصادر بأشكال مختلفة، وفترات زمنية مختلفة، إذ ذكره كل من ابن خرداذبه (ت ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م)، وابن الفقيه (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)[٨١]، وغيرهما. أما الحاكم المقصود هنا فهو ديفابالا ابن دهارمابالا.

وفى نفس الإطار يتحدث ابن الزبير عن هدية أحد ملوك الهند للحسن بن سهل[٨٢]، بمناسبة زواج ابنته بوران من المأمون عام ٢١٠ هـ/ ٨٢٤ م[٨٣]، ومن الواضح هنا أن هذا الملك هو ديفابالا أيضاً، نظراً للصلات الطيبة التى تربطه بالمأمون، وهو يقصد من ذلك بالطبع مجاملة الحسن بوصفه وزير المأمون وصهره فى إطار العلاقات الطيبة بين الجانبين. وهكذا فإن العلاقات بين الدولة العباسية والهند خلال عهد المأمون كانت متميزة، سواء فى استقرار الأمور فى السند، أو فى العلاقات الودية الرسمية مع مملكة البنغال، بجانب ولاء الإمارة الماهانية فى سندان.

وخلال عهد المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ - ٨٤١م)، لم تتغير طبيعة القلاقل التى ثارت ضد الولاة العباسيين، إذ تجدد الصراع القبلى بين القيسية واليمنية، كما ثارت قبائل الجت ثورة شاملة ليس فى السند وحدها، بل فى مركز الدولة نفسها. وكانت عناصر الجت الذين استوطنوا أطراف العراق، قد ضجوا من التدهورات

التى لحقت بمصالحهم، لذا قاموا بثورة كبيرة ضد الدولة العباسية عام ٢١٩هـ/ ٨٣٤م[٨٤]، ويبدو أن أخبار تلك الثورة قد تطايرت لنظرائهم فى السند، مما حفزهم للقيام بثورة مماثلة ضد الوالى العباسى هناك، وكان على الولاية فى ذلك الوقت عمران بن موسى البرمكى الذى خلف أباه عام ٢٢١هـ/ ٨٣٥م. واستهل عمران عهده بحملة شاملة ضد عنصرى الميد والجت[٨٥]، حيث أوقع بالعنصر الأول مذبحة مروعة لا تخفى دوافعها؛ وقد تزامنت تلك المذبحة مع الحملة الناجحة التى قام بها الأسطول العباسى على المعاقل البحرية للقراصنة الميد[٨٦]. ويظهر هنا التنسيق بين السلطة العباسية المركزية والسلطة المحلية فى السند من أجل توجيه ضربة قاصمة لهذا العنصر.

واتجه عمران بعد ذلك للجت، حيث قتل عدداً كبيراً منهم، ثم دعا من تبقى منهم وختم أيديهم وجمع منهم الجزية، ثم تبع ذلك بإجراء قد يبدو غريباً، إذ أمر كل فرد منهم أن يصطحب كلب معه عند خروجه من بيته[٨٧]. وختم الأيدى وجمع الجزية إجراء عادى بالنسبة لأهل الذمة، لكن الإجراء الثانى بدا غريباً هنا. وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الغرض من ذلك كان التخلص من الكلاب الضالة أو العكس أى تشجيع تربية الكلاب[٨٨]، لكنها تفسيرات تبدو ساذجة، ويمكننا أن نجد تفسيراً مقبولاً لذلك لدى الكوفى، الذى يذكر أن ابن القاسم استفسر من موكا عن وضع الجت فى عهد جج وداهر، وعندما علم أنهم عنصر وضيع دائم التمرد وأن جج وابنه فرضا عليهم الإجراء السابق كنوع من التحقير لهم، لذا قرر ابن القاسم أن يظلوا على هذا الوضع المذل[٨٩]. إذن كان سلوك عمران إحياء لتقليد سابق ضد عنصر ذو أصول تاريخية فى التمرد.

وكخطوة مكملة للخطوة السابقة أقدم عمران على إجراء غاية فى الأهمية، وهو بناء مدينة سماها البيضاء بالقرب من قندابيل[٩٠]، وجعلها ثغراً عسكرياً للمسلمين فى تلك المنطقة. وكان عمران يهدف من ذلك تحقيق هدفين، الأول أن يصبح له ثغر عسكرى بالقرب من معاقل الجت، حتى يضمن مراقبتهم ويحد من نشاطهم، مما يضمن تقليم أظافرهم باستمرار. والثانى مواجهة المحاولات الاستقلالية من جانب

بعض القبائل العربية القابعة فى قندابيل، والتى كان آخرها فى عهد عمران نفسه. وخلال تلك الفترة أيضاً طفت على الساحة من جديد الخلافات بين القيسية واليمنية وتزعم الأولى عمر بن عبد العزيز الهبارى، وكعادة الولاة العباسيين انحاز عمران لليمنية، لكنه سرعان ما هزم أمام عمر ولقى حتفه عام ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م(٩١).

وهكذا فى تقييمنا للعلاقات بين العباسيين والهند خلال عهد المعتصم، لا نرصد جديداً فى الأوضاع الداخلية فى السند، فالنزاع القبلى وثورات الهنود باتت سمة أساسية من سمات السند خلال العصر العباسى. والجديد الذى يمكننا رصده يتعلق بالسياسة العامة للمعتصم والتى رمت للاعتماد على العنصر التركى، ودفعه للصفوف الأمامية خاصة فى النواحى العسكرية؛ وظهر ذلك فى قيامه بتولية قائده الأشهر الأفشين على بعض الولايات الشرقية ومنها السند، بعد نجاحه فى القضاء على بابك الخرمى(٩٢)، وإن كانت عملياً ولاية اسمية، إذ ظل الأفشين فى مركز الدولة، كما ظل عمران فى حكم الولاية.

وخلال عهد المعتصم يمكننا أن نرصد أيضاً استمرار العلاقة بين الدولة العباسية والإمارة الماهانية فى سندان، وكان محمد بن ماهان قد خلف أخاه الفضل فى حكم الإمارة، وبلغ من قوته أنه قام بحملة بحرية كبيرة شملت سبعين سفينة ضد المناطق المجاورة فى سورشترا وحقق نجاحاً كبيراً. لكنه لم يكتب له الاستمتاع كثيراً بهذا الانتصار، ففى طريق العودة علم أن أخيه ماهان انقلب عليه واستولى على الإمارة، ويبدو أن الراشتراكوتيين كانوا على علاقة طيبة مع محمد، لذلك قاموا بمهاجمة ماهان وقتلوه وانتزعوا منه الإمارة(٩٣).

وفى مداخلات سقوط تلك الإمارة يبدو بجلاء موقف الراشتراكوتيين من الدولة العباسية، فمع حرصهم الشديد على التقرب للمسلمين على المستوى الشعبى خاصة للتجار بما أسبغوه عليهم من امتيازات، وما ظهر من سلوكهم مع بقايا المسلمين فى سندان بعد سقوط الإمارة الماهانية، إذ تركوا المسجد الجامع الذى أقامه الماهانيون، كما سمحوا لهم بالدعاء فيه للخليفة العباسى. ورغم ذلك لم تصلنا ـ وفق علمى ـ أية مراسلات ودية على المستوى الرسمى، كما حدث مع مملكة

البنغال. وإن كان لدينا نص لبزرك بن شهريار ربما حمل إشارة لوجود علاقات رسمية والنص يروى قصة بحار عربى مسلم انتهك قدسية أحد التماثيل الهندية المقدسة فى إحدى مدن مملكة الراشتراكوت، ويصور رفض حاكم المدينة للقصاص الفورى منه نزولاً على رغبة الجماهير الثائرة بقوله: "إنه من العرب وبيننا وبينهم شروط"[٩٤]، وتوحى العبارة السابقة بوجود معاهدة أو اتفاق رسمى على أقل تقدير، جعل هذا الحاكم لا يسرع فى قتل البحار.

وقبل أن نطوى صفحة العلاقات العباسية الهندية خلال عهد المعتصم، يجدر بنا أن نقف عند ما ذكره البلاذرى[٩٥] بشأن ما قام به موسى البرمكى من أسر باله ملك الشرقى وقتله، والشرقى هنا كلمة غامضة تحتمل أكثر من تأويل، فقد تكون إشارة إلى مملكة البنغال أو مملكة قنوج. والإشارة الأولى تبدو ضعيفة نظراً للصلات الطيبة بين العباسيين وتلك المملكة، كما أن تلك الفترة تعاصر الملك ديفابالا الذى ارتبط بعلاقات ودية مع المأمون، كما لم يثبت أن ديفابالا قد قتل على يد المسلمين، ورغم أنه لم تصلنا أخبار عن اتصالات له مع المعتصم، إلا أن ذلك لا يعنى وجود شوائب فى تلك العلاقات، خاصة أن هذه العلاقات ستتصل فيما بعد فى عهد المتوكل كما سنرى.

أما الإشارة الثانية لمملكة قنوج فتبدو ضعيفة هى الأخرى، فالملك المعاصر للأحداث هو بهوجا Bhoja[٩٦]، والذى عاش فترة كبيرة بعد تلك الأحداث مما ينفى مقولة البلاذرى. والرأى الأرجح هنا أن البلاذرى كان يقصد أحد ملوك أسرة الشالوكياس Chalukyas، الذين ناطحوا الممالك الهندية، ووضعوا لأنفسهم موطئ قدم فى المناطق الشرقية بعض الأحيان[٩٧].

فى ختام تلك الفترة، وخلال عهد الواثق (٢٢٧ـ ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ـ ٨٤٧م)، ظهر أثر الأوضاع الداخلية فى مركز الدولة على علاقتها بالولايات العباسية، إذ زاد نفوذ الأتراك بصورة واضحة، وظهر ذلك فى تولية الواثق قائده أشناس على الجناح الغربى من الدولة، كما أصدر مرسومًا بولايات الجناح الشرقى ومنها السند لكبير

الدولة ومقدم جيوشه ايتاخ التركى. وكعادة القادة الأتراك فى البقاء بمركز الدولة وإرسال من ينوب عنهم فى الولايات التابعة لهم، أرسل ايتاخ إلى السند عنبسة بن اسحاق، واستطاع الأخير أن يعيد الاستقرار للولاية، بعد أن قضى على تمرد القيسية وأخضع زعيمهم الهبارى(٩٨). وخلال تلك الفترة أيضاً، وتحديداً عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م قام الأسطول العباسى بحملة كبيرة على سورشترا، حيث هاجمت سفنه سواحلها وأحرقت بعض قراها(٩٩). ويبدو أن الغرض من تلك الحملة كان تأديب القراصنة وردعهم.

بانتهاء تلك الحملة طويت الصفحة الأخيرة فى العلاقات بين الدولة العباسية والهند خلال العصر العباسى الأول، تلك العلاقات التى شملت محاور ثلاث وهى، الولاية الإسلامية فى السند، والإمارة الماهانية فى سندان، والممالك الهندية المجاورة. ويمكننا أن نوجز أهم ملامح تلك العلاقات فيما يلى:

فيما يخص الولاية الإسلامية فى السند، كان تفجر الصراعات القبلية العربية هناك هو الشغل الشاغل للعباسيين، ولن نقع فى شباك المبالغة لو قلنا أن معظم تاريخ الولاية خلال تلك الحقبة، قد شغلته تفاصيل تلك الصراعات التى أنفقت الدولة العباسية الكثير من الجهد لوأدها. وبجانب ذلك واجه العباسيون العناصر الهندية المتمردة كالميد والجت، الذين مثلوا أحد صور المقاومة الهندية ضدهم داخل الولاية، بجانب أترابهم من القراصنة الذين عاثوا فى مياه المحيط الهندى والخليج العربى فساداً، وهددوا السواحل العباسية نفسها.

أما العلاقة العباسية الماهانية فكانت قصيرة الأجل، وغلب عليها الطابع الروتينى، إذ أن الحماسة التى أبداها الماهانيون للحصول على الاعتراف العباسى بهم، قابلها نوع من الفتور من جانب العباسيين، رغم الدور الذى قامت به تلك الإمارة فى مكافحة القراصنة.

وفيما يخص علاقات العباسيين بالممالك الهندية، فلا يظهر المعيار الأيديولوجى وحده فاعلاً فى تعيين طبيعة تلك العلاقات، فالمقياس هنا هو بلا ريب سياسى

اقتصادى، ويبرز ذلك ناصعاً عند تأمل علاقة العباسيين بمملكة البالاس وعلاقة الراشتراكوت بالرعايا العباسيين السائحين فى أراضيها، وإن تميزت العلاقات مع البالاس بالطابع الرسمى، والسفارات المتبادلة بين الطرفين. أما علاقات العداء فتركزت مع مملكتى قنوج وكشمير وفقاً للأحداث التاريخية.

هوامش الفصل الأول

(1) Mahajan, Ancient India, (Newdelhi, 1970), p.575.

(2) Hudud al Alam (372 A.H / 893 A D.), Eng.Tarns.V.Minorsky, (Oxford, 1937), p253.

(3) Mahajan,muslim Rule in India ,(Newdelhi,1970),p17.

(٤) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، نشر دى غوية ، ليدن ١٨٩١ ، ص ١٣٥ ؛ ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٦٧؛ سليمان التاجر ، أخبار الصين والهند ، نشر جان سوفاجيه ، باريس ، ١٩٤٨ ، ص ١٢- ١٣ .

(4) Chandra, S., Medieval India, (New Delhi, 1999), pp.8 9; Halsall, P., History of India in http://www.Fordham.edu.

(٦) سليمان التاجر ، أخبار الصين والهند ، ص ١٣ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، ص١٧٠ .

(7) Prassad, History of Medieval India ,p.44.

(٨) انظر ، ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص ١٣٥ .

(9) Chandra, S., Medieval India, p.11.

(١٠) سليمان التاجر ، أخبار الصين والهند ، ص ١٢ .

(11) Chandra , S., op.cit, p.11.

(١٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ١٧٠ .

(13) Prassad, History of Medieval India, p.45.

(١٤) انظر ، ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٦٧ ؛ سليمان التاجر ، أخبار الصين والهند ، ص ١٢ ، المسعودى ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص١٧٠ .

(١٥) سيتم مناقشة هذه النقطة بالتفصيل فى الفصل الثانى .

(١٦) مجهول ، العيون والحدائق وأخبار الحقائق ، ج٣ ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ١٨٢ .

(١٧) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٣١ .

(١٨) ويرجع نسبه لبنى تميم كما يبدو من لقبه ، وكان يشغل منصب رئيس الشرطة للخليفة السفاح ، انظر ، الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٣٧٠ .

(١٩) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢، ص٣٥٨ .

(٢٠) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .
(٢١) تقع هذه الجزيرة جنوب غرب الخليج العربى بالقرب من السواحل الإيرانية وللمزيد عنها انظر ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٢٤٣ ؛ عطيه القوصى ، سيراف وكيش (قيس) وعدن ، المجلة التاريخية المصرية ، م٢٣ ، ١٩٧٦ ، ص٥٩ - ٦٠ ؛

Goiteins, S., Tow Eyewitness Report on an Expedition of the King of Kish (Qais) against Aden, BSOAS, 16, (1954), pp.247-257.

(٢٢) ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، ج٢ ، ص ٤٤٦ .
(٢٣) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٣٩٧ .
(٢٤) للمزيد من التفاصيل عن الخوارج والشيعة فى البحرين وعمان انظر ، عمر الفاروق ، الخليج العربى ، ص١٤٠ - ١٦١ .
(٢٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين ، إبراهيم الابيارى ، عبد السلام هارون ، ج٤ القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٢١٢.
(٢٦) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص٣٧٢ .
(٢٧) هو عمر بن حفص بن عثمان الأزدى ، الذى ينتهى نسبه للمهلب بن أبى صفرة ، وقد حمل لقب هزارمرد ، وهو لقب فارسى يعنى ألف رجل ، دلالة على شجاعته ، وللمزيد عنه انظر ، الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٣٦١ ؛ المباركبورى ، رجال السند والهند ، ص٤٥٩ .
(٢٨) اليعقوبى ، المصدر السابق ، ص٣٧٣ .
(٢٩) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وللمزيد من التفاصيل عن شخصيته وطبيعة حركته انظر ، الأصفهانى ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق . السيد أحمد صقر ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٣٣٠ ؛

Traini, R., LA Corrispondenzatra al-Mansure e Mohammad an-nafs Azzakiyyah, AION, 14 (1964), pp.773-798.

(٣٠) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ص ٣٣ - ٣٥.
(٣١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٣٠-٣١.
(٣٢) ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، ج٢ ، ص٤٤٧ - ٤٥٤ .
(٣٣) هو هشام بن بسطام بن سفيح ، أحد قادة الجيش العباسى ، وللمزيد انظر : الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٣٧٩ ؛ المباركبورى ، رجال السند والهند ، ص ٥٤٥ ٥٤٧ .
(٣٤) الكوفى ، فتحنامه ، ص١٨٥ - ١٨٦ .
(٣٥) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ص ٣٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٣٠-٣١ .
(٣٦) تقع هده المدينة بالقرب من الساحل الجنوبى الغربى لكجرات ، وتعرف الآن باسم بهاربهوت Bharbhut ، وللمزيد من التفاصيل عنها انظر ، الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ١٨٧ ؛

Spate, India, p.597.

(٣٧) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٣٧٣ .
(٣٨) عن هذا الرأى أنظر ،

Minorsky, Hudud , p.245 ; Reinaud , Memoir , p.196.

(٣٩) المسعودى ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ١٦٦ .
(٤٠) الأصفهانى ، مقاتل الطالبين ، ص ٣١٤.
(٤١) سيتم تناول جذور تلك القبيلة ودورها فى حياة الولاية بالتفصيل فى الفصل الثالث .
(٤٢) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٣٧٣ .
(٤٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٣١ .
(٤٤) اليعقوبى ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٧٣ .
(٤٥) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ص ١٤٠ .
(٤٦) للوقوف على طبيعة هذه الحركات وجذورها انظر ، فتحى أبو سيف ، الجذور الفكرية لحركة الشعوبية الإيرانية ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٠- ٣٢ ؛

Omar, f., A point of View on the Nature of the Iranian Revolts in the early Abbasid Period , IC, 48 (1974), pp.1-9; Vagda, G., Les zindiqs en pays Islam au debut de la période abbasid , RSO, Xvii (1938), pp.173-229.

(٤٧) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، وقد ولى لخمسة من الخلفاء بداية من السفاح حتى الرشيد ، انظر ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٣٠٥ .
(٤٨) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .
(٤٩) الطبرى ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ١٤٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٦٠ .
(٥٠) كان هو وأخيه المعلى من مولدى الكوفة ، ثم صار بعد ذلك من موالى المهدى وللمزيد عنه انظر ، الأصفهانى ، الأغانى ، ج٨ ، ص ٢٢٠ .
(٥١) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٣٩٨ .
(٥٢) الذهبى ، العبر فى خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٦٠ ، ج١ ، ص ٢٣٣ .
(٥٣) الذخائر والتحف ، ص ٢٠ .
(٥٤) عن تلك الهدية انظر ، اينهارد ، سيرة شارلمان ، ترجمة عادل زيتون ، دمشق ، ١٩٨٨ ، ص ١٠٧ .

Pirenne, H., Mohammed and Charlemagne, (London, 1958), p.160; Schmidt, F., Karl der Gross und Harun al Rashid , DER ISLAM III, (1912), pp.409-411; Strohmaier, G., Abu lAbas der elelfant Karls des Grossen , MIO 17, (1971-2), pp.365-358.

(٥٥) أخبار الصين والهند ، ص ١١- ١٢ .
(٥٦) سيتم مناقشة هذه النقطة بالتفصيل فى الفصل الثانى .
(٥٧) كان البرامكة موضع خلاف بين المؤرخين ، سواء فى أصلهم الذي رجحت الآراء أنه بوذى ، أوالأسباب التى دفعت الرشيد لنكبتهم ، وللوقوف على تلك الآراء والأسباب انظر ، البيهقى ، تاريخ البيهقى ، ترجمة يحيى الخشاب ، صادق نشأت ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٤١ ؛ فتحى أبو سيف ، المشرق الإسلامى ، ص ٤٧ - ٥٧ ؛ عبد المنعم ماجد ، أضواء على البرامكة ونكبتهم ،

المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٩٩- ١١٨ ؛ السيد محمد يوسف الهندى ، بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب ، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥٠ ، ص ١٠٣ - ١٠٩ ، ميرزا عبد العظيم خان ، تاريخ برامكة ، تهران ، ١٣١٣ ؛

Bouvat, A., Les Barmaecides daprès les historiens arabes et persans , RMM 20, (1912), pp.1-131; Nadvi, S., The origin of the Baramakids , IC 6 , (1932) , pp.19-28.

(٥٨) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٨ ، ص ١٨٢ .

(٥٩) يتسب الأغالبة إلى إبراهيم بن الأغلب ، وللمزيد من التفاصيل عنهم انظر ، الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٦٤٨ ؛ محمود إسماعيل ، الأغالبة ، سياستهم الخارجية ، القاهرة ٢٠٠٠ ؛
Abdulwahab, H., Un Tournant de lhistoire Aghlabite , RT, (1937), pp.343 352.

(٦٠) مجهول ، تاريخ سيستان ، ص ١٦٦ ؛ الكرديزى ، زين الأخبار ، ترجمة عفاف زيدان ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٠٧ ؛ العمرانى ، الإنباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السامرائى ، ليدن ، ١٩٧٣ ، ص ٧٩ .

(٦١) ابن نباته المصرى ، سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٥٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٤٧٣ .

(٦٢) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٤٠٩ .

(٦٣) هو داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبى ، وقد شغل قبل ذلك منصب والى إفريقية انظر ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص ٣٢٦ .

(٦٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٤٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ١٩٠ .

(٦٥) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٤٠٩ .

(٦٦) الوزراء والكتاب ، تحقيق إبراهيم الايبارى ، مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٢٨٢ .

(67) Elliot , History of India, pp.472-474; Jaffar, The Arab administration of Sind , IC, 17 (1943),p.127.

(٦٨) البيهقى ، المحاسن والمساوى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٣٩٨ .

(٦٩) تاريخ ابن خياط ، ج٢ ، ص ٤٨٠ _ ٤٨٣ .

(٧٠) للمزيد من التفاصيل عن تلك السفارة انظر ، ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٠ _ ٢١ ؛ الغزولى ، مطالع البدور ومنازل السرور ، ج٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ٤٥٥ .

(٧١) للوقوف على أصل هذه الأسرة ، ودور الطاهريين فى خدمة الدولة العباسية انظر ، خراندمير تاريخ روضة الصفا ، الجزء الخاص بتاريخ الدول ، الطاهرية ، الصفارية ، السامانية ، آل بويه ، ترجمة وتعليق أحمد الشاذلى ، مراجعة السباعى محمد ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٤٩ ؛ فتحى أبو سيف ، المشرق الإسلامى ، ص ٧٥ _ ٩٤ ؛

Bosworth, C., An early Arabic Mirror for Princes: Taher Dul Yaminains Epistle to his son Abdallah (206 821), JNES, 29 (1970), pp.25 41; Kabi, M., Les origins Tahirides dans dawa, Abbaside , ARABICA, (1972), pp.145 164.

(٧٢) عن هذا المرسوم انظر ، ابن طيفور ، كتاب بغداد ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٢٤ ؛ الأصفهانى تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، بيروت ، (ب.ت) ، ص ١٦٧ ؛ القزوينى ، لب التواريخ طهران ، ١٣١٤ ، ص ٨٠ .
(٧٣) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٣٥.
(٧٤) الأصفهانى ، تاريخ سنى ملوك الأرض ، ص ١٦٧ .
(٧٥) ابن طيفور ، كتاب بغداد ، ص ١٣٠ ؛ اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٤٥٨ .
(٧٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص ٢٢٢ .
(٧٧) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .
(٧٨) وهى الآن بلدة ساحلية بالقرب من بومباى وللمزيد عنها انظر ، الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ١٨٢ ؛

Elliot, History of India, p.402; Ninar, Arab Geographers, p.65 66.

(٧٩) عن نص الرسالتين انظر ، ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢١ـ٣٢ ؛ ابن دحية ، النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس ، تحقيق عباس العزاوى ، القاهرة ، ١٩٤٦ ، ص ٥٠ـ٥٢ ؛ الأزدى، أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق على عمر ، القاهرة، ٢٠٠١ ، ص ٢٥٧ـ٢٦٠.
(٨٠) عن هذا الرأى انظر ،

Dunlop, M., A diplomatic Exchange between al Mamun and Indian King , in Medieval and Middle Eastern Studies in Honor of Aziz Suryal Atiya , (London,1972) , pp. 133 143 .

(٨١) المسالك والممالك ، ص ٦٥ ؛ مختصر تاريخ البلدان ، ص ١٥ .
(٨٢) هو أبو محمد بن الحسن بن سهل عبد الله السرخسى ، وقد تولى الوزارة للمأمون بعد أخيه الفضل انظر ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ١٢٠ .
(٨٣) انظر ، ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٣٢ ، وعن بوران انظر ، ابن خلكان ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٨٧.
(٨٤) سوف نتناول تلك الثورة بالتفصيل فى الفصل الثالث .
(٨٥) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٣٢ .
(٨٦) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٥٣ .
(٨٧) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٤٣٢ .
(٨٨) عن هذا الرأى انظر ،

Elliot, History of India, p.449; Reinaud, Mémoire Géographique, p.200.

(٨٩) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .
(٩٠) البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ٤٣٢ .
(٩١) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٤٧٩ .
(٩٢) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٩ ، ص ٥٥ ؛ وللمزيد من التفاصيل عن الأفشين ودوره فى القضاء على فتنة بابك انظر ، أكرم بهرامى ، تاريخ إيران از ظهور إسلام تا سقوط بغداد ، تهران ، ١٣٥٠ ش ، ص ٢٤٠ ٢٤٦.

Wright, E., Babak of Badhadh and al Afshin during the Years A.D 816 841. Symbols of Iranian Persistence against Islamic Penetration in North Iran , MW, 38 (1948), pp.43 59; 124 131.

(٩٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٣٢ . وقد رأى أحد الباحثين استناداً لنص البلاذرى أن تلك الحملة كانت بأمر من المأمون ، رغم أن البلاذرى لم يذكر ذلك انظر ، نصارى فهمى غزالى ، الإمارات العربية بالهند ، مجلة كلية الآداب جامعة المنيا ، ١٩٩٨ ، ص ٢٧٦ .

(٩٤) انظر ، بزرك ، عجائب الهند ، ص ١٤٣ .

(٩٥) المصدر السابق ، ص ٤٣٢ .

(٩٦) ويعد المؤسس الحقيقى لإمبراطورية البراتهاريين وللمزيد من التفاصيل عنه انظر ،
Chandra, Medieval India, pp.9 10.

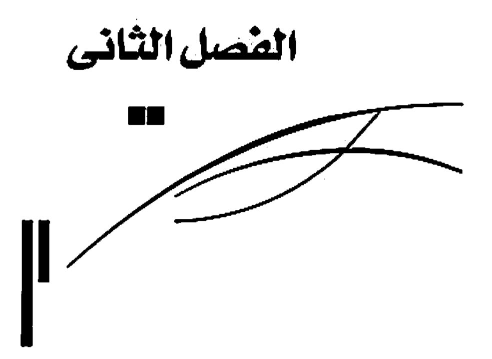
(٩٧) للمزيد عن هذه الأسرة انظر ،

Mahajan, Ancient India, pp.80 82.

(٩٨) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٤٧٩ .

(٩٩) ابن خياط ، تاريخ ابن خياط ، ج٢ ، ص ٥٠٠ .

الفصل الثانى



تزامن موت الخليفة الواثق مع نهاية العصر العباسى الأول الذى امتد طيلة قرن من الزمان (١٣٢ ـ ٢٣٢هـ/ ٧٥٠ ـ ٨٤٦م)، وشهد أزهى عصور العباسيين من حيث القوة والازدهار. ومع بداية عهد المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٧٦ ـ ٨٦١م) بدأ العصر العباسى الثانى الذى تميز بضعف السلطة المركزية وواكب هذا الضعف ظهور العديد من النزعات الاستقلالية فى أنحاء الدولة العباسية.

وخلال هذا العصر اختلفت العلاقات بين الدولة العباسية والهند عن العصر السابق إذ انفرط عقد وحدة ولاية السند، وتمزقت أوصالها إلى العديد من الإمارات المستقلة، حيث كان للتجارب الاستقلالية فى العالم العباسى أهميتها البالغة فى تنمية الطابع الاستقلالى فى الولاية. وظهر ذلك فى قيام إمارتين عربيتين اقتسمتا السيطرة على الولاية، أولاهما الإمارة الهبارية التى استقلت بالجزء الجنوبى من الولاية، واتخذت من المنصورة حاضرة لها، والثانية الإمارة السامية التى اختصت بالشطر الشمالى من الولاية، وجعلت حاضرتها مدينة مولتان. وبجوار هاتين الإمارتين قامت فى مكران ثلاث إمارات أخرى فى وقت لاحق لقيام هاتين الإمارتين وإن لم تتمتع بما اختصت به الإمارتان من القوة والشهرة.

وزاد الطين بلة أنه فى الوقت الذى كان العباسيون فيه يجفلون فرقاً من الخطر الشيعى القابع فى مصر والمتمثل فى الفاطميين، إذا بهم يفيقون على ضربة موجعة

بإقامة إمارة إسماعيلية فى السند تدين بولائها للفاطميين فى مصر. وفى ختام تلك الفترة ظهر الغزنويون الذين اكتسحوا الهند فى غزوة إسلامية لم تشهدها من قبل وبها بدأت حقبة جديدة من تاريخ العلاقات العباسية الهندية.

وقبل أن نتعرض للأوضاع داخل السند يجدر بنا أن نقف على لمحة سريعة عن الممالك الهندية المجاورة لها. وسبق أن تناولنا بالتفصيل الأوضاع السياسية لأهم تلك الممالك، مثل كشمير وقنوج فى الشمال، والبالاس فى الشرق، والراشتراكوت فى الغرب، ثم ممالك الوسط والجنوب مثل الشالوكياس وجيرا وغيرها

ونبدأ بالشرق حيث توجد مملكتى قنوج والبنغال، والأولى ظلت على عدائها للمسلمين والإمارات العربية فى السند، وخلال هذا العصر حمل ملوك تلك المملكة لقب بؤورة[1]، أو بروزة[2] نسبة لإحدى مدنهم. وقد رأى بعض الباحثين أن هذا اللقب ربما كان خطأ فى لفظ Adivaraha، وهو اللقب الذى كان يختص به بهوجا أشهر ملوكهم، والذى صار علماً على حكام تلك المملكة[3]. ونلاحظ أن المسعودى يفصل بين ملك قنوج وملك الجرز[4]، واللقب الأخير أطلقته بعض المصادر على حكام قنوج، وهو لقب مشتق من لفظ جورجاربرا Gurjarapra الذى كان يطلق على البراتهاريين من حكام قنوج[5]، ويبدو أن المسعودى هنا اعتقد أن الفرع الحاكم من هذه الأسرة فى كجرات مستقل بذاته. أما مملكة البنغال فظلت على علاقاتها الودية مع العباسيين، وظلت المراسلات بين الطرفين على المستوى الرسمى فى بداية هذا العصر. فخلال عهد المتوكل يخبرنا ابن الزبير عن سفارة طريفة أرسلها المتوكل للملك ماهى بالا يطلب منه بعض العود الهندى بعد أن أعجب به، وقد أجاب ماهى طلب المتوكل وأرسله إياه، لكن رسل الموت توفت الأخير قبل أن تصل السفارة إلى حاضرته[6]. وتشى تلك السفارة باستمرار العلاقات الودية بين الدولة العباسية وتلك المملكة خلال العصر العباسى الثانى، كما تشير إلى البعد الاقتصادى فى تلك العلاقات. وخلال الفترات اللاحقة لم نعثر على وثائق خاصة بتلك العلاقات. وفى الغرب ظلت مملكة الراشتراكوتيين على

علاقاتها الودية وتقديرها للمسلمين، وخلال هذا العصر أطلقت المصادر الإسلامية على ملوكها لقب بلهرا بمعنى ملك الملوك[٧]، ويحتمل أن يكون هذا اللقب هو Ballah Ray، الذى ربما يكون استنساخ للقب الهندى Vallabha Ray الذى أقترن بأعظم ملوك تلك المملكة[٨].

تلك إذن كانت صورة موجزة لأهم الممالك الهندية التى جاورت الولاية العباسية فى السند. أما عن الأوضاع داخل الولاية، فكما ذكرنا قامت بها عدة إمارات، أولها الإمارة الهبارية، التى أسسها زعيم القبائل القيسية فى السند عمر بن عبد العزيز الهبارى، الذى يرجع نسبه لهبار بن الأسود أحد صحابة رسول الله ﷺ؛ ولم تكن الأسرة الهبارية حديثة العهد بالسند، إذ ترجع جذورها فى الولاية إلى بدايات القرن الثانى الهجرى، حين وفد على السند أحد أحفاد هبار ويدعى المنذر ابن الزبير، منضوياً بخدماته تحت تصرف والى السند الجديد الحكم بن عوانة عام ١١٢هـ/ ٧٣٠م[٩]. ولم يكن هدف المنذر كما رأى أحد الباحثين[١٠] هو تحقيق الثراء، بل كما يبدو هنا كان أحد أفراد الحامية العسكرية الأموية التى صاحبت الحكم للسيطرة على الأمور فى الولاية.

وخلال الربع الأول من القرن الثالث الهجرى، استغل عمر انحياز الوالى العباسى عمران بن موسى لليمنية، وتزعم القيسية فى ثورة كبيرة ضد الأخير ونجح فى قتله والاستيلاء على مقاليد الولاية. لكن الدولة العباسية لم تقف ساكنة أمام تلك الأحداث، وعجلت بحملة سريعة أعادت الأمور إلى نصابها، ويبدو أن سطوة عمر كانت كبيرة مما اضطر الوالى العباسى لغض الطرف عن عقابه. ورغم تلك الهزيمة لم تلن عزيمة عمر واستطاع أن يقلب القبائل ضد الوالى الجديد حتى قتلوه عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م. ويعد هذا العام هو البداية الحقيقية لتلك الإمارة المستقلة، إذ بسط عمر سلطانه على الولاية، ثم أرسل للمتوكل يطلعه على تلك الحقيقة، وأمام ضعف الأخير وقلة حيلته اضطر للاعتراف به حاكماً شرعياً على السند[١١]. ولا ينبغى أن ندهش من موقف المتوكل المتخاذل، إذ كان من الصعب

عليه مواجهة عمر بما كان له من سطوة، جعلت أحد المؤرخين[١٢] يذكر أن أى وال عباسى - قبل استقلال عمر - كان لا يمكنه دخول الولاية دون مباركة الهبارى.

وخلال ثلاثة عقود ظل عمر يحكم ولاية السند مكتفياً بالتبعية الروحية للدولة العباسية، من خلال الدعاء للخليفة العباسى فى خطبة الجمعة، وبعد موته ظل الحكم وراثياً فى أسرته، إذ خلفه ابنه عبد الله لكنه لم يكمل عامه الأول فى الحكم، وخلفه أخاه موسى عام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م. وقد حرص موسى على أن يحتفظ بعلاقاته الودية مع الدولة العباسية، فبجانب الدعاء للخليفة العباسى، حرص على إرسال الهدايا لمركز الدولة ومن ذلك الهدية التى أرسلها للمعتمد عام ٢٧١هـ / ٨٨٤م[١٣]. وخلال عهد موسى انحسر نفوذ الهباريين عن كامل الولاية، واقتصر على جنوبها فقط، بعد أن قامت فى الشمال الإمارة السامية عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، ولا نجد فى المصادر ما يشير لوقوع الصدام بين الطرفين، ربما بسبب التقارب العنصرى بينهما وانتمائهما للقيسية. أما عن طبيعة العلاقات بين الإمارة والدولة العباسية فى الفترة اللاحقة، فمن حسن الحظ أن لدينا شواهد معاصرة لتلك العلاقات فى مؤلفات الرحالة المسلمين الذين زاروا المنطقة خلال تلك الفترة. ونبدأ بابن رسته (٢٩٠هـ / ٩٠٣م)[١٤] الذى كتب فى نهاية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى عن وجود تلك الإمارة، وأن الخطبة فى مساجدها كانت للخليفة العباسى. ويحمل تقرير ابن رسته على اقتضابه دلائل العلاقات الودية بين الإمارة والسلطة العباسية، واعتراف الهباريون بالسلطة الروحية للعباسيين.

وهناك المسعودى[١٥] الذى زار الهند عام ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م، وأمدنا بصورة أكثر وضوحاً عن الأوضاع فى تلك الإمارة بعد أن قام بزيارتها بعد وفاة موسى وتولى ابن أخيه أبو المنذر عمر بن عبد الله، حيث تحدث المسعودى عن مظاهر الترحاب التى استقبله بها الأمير الهبارى ووزيره وابنيه محمد وعلى. وظهر من رحلة المسعودى مدى الثراء الديموغرافى للإمارة، إذ كانت تشتمل على ثلاثمائة ألف ضيعة وقرية، كما تمتعت بقوة عسكرية كبيرة، وأوضح أن الامتداد الجغرافى لها يغطى المساحة الممتدة من الرور شمالاً حتى مصب نهر مهران جنوباً. ويبدو من

تقرير المسعودى مدى الثراء الواضح لتلك الإمارة مع امتداد مساحتها وقوة حاكمها، الذى اتخذ وزيراً كما يفعل الملوك والأمراء، كما يوضح الدور الفاعل لتلك الإمارة فى مواجهة قراصنة الميد فى سورشترا، بحكم تقارب الإمارة مع معاقلهم، من خلال الحملات المستمرة عليهم.

وخلال نصف القرن القادم ظلت أمور الإمارة مستقرة بوصف كل من الأصطخرى الذى زار السند عام ٣٤٠هـ / ٩٥١م، وابن حوقل عام ٣٦٧هـ / ٩٧٧م(١٦)، إذ صرحا باستمرار الحكم فى أسرة الهباريين، واستمرار السيادة العباسية الروحية على الولاية من خلال الخطبة. وهكذا من خلال التقرير السابق وبعد ما يقرب من قرن من قيام الإمارة، ظلت محافظة على ثباتها، وإن مال أفراد الأسر الحاكمة للتشبه بالملوك الهنود فى زيهم، رغم أن سكان الإمارة من العرب ظلوا محافظين على زيهم العربى. وظلت الأمور مستقرة فى الإمارة حتى سقطت على يد محمود الغزنوى فى نهاية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى كما سنرى.

وهكذا فى تقييمنا للعلاقات بين الدولة العباسية والإمارة الهبارية، والتى امتدت قرابة قرن ونصف من الزمان، يمكننا القول أنها كانت علاقات سياسية فى مجملها، أكتفى فيها العباسيون - فى ظل ضعفهم - بالنفوذ الروحى على الإمارة وعلى الجانب الآخر احتفظ الهباريون باستقلالهم، وحرصوا على تأكيد شرعية حكمهم بالاعتراف بالخليفة العباسى كحاكم أعلى للمسلمين والدعاء له فى خطبة الجمعة، والحرص على إرسال الهدايا لحاضرة الدولة. صفوة القول، أن العلاقات بين الجانبين كانت ودية للغاية. ويهمنا فى رصد العلاقة بين الإمارة الهبارية والدولة العباسية، أن نرصد علاقتها مع القوى الإسلامية فى المنطقة، وخلال الحقبة التى ظهرت بها الإمارة الهبارية كانت الدولة الطاهرية تتهاوى تحت معاول الضعف والفساد، وفى مقابل هذا السقوط كانت هناك قوة جديدة تلوح فى الأفق، وهم الصفاريين بزعامة يعقوب بن الليث الصفار(١٧).

واستطاع يعقوب فى فترة وجيزة أن ينطلق من معقله فى سجستان ملتهماً أملاك الطاهريين، وساعده على ذلك ضعف آخر أمرائهم، وتنازله ليعقوب عن بعض أملاكه فى محاولة لوقف المد الصفارى المتنامى[١٨]. لكن الأخير لم يكتف بذلك بل نراه فى سبيل حماية جبهته الشرقية يقدم على شن عدة حملات على شمال السند وتحديداً مملكة كابل، التى انتهز حاكمها الملقب بزنبيل تردى أوضاع الطاهريين والنفوذ العباسى، وحاول مد نفوذه فى تلك المنطقة، لكن يعقوب تصدى لهُ بحملة مضادة عام ٢٥١هـ/ ٨٦٥م، ثم أعقبها بحملة أخرى عام٢٥٦هـ/ ٨٦٩م[١٩]. واستطاع بهاتين الحملتين أن يستولى على كابل، وبعض مدن شمال الهند مثل غزنة وكرديز[٢٠].

وتركت تلك الحملات صدى واسع على الإمارة الهبارية فى السند وما يجاورها من ممالك هندية، إذ سارعت الوفود الهندية بحمل الهدايا ليعقوب لمصادقته، وسارع عمر الهبارى بدوره ليسير فى موكب المتوددين[٢١]. كما أدت تلك الانتصارات لاعتراف الخليفة المعتمد بتلك القوة الجديدة، وأصدر مرسوماً بشرعية ولاية الصفاريين على الولايات التى استولوا عليها مثل فارس وكرمان، والغريب أن هذا المرسوم تضمن ولاية السند[٢٢]. ويبدو أن الهباريين أعلنوا ولائهم للصفاريين، بعد أن لمسوا مدى سطوتهم فى المنطقة، وعلى الدولة العباسية نفسها.

لكن هذا الوفاق بين الصفار والعباسيين سرعان ما انقلب إلى صراع حربى انتهى بهزيمة الأول وموته سريعاً، ويبدو أن أخيه عمرو آثر السلامة لذا أعلن خضوعه للعباسيين وكافأته السلطة العباسية بتجديد مرسوم التولية السابق شاملاً ولاية السند مرة أخرى. ورد عمرو على ذلك بإرسال الهدايا للخليفة العباسى عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م، ومنها بعض التماثيل الهندية البوذية المطعمة بالجواهر[٢٣]. وتدل تلك الهدايا على ما غنمه الصفاريون من حملاتهم على شمال الهند وخاصة مملكة كابل. وما يهمنا هنا هو ما قامت به السلطة العباسية من منح الصفاريين تفويض بولاية السند، رغم أنها لا تملك سوى سلطتها الروحية عليها. ويبدو أن العباسيين أرادوا التقرب من الصفاريين، مع إدراكهم أن الإمارة الهبارية لن تعارض تلك

الخطوة مع ما حظى به الصفاريون من سطوة فى المشرق؛ وهو الأمر الذى تحقق بالفعل، بل وزاد عليه ما قام به الهباريون من محاولة التقرب ليعقوب عن طريق الهدايا. ومع ذلك لم تكن سيطرة الصفاريين على الإمارة الهبارية حقيقة عملية، بل كانت سيطرة اسمية فقط.

وخلال الفترات اللاحقة لا تمدنا المصادر بإشارات واضحة عن علاقة الإمارة بأى من القوى الإسلامية المجاورة فى المشرق، باستثناء المقدسى(٢٤) الذى أوقفنا على جملة من المعلومات التاريخية الهامة عن العلاقة بين الإمارة والبويهيين(٢٥)، إذ يذكر أن الأمير الهبارى كان يجعل الخطبة لعضد الدولة البويهى (ت٣٧٢هـ/ ٩٨٢م)، وخلال تواجد المقدسى بالإمارة عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، تم إرسال سفارة هبارية لابن عضد الدولة شرف الدين شربك. كانت فى الغالب استمراراً لولائهم للبويهيين.

ولا يجب أن ندهش لتلك الخطوة من جانب الإمارة الهبارية، إذ أنها تعد انعكاساً واضحاً لما بدت عليه الأحوال فى مركز الدولة العباسية، حيث بسط البويهيون نفوذهم على الخليفة العباسى بعد أن دخلوا بغداد عام ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م وكانت جيوشهم تعربد فى الأقاليم الشرقية من الدولة العباسية(٢٦). ومن الطبيعى أن يظهر الهباريون ولائهم للقوة الجديدة التى تتحكم فى أعلى سلطة روحية فى العالم الإسلامى.

أما الإمارة الثانية فهى الإمارة السامية التى تنتسب لبنى سامة بن لؤى إحدى القبائل القيسية، ولم يكن تواجد تلك القبيلة فى السند أمراً جديداً، إذ كانت لهم صولات وجولات عبر تاريخ الولاية، بداية من أسرة العلافى، ومروراً بصراعهم ضد اليمنية والولاة العباسيين من أجل الاستقلال بالولاية، وكذلك محاولة أحد مواليهم لإنشاء الإمارة الماهانية فى سندان.

وهكذا كانت النزعة الاستقلالية متأصلة لدى تلك القبيلة، ولا شك أن حلم إقامة إمارة مستقلة فى شمال السند وتحديداً فى مولتان، قد داعب مخيلة هؤلاء،

خاصة بعد نجاح نظرائهم من الهباريين القيسية فى الاستقلال بالولاية. ثم قدر لهذا الحلم أن يرى النور عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م على يد محمد بن القاسم بن منبه[٢٧]. الذى ودع عمان وعبر مياه المحيط الهندى متوجهاً صوب مدينة مولتان يحمل طموحات قبيلته فى الاستقلال بها، تدعمه جموع بنى سامه هناك، وتداعبه شهرة سميه الذى صال وجال فى تلك المنطقة منذ ما يقارب قرنين من الزمان.

ولم يكتف ابن القاسم بالاستيلاء على مولتان[٢٨]، بل مد نفوذه شمالاً حتى حدود كشمير وجنوباً حتى الرور التى أصبحت الحد الفاصل بين الإمارتين. ولا نجد فى المصادر ما يشير لوقوع الصدام بين محمد والهباريين إبان توسعه فى أملاكهم. ولاشك أن التقارب العنصرى بين الطرفين قد ساهم فى تلك السلبية من جانب الهباريين تجاه الإمارة الجديدة. أو ربما خشوا عواقب الاحتراب الداخلى.

أما عن الأوضاع فى الإمارة فنجد بعض التفاصيل عنها فى مؤلفات الرحالة، حيث يذكر ابن رسته أن الساميين اتخذوا من مولتان حاضرة لهم، وأنهم اعتمدوا بصورة أساسية فى مواردهم على أموال الحجيج الهنود، الذين كانوا يزورون معبد بوذا المقدس ويخصونه بنذورهم، والتى كان الأمير السامى ينال نصيب الأسد منها. ولم تكن الفائدة الاقتصادية هى الوحيدة لذلك المعبد؛ بل كانت له فائدة استراتيجية أيضاً، إذ جرى استخدامه بمثابة درع واق ضد هجمات الحكام الهنود المجاورين، حيث كان الأمير السامى يهدد بتحطيم تمثال بوذا المقدس القائم فى المعبد إذا ما هاجمهم الهنود، وأدى ذلك لكف أيدى الهنود عن الإمارة[٢٩].

وقد نال هذا التمثال ومعبده فى مولتان اهتمام كثير من الرحالة المسلمين الذين زاروا الإمارة، باعتباره أهم المزارات المقدسة للهنود داخل نطاق النفوذ الإسلامى، ولما كان يمثله من أهمية بالغة للمسلمين استراتيجياً واقتصادياً. والبناء المعمارى للمعبد كان يتكون من قصر ضخم بداخله هيكل يستقر بداخله التمثال، وحول هذا الهيكل توجد غرف السدنة والعاكفين، وكان هؤلاء القائمين على خدمة التمثال هم المسموح لهم فقط بدخول الهيكل، حيث يقومون بغسله بالسمن أو اللبن ويقدمون له القرابين، وكان يحرم عليهم أكل اللحم وإتيان النساء[٣٠].

وتروى الأساطير الهندية أن التمثال نزل من السماء وأنهم أمروا بعبادته لذلك يحج إليه الهنود من كل فج عميق، وتبدأ طقوس الحج بحلق الرؤوس عند المعبد ثم الطواف يسار التمثال سبع مرات تقرباً إليه، ثم تقدم القرابين والذبائح(٣١). وبلغ من تقديس الهنود للتمثال أن بعضهم كان يقدم على قتل نفسه تقرباً له(٣٢). وكان كل حاج يقدم للمعبد سنوياً ما بين مائة إلى ألف درهم، وكانت أموال النذور تقسم إلى ثلاثة وجوه، الأول يذهب للأمير السامى، والثانى ينفق منه على المدينة وحصونها، والأخير يذهب للسدنة(٣٣).

ويوقفنا المسعودى(٣٤) مرة أخرى على جملة من التفاصيل التاريخية عن تلك الإمارة، حيث أكد فى البداية على ما ذكره ابن رسته بشأن الدخل المرتفع الذى تجبيه الإمارة من نذور الحجيج البوذيين، واحتماء حكامها بتمثال بوذا فى حالة تعرضها لهجمات هندية. وأضاف على ذلك أن حاكم الإمارة زمن زيارته لها هو أبو اللهاب بن منبه، كما ذكر أن الهجمات الهندية كانت تأتى من مملكة قنوج، ومن خلال ما ذكره ابن رسته والمسعودى يبدو لنا أن حاكم قنوج ظل على عدائه للمسلمين، خاصة السامیین بحكم الجوار. كما يبدو أيضاً أن الإمارة لم تكن بالقوة الكافية لمواجهة تلك المملكة، مما جعلها تلجا لهذا الأسلوب الدفاعى. ورغم تلك التفصيلات لم يمدنا الاثنان بأية إشارات حول علاقة تلك الإمارة بالدولة العباسية، وإن كنا نرجح أنها كانت علاقات ودية مثلما فعلت الإمارة الهبارية.

ويؤكد ما ذهبا إليه ما ذكره الاصطخرى(٣٥) بعد ذلك من أن حكام الإمارة يجعلون الخطبة للخليفة العباسى. ولم يضف ابن حوقل(٣٦) جديداً على ما سبق، باستثناء انه أخطأ عندما ذكر أن أموال الحجيج تذهب للأمير الهبارى، رغم أنه ذكر بعد ذلك أن الإمارة كانت لأسرة بنى سامة. وهكذا أكد الاثنان على النفوذ الروحى للعباسيين على الولاية بإمارتيها والعلاقات الطيبة بين الإمارة السامية والدولة العباسية.

لكن عام ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م جاء يحمل نذر الشؤم للعباسيين بنهاية نفوذهم الروحى على الإمارة، حين اعتنق الأمير السامى المذهب الإسماعيلى وأعلن ولائه

للخليفة الفاطمى فى مصر وقطع علاقته بالعباسيين[٣٧]. ولم يكن هذا الحدث وليد رغبة عابرة للأمير السامى، بل كان نتيجة خطة بعيدة المدى من جانب الشيعة. فالعلويين لم يخفوا أطماعهم فى السلطة منذ العصر الأموى، وظهر ذلك فى تضامنهم مع بنى العباس ضد الأمويين، لكن العباسيين بعد وصولهم للحكم قلبوا لهم ظهر المجن، لذا اتجه العلويون للتخفى، ومارسوا من جديد دعوتهم السرية بعيداً عن أعين العباسيين، وكانت لهم مع السلطة العباسية جولات متعددة لم تسفر عن نتائج حاسمة.

ثم قدر لبعض أشياعهم وهم الإسماعيلية[٣٨] أن يكسبوا إحدى جولاتهم ضد الدولة العباسية، ونجحوا فى نهاية العقد الثانى من القرن الثالث الهجرى أن يؤسسوا دولة لهم فى تربة شمال أفريقيا تحت مسمى الدولة الفاطمية[٣٩]. وكان الشيعة الإسماعيلية قبل تأسيس دولتهم فى المغرب قد قاموا بعمل تنظيم دقيق لنشر دعوتهم واعتمدوا على عدد من الدعاة ذوى مواصفات خاصة تتفق وخطورة المهام المناطة بهم[٤٠]، وقاموا بتقسيم العالم الإسلامى إلى اثنتى عشرة جزيرة[٤١]، وكان بكل واحدة من الجزر أحد الدعاة المكلفين بنشر الدعوة بين سكانها[٤٢].

واستكمالاً لهذا التنظيم الدقيق للدعوة، جعل الفاطميون جزائرهم بعيداً عن مركز الدولة العباسية فاتجهوا للأطراف والهوامش. ويرى بعض الباحثين أن الإسماعيلية استطاعوا أن ينظموا ويوجهوا السخط الاجتماعى والدينى فى الولايات العباسية، باتخاذهم حق العلويين الشرعى فى الحكم وسيلة للدعاية السياسية، واستغلالهم التذمر الاجتماعى والاقتصادى[٤٣]. وفى هذا الإطار بث الإسماعيلية دعاتهم فى أقاليم فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر، إذ مثلت تلك الأقاليم تربة خصبة لعمل الدعاة ونشر المذهب الشيعى، نظراً للنزعة الدائمة للتمرد من جانب سكانها، وعلاقتهم السيئة بالولاة العباسيين[٤٤]. كما وجهوا دعاتهم نحو اليمن، التى عدت أهم الجزائر الإسماعيلية[٤٥]، واستطاع الدعاة هناك أن يحرزوا نجاحاً كبيراً هناك خلال عامين فقط من بدء مهامهم عام ٢٦٨هـ/ ٨٨١م. وشجعهم هذا على التفكير فى مد نفوذهم فى السند، إذ قام الداعى الشهير

أبو القاسم بن حوشب[٤٦] عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م بإرسال ابن أخيه الهيثم كداعى إليها. وتلك الإشارة الخاصة ببداية الدعوة الفاطمية فى السند، نجدها لدى القاضى النعمان بن حيون[٤٧] (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٤م) قاضى قضاة الخليفة المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١هـ/ ٣٦٥هـ-٩٥٣/ ٩٧٥م) فى كتابه افتتاح الدعوة. ويؤيد ما ذكره النعمان إشارة متأخرة مقتضبة لدى المؤرخ الفارسى رشيد الدين[٤٨] الذى وضع كتابه فى بدايات القرن الثامن الهجرى تلك الإشارة التى تتحدث عن دعاة الإسماعيلية فى السند خلال فترة التستر، قبل قيام دولتهم فى المغرب.

وليس من العسير أن ندرك دواعى اتجاه الفاطميين للسند، فلا شك أنها كانت موقع مثالى لنشر دعوتهم لبعدها عن السلطة العباسية المركزية، وسبق أن مر بنا كيف حاول محمد النفس الزكية نشر دعوته هناك عن طريق ابنه عبد الله يضاف لذلك أن سلطة العباسيين على الولاية اقتصرت على الناحية الروحية، بعد انقسامها لعدة إمارات. كما كان ذلك إرهاصاً لأهداف فاطمية مستقبلية ستظهر بعد قيام دولتهم فى مصر.

ولا يعطينا النعمان تفاصيل واضحة عن خطى الهيثم داخل السند، وإن لخص نتائج عمله هناك بقوله " فاستجاب له الكثير من أهلها، ودعوته اليوم فاشية فى السند "[٤٩]. ويفهم من نص النعمان أن الهيثم قد حقق نجاحاً كبيراً هناك وصار للإسماعيلية الكثير من الأتباع بعد مرور ما يقرب من ثمانية عقود من بدء عمل الداعى، فى منتصف القرن الرابع الهجرى فى أيام النعمان الذى وضع مصنفه عام ٣٤٦هـ ٩٥٧/ م.

ومع تلك الحقائق الواضحة يعود النعمان ليزيد من حيرتنا بتفاصيل غامضة فى مصنفه الآخر " المجالس والمسايرات "، الذى وضعه عام ٣٥١هـ/ ٩٦٢م، وتناول فيه ملامح من مجالس وأخبار الخليفة المعز، إذ يذكر أنه كان فى زمن الأخير داع إسماعيلى فى إحدى الجزر البعيدة، ولم يحدد هنا اسم الداعى أو الجزيرة؛ ويكمل النعمان روايته بأن الداعى انحرف عن أهداف الدعوة وقام باجتذاب الكثير من

المجوس بطرق ملتوية، كالسماح لهم بالإبقاء على بعض الطقوس الوثنية، كنكاح المحارم وتناول المحرمات وغيرها من الطقوس الأخرى، وقد اعتبر هذا الداعى منشقاً لدى الدوائر الفاطمية الرسمية[٥٠].

وبرغم ضيق المعز من سلوك الداعى، إلا أن أسماعه لم تلبث أن اهتزت طرباً بعد نجاح الأخير فى جذب أحد أمراء المنطقة لدعوته وقطع الدعاء للخليفة العباسى وجعلها للخليفة الفاطمى، ونجاح هذا الأمير فى هزيمة جيرانه الذين تآمروا عليه لهذا التحول. ورغم ما حققه هذا الداعى للفاطميين من دلالة سلطوية، فإن المعز لم يكن راضياً تماماً عن هذا الداعى لسلوكه السابق، وسرعان ما أتت الرياح بما تشتهيه سفنه بمصرع الأخير سقوطاً من فوق دابته، فأرسل داع آخر قام بتحطيم الصنم الذى يحج إليه المجوس فى تلك الجزيرة[٥١].

وبهذا الحدث تنتهى رواية النعمان الغامضة، لتضعنا أمام العديد من التساؤلات حول محتواها؛ فبداية نصطدم بكلمة " مجوس "، التى تبدو غريبة هنا بالنسبة لسكان الهند. وقد حاول البعض أن يقترح تفسيراً لتلك الكلمة، مثل شتيرن Stern[٥٢] الذى رأى أنها تسمية غامضة بالنسبة للهنود الذين يفترض أنهم بوذيون، وفسر ذلك بأنه ربما كان هناك بعض الزرادشتيين من عبدة النار بين سكان الجزيرة. لكن هذا التفسير يبدو ضعيفاً، ويلوح لنا أن هناك تفسيرين محتملين لهذه الكلمة، الأول اصطلاحى بمعنى أن هذا المصطلح كان من الشائع استعماله للدلاله على غير المسلمين من غير أهل الكتاب، ومثال ذلك وصف بزرك بن شهريار[٥٣] لرجل فارسى قابله فى رحلته، بأنه كان " مجوسياً على دين الهند ". والتفسير الثانى خاص بطبيعة الإله الذى كان يعبده البوذيون، فكما أشار البيرونى[٥٤] فإن تمثال معبد مولتان كان يرمز للشمس ويحمل اسمها. والشمس والنار يتشابهان فى جوهرهما؛ كما أن الإله الفارسى ميثرا كان يمثل رمزاً لإله الشمس، ومن هنا تبدو الصلة واضحة بينهما.

أما عن سبب إخفاء النعمان لاسم الداعى والجزيرة، فنجده لدى النعمان نفسه إذ نراه يسير على نفس الدرب فى حديثه عن سائر الجزائر الفاطمية. ويبدو أنه كان

أمراً طبيعياً فى ظل سياسة التقية، خاصة أن الدعوة كانت لازالت فى بدايتها هناك. ويمكننا أن نخمن بسهولة أن تلك الجزيرة هى السند، من خلال ما ذكره عن الصنم العظيم الذى كان يحج إليه الهنود، وهو بالطبع تمثال مولتان.

ويكتمل هذا الحدس بواسطة الداعى اليمنى عماد الدين إدريس[٥٥] (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م) فى كتابه عيون الأخبار، إذ يقدم لنا تفسيراً واضحاً لتلك الأحداث، مع التصريح بأسماء الأشخاص والأماكن. ونراه يقتبس نص النعمان السابق، لكنه يسبقه بمطلع استهلالى يتحدث فيه عن ظهور الدعوة فى السند فى عهد المعز، وهو هنا يجلو الغموض عن اسم الجزيرة، كما ذكر اسم الداعى الجديد الذى أرسله المعز بدلاً من الداعى السابق وهو حلم بن شيبان. ولا يخفى علينا هنا أن تلك التفصيلات ترجع لانتهاء تلك الأحداث، وعدم جدوى إخفاء الأسماء، كما أن تجاهل اسم الداعى المنشق ربما يرجع لعدم رضى الدوائر الرسمية عنه.

ولم يكتف إدريس بما قدمه من تفصيلات، بل زاد على ذلك بتأكيد تلك الأحداث بوثيقة هامة، وهى رسالة من المعز للداعى حلم مؤرخة بعام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م. ومحتوى الرسالة يتضمن رد من المعز على رسالة سابقة من داعيه. ويمكننا أن نستشف محتوى رسالة حلم من خلال رد المعز عليه، فيبدو أن الأول قد أخبر الأخير بما حققه من نجاح فى نشر دعوته، وقيامه بتحطيم تمثال مولتان المقدس. وجاء رد المعز عليه يفيض بالسرور من ذلك، وإن كان قد تلطف فى طلب إرسال رأس التمثال إليه.

والذى يهمنا من تلك الرسالة هو تأكيد تفسير إدريس لرواية النعمان، وقد حاول ايفانوف Ivanow[٥٦] أن يقلل من أهمية تلك الوثيقة بالتلميح بكونها غير أصلية، لكن شتيرن[٥٧] تصدى له بمقارنة تلك الرسالة بما ذكره النعمان فى كتابه المجالس والمسايرات. وهو ما تطابق مع الأحداث؛ لكن تاريخ الرسالة أصابه بالحيرة، على اعتبار أن النعمان انتهى من مؤلفه عام ٣٥١هـ/ ٩٦٢م، أى أن الأحداث من المفترض أن تكون سابقة لهذا التاريخ، فى حين أن الرسالة مؤرخة بعام ٣٥٤هـ/٩٦٥م. وتظهر الحيرة هنا من الفارق الزمنى بين وقوع الأحداث ورسالة المعز للداعى، لكنه ليس فارقاً

كبيراً، فربما وصلت رسالة حلم التى لم يحدد تاريخها بعد فترة من وقوع تلك الأحداث. ولاشك أن سبب هذا الارتباك يعود لقلة المادة المتاحة فى المصادر الأخرى عن هذا النشاط الشيعى.

والغريب أن ابن حوقل الذى زار المنطقة بعد منتصف القرن الرابع الهجرى، أى بعد وقوع تلك الأحداث، لم يشر من قريب أو بعيد لوجود النفوذ الشيعى على الإمارة السامية، رغم ما عرف عنه من كونه إسماعيلى النزعة. ولكن يبدو أن كونه فاطمى الميول جعله لا يحاول أن يقدم تفصيلات عن تلك الدعوة التى ما زالت فى طور التكوين، وهو ما ظهر لدى النعمان من قبله.

ولدينا عدة إشارات هامة فى هذا الصدد ترجع لعهد الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م)، وتؤكد على تطور الوجود الفاطمى فى الإمارة السامية؛ والأولى وردت لدى جغرافى مجهول[٥٨] وترجع لعام ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م، وتشير إلى استمرار الخطبة للخليفة الفاطمى فى الإمارة السامية كما تشير إلى عدم تحطيم تمثال مولتان واستمرار توافد الحجاج الهنود عليه. والإشارة الثانية وردت لدى المقدسى[٥٩] وترجع لعام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، ويذكر فيها أن أهل مولتان يغلب عليهم التشيع ويهولعون فى الآذان. وتظهر لدى المقدسى ملامح بداية انفراد الدعاة الفاطميين بالحكم واختفاء ذكر أمراء بنى سامة، ويظهر ذلك فى قوله أن حاكم الإمارة لا ينفذ أمراً دون مشورة الخليفة الفاطمى، وأن السفارات والهدايا لا تنقطع بينهما، كما أصبحت عملة الإمارة تضرب على الطراز الفاطمى، ويختتم حديثه بالإشارة لوجود تمثال مولتان. وتأتى الإشارة الثالثة لتبلور المشهد السابق، حيث يذكر الجوزجانى[٦٠] أن العزيز بالله وجه جيشاً من إسماعيلية خراسان للداعى حلم عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، وأن حلم استطاع بمساعدة هذا الجيش أن يستولى على مقاليد الإمارة.

ولا شك أن عدم تحطيم التمثال وفقاً لروايتى الجغرافى المجهول والمقدسى يتعارض مع ما ورد لدى النعمان ورسالة المعز، ولكن يمكننا افتراض أن عملية

التحطيم لم تتم فعلاً فى عهد المعز ، وربما نجد فى رسالة الأخير لحلم إيحاء بذلك عندما طلب منه أن يرسل رأس التمثال إليه . إذ يبدو أن المعز لم يكن واثقاً من تحطيمه أو أن يكون التحطيم جزئى بمعنى نزع الأحجار الكريمة منه أو تشويهه .

والبيرونى[٦١] هو المصدر الوحيد غير الشيعى الذى ذكر أن حلم حطم تمثال مولتان المقدس لكنه لم يحدد تاريخاً لذلك . واستناداً إلى أن المقدسى لم يذكر تحطيم التمثال حتى عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م ، وأن آخر عهد الداعى الفاطمى حلم كان عام ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م ، فإن بعض الباحثين[٦٢] اقترحوا أن يكون العام الأخير لحلم هو العام الذى تم فيه كسر التمثال نهائيا . وهو الرأى الأقرب للصواب .

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نحدد ملامح الوجود الفاطمى فى السند ، منذ أن بذر الدعاة الفاطميون بذور دعوتهم هناك ، حتى أثمرت تلك البذور بقيام إمارة فاطمية على أنقاض الإمارة السامية ، بعد قرن كامل من الاكتفاء بالسيطرة الروحية عليها . وهنا يبرز التساؤل حول ماهية العلاقة بين أمير مولتان السامى والداعى الفاطمى قبل انفراد الأخير بالحكم . ويرجح شتيرن[٦٣] وجود نوع من الحكم المشترك بين الطرفين ، وان الأمير السامى كان يحكم الإمارة تحت القيادة الروحية للداعى ، مع إعلان الولاء للخليفة الفاطمى فى مصر .

ويبدو أن الفاطميين لم يقنعوا بالاكتفاء بالسيادة الروحية على الإمارة وتطلعوا للسيادة الكاملة عليها ، لذا استولوا على الحكم بالكامل تدريجياً دون أن يثيروا قبيلة بنى سامة ولعل فى تحطيمهم تمثال مولتان ما يدل على زوال النفوذ السياسى لبنى سامة ، إذ أنهم كانوا يدركون أهمية هذا التمثال الاستراتيجية والاقتصادية ، ولم يكن لديهم هذا الاندفاع الدينى الذى تحلى به الدعاة الفاطميون وجعلهم يحطمونه رغم ما قد يجلبه ذلك من عواقب . ولا مندوحة عن القول أن اتجاه الفاطميين لاستخدام القوة للسيطرة على الإمارة ، كان دافعه تهيؤ الظروف هناك بعد السيطرة التامة للداعى الفاطمى على الأمير السامى ، وربما كان لضعف الأخير دور هام فى تلك الخطوة الهامة فى الحياة السياسية للإمارة ، بل والسند كلها . وتبدو السيطرة

الفاطمية الكاملة على الإمارة فى ضرب سكتها على الطراز الفاطمى، وجعل الدعاء فى مساجدها للخليفة الفاطمى.

وهكذا انقسمت السند إلى معسكرين، أحدهما سنى وتمثل فى الإمارة الهبارية، والآخر شيعى فاطمى وتمثل فى الإمارة الإسماعيلية. ويبدو غريباً أن يجعل الدعاة مجال نشاطهم فى مولتان دون أن يمدوه للإمارة الهبارية، رغم أن الكثير من العلويين كانوا يعيشون بها(٦٤). ولكن يبدو أن الفاطميين خشوا منافستهم على الحكم، باعتبارهم الأقرب لبيت النبوة منهم، ومن ثم آثروا الابتعاد عنهم قدر المستطاع. ومع ذلك لم تنج الإمارة الهبارية من النفوذ الشيعى، إذ أنهم اضطروا لجعل الخطبة للبويهيين الشيعة(٦٥) خوفاً من بطشهم الذى طال الخليفة العباسى نفسه.

وهكذا فقدت الدولة العباسية سيادتها الروحية على إمارتى السند، الإمارة الهبارية التى رنت بأنظارها للقوة الجديدة على الساحة واعترفت بنفوذها. والإمارة السامية التى صارت إمارة فاطمية خالصة. وزاد من سوء الأمور بالنسبة للعباسيين وجود علاقات طيبة بين البويهيين والفاطميين خاصة فى عهد عضد الدولة(٦٦)، إذ لدينا إشارات عن وجود اتصالات بين عضد الدولة والعزيز بالله الفاطمى، وخلال المراسلات بينهما اعترف الأول بفضل آل البيت، وخاطب العزيز بالحضرة الشريفة وأقر له بالطاعة(٦٧). ومعنى ذلك وجود توافق بين الطرفين خاصة وأن كليهما على المذهب الشيعى، ويمكننا القول إذن أن السيادة الشيعية على السند على المستوى الرسمى خلال الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى صارت أمراً واقعاً، وإن كانت اسمية على الإمارة الهبارية، وفعلية على الإمارة الإسماعيلية. وصارت بذلك السيادة العباسية على السند، حتى من الناحية الروحية ضرباً من الماضى، بعد أن وجه إليها الشيعة العديد من الضربات المتلاحقة، سواء بسيطرتهم على مركز الدولة العباسية أو أملاكها فى السند.

وبجانب هاتين الإمارتين اللتان اقتسمتا حكم السند، قامت بمكران ثلاث إمارات عربية مستقلة، لكنها كانت اقل من حيث الحجم والقوة والشهرة، لذلك

فمعلوماتنا عنها قليلة للغاية، ولا تعدو ذكر مؤسسى الإمارة وعلاقتهم بالدولة العباسية وهو ما يهمنا فى المقام الأول، وكان ظهور تلك الإمارات فى نهاية النصف الأول من القرن الرابع الهجرى.

وقامت الإمارة الأولى فى شرق مكران على يد رجل يدعى مغير بن أحمد الذى اتخذ من قصدار عاصمة له، وحرص على الاعتراف بالخليفة العباسى، وجعل له الدعاء فى خطبة الجمعة. أما الإمارة الثانية فقامت فى غرب مكران وتحديدا بالقرب من فنزبور(٦٨) على حدود كرمان بزعامة مطهر بن رجاء، وسارت تلك الإمارة على نهج جارتها من حيث الاعتراف بالسلطة الروحية للخليفة العباسى(٦٩).

أما الإمارة الثالثة والتى أسسها عيسى بن معدان واتخذت من مدينة كيز(٧٠) عاصمة لها، فقد قامت على ساحل مكران، واتخذت موقفاً مغايراً لجارتها فتميزت باستقلالها التام ولم تعترف بالخلافة العباسية(٧١)، ويبدو أن النفوذ الشيعى قد تغلغل بها، حيث يذكر المقدسى أن الخطبة كانت للخليفة الفاطمى وان لم يؤكد بقوله " سمعت "(٧٢).

وهكذا فإن المادة المتاحة عن تلك الإمارات نادرة نسبياً، وتعطينا صورة باهتة لمكران، التخم الشمالى للسند التى تمزقت لثلاث إمارات مستقلة كانت نهايتها جميعا على يد الغوريين(٧٣)، وتنسحب تلك الندرة فى التفاصيل الخاصة بعلاقة إماراتى السند بتلك الإمارات، والأرجح أن إمارات السند لم ترغب فى الدخول فى صراعات فى مكران تكلفها الكثير من المال والجهد دون طائل. كما أن السيطرة الشيعية التى فرضت على السند قد طالت تخومها أيضاً.

لكن تلك السيطرة الشيعية على السند لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما ظهر الغزنويون على الساحة(٧٤)، وأعادوا تكوين السيطرة الإسلامية على الهند. ولم يكن اهتمام الغزنويين بالهند أمراً جديداً، خاصة أن حاضرتهم غزنة كانت تجاور التخوم الشمالية لها؛ لذلك اهتم سبكتكين بالفتوحات فى شمال الهند، وسرعان مادخل فى صدام مع ملك كشمير جيبالا Jaypala وشن ضده حملتين ناجحتين بين

عامي (٣٦٤ـ٣٦٦هـ/ ٩٧٤ـ٩٧٦م)[٧٥]، كما توغل فى الإمارة الفاطمية ووصل حاضرتها مولتان عام ٣٨١هـ/ ٩٩١م، لكنه سرعان ما اكتفى بعقد الصلح مع واليها المدعو الشيخ حميد وعاد إلى غزنة[٧٦]. ويبدو أنه أراد أن يجعل من مولتان إمارة حاجزة ضد مملكة قنوج القوية، كما آثر التفرغ لاستغلال الخلافات التى اندلعت فى جسم الدولة السامانية[٧٧].

وكان سبكتكين يعتمد فى حملاته على الهند فى المقام الأول على ابنه محمود لتنفيذ تلك الحملات، وكان ذلك إرهاصاً للدور الفعال الذى سيلعبه الأخير عقب وفاة والده عام ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م، حينما سيكتسح الهند فى غزوة ضخمة أنهى بها استقلال إمارات السند، ومد نفوذه جنوباً، وذلك خلال العقد الأخير من القرن الرابع الهجرى، تلك الغزوات التى تعد فاصلاً فى العلاقات بين الدولة العباسية والهند[٧٨].

وصفوة القول أن ظهور الإمارات العربية المستقلة فى السند كان وضعاً طبيعياً مع الإطار العام للدولة العباسية، وما أصابها من ضعف أدى لظهور العديد من النزعات الانفصالية فى شتى أنحاء الدولة. حقيقة اعترفت تلك الإمارات فى البداية بالسيادة الروحية للعباسيين، لكنها أضافت المزيد من الآلام لجسد الدولة المثقل بالجراح، قبل أن يبتر الفاطميون آخر الخيوط التى كانت تربط السند بالعباسيين. ومع ظهور الغزنويين كقوة سنية جديدة لاحت فى الأفق بوادر تغير تلك الأوضاع وهو ما عد مرحلة جديدة من تاريخ العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والهند.

هوامش الفصل الثانى

(١) المسعودى، مروج الذهب، ج٢، ص ١٦٥ .

(2) Hudud Al -Alam, p. 91.

(3) Ray, H., Word Baurah in Muruj ul Zahab of al Masudi , IHQ, 18 (1942), pp.369 372; Bagchi, A., Baurah or Baruza? , IHQ, 19 (1943), pp.266 269; Minorsky, Hudud, p. 253.

(٤) المسعودى، مروج الذهب، ج٢، ص ١٦٥ .

(5) Mahajan, Muslim Rule, p.14; Minorsky(ed.), op.cit, p.236.

(٦) انظر، ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٧) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٣٥ ؛ ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٦٧ ؛ سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص ١٢ .

(8) (Minorsky),op.cit, p.238.

(٩) ابن حزم الأندلسى، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٣، ص١١٨ .

(١٠) عن هذا الرأى انظر،

Reinaud, Mémoire Géographique, p.214.

(١١) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج٢، ص ٤٩٠ .

(١٢) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمد شاكر، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٥٢٠ .

(١٣) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ٣٧ .

ومن الغريب أن بعض المؤرخين المحدثين خلطوا بين مدينتى (ديبل) و(دبيل)، عند الحديث عن الزلزال الذى وقع فى المدينة الثانية عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣ م، إذ نسبوا تلك الأحداث للمدينة الأولى فى عهد موسى، رغم أنه وقع فى الثانية التى تقع فى أرمينية. عن هذا الزلزال انظر ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج٥، الدكن، ١٣٥٨، ص ١٤٣ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٧٧ ؛ وعن مدينة دبيل انظر، الإدريسى، نزهة المشتاق، ج٢، ص ٨٢٠ ؛ ومن الذين سقطوا فى هذا الخلط انظر، المباركبورى، الهند فى عهد العباسيين ص ٥٣ ؛ عبد الله جمال الدين، التاريخ والحضارة، ص ١٣٣ .

(١٤) الأعلاق النفيسة، ص ١٣٥ .

(١٥) مروج الذهب، ج٢، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(١٦) المسالك والممالك، ص ١٠٣ ؛ صورة الأرض، ص ٣٢٠ .

(١٧) عن شخصية يعقوب وبداياته الأولى انظر، الكرديزى، زين الأخبار، ٢٢٠ـ ٢٢١ ؛ ٤٥ صلاح عبد الهادى الحيدرى، يعقوب بن الليث الصفار، مؤسس الدولة الصفارية، مجلة آداب الرافدين، العدد السابع، العراق، ١٩٨٧، ص ٢٠٠ـ ٢٠١ ؛

Bartold, W., Zur Geschishte der Saffariden , OS, (1906), pp.171 191; Ladnex, B., External Policy and inter Dynastic Relations under the Saffarids , RO, 36 (1974), pp.133 150.

(١٨) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج٢، ص ٤٩٥ .

(١٩) للمزيد من التفاصيل عن هاتين الحملتين انظر، الكرديزى، المصدر السابق، ص ٢٢٢ ؛

Stern, S., Yaqub b. al lait und der Zunbil , ZDMG, 120 (1970), pp. 69 83.

(٢٠) ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ج١، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٢٦ .

(٢١) مجهول، تاريخ سيستان، ص ٢٣١ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص ٤٠٤ .

(٢٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٦٣ .

(٢٣) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص٤٤ـ ٤٥ .

(٢٤) أحسن التقاسيم، ص ٤٨٥ .

(٢٥) ينتمى البويهيون إلى عنصر الديلم، ومواطنهم الأصلية تطل على بحر قزوين، وقد ظهروا على مسرح الأحداث السياسية للدولة العباسية مع أوائل القرن الرابع الهجرى، وللمزيد من التفاصيل عنهم انظر، الجوزجانى، طبقات ناصرى، تصحيح وتعليق عبد الحى حبيبى، جاب دوم، كابل ١٣٤٢ ش، ص ٢٢٠ـ ٢٢٤ ؛ عباس برويز، تاريخ ديالمة وغزنويان، تهران، ١٣٣٦ ش، ص ٥١ ـ ٥٧ ؛ أكرم بهرامى، تاريخ إيران، ص ٥٤١ـ ٥٨٥ ؛

Krenkow, F., Poyeh , ZDMG, 65 (1911), pp.861 862.

(٢٦) عن سيطرة البويهيين على الخلفاء العباسيين انظر، ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ج١ ص ٢٩٩ وما بعدها ؛

Kabir, M., The Relation of Buwayhids Amirs with Abbasid caliphs , JPHS, 2 (1954), pp.228 243; idem, The Function of Khalifah during the Buwayhid period (946 1055 A.D) , JASP, 2 (1957), pp.174 180.

(٢٧) كان محمد زعيم قبيلة بنى سامة فى عمان، ولما استفحل خطر الخوارج فيها، عرض على الخليفة المعتمد أن يرسل بعض الإمدادات له، على أن يخلص الولاية منهم، ويحكمها فى ظل العباسيين، وبالفعل أجابه المعتمد لذلك، ونجح محمد فى التخلص من الخوارج وتولى الحكم فى الولاية. ولكن يبدو أن الأمور لم تستقم له لذلك اتخذ قراراً حاسماً بالتوجه نحو السند انظر، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٥ .

(٢٨) وقد أخطأ بعض الباحثين حينما استعانوا بنص البيرونى للدلالة على هذا الحدث، رغم أن نص البيرونى يشير إلى محمد بن القاسم الثقفى وإن كان قد خلط بين الاثنين فى المسمى فقط ويدل على ذلك ما ذكره من أن محمد أقام هناك مسجداً، وأن الشيعة الإسماعيلية عندما دخلوا ملتان أغلقوا هذا المسجد لكراهيتهم للأمويين انظر، البيرونى، كتاب الهند، ص ٥٦.

ومن هؤلاء الباحثين انظر مثلاً، المباركبورى، الهند فى عهد العباسيين، ص ٥٩؛ نصارى فهمى، الإمارات العربية، ص ٢٩٠.

(٢٩) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٣٥.

(٣٠) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ١٠٣.

(٣١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢١؛ ويبدو ذلك قريباً من الأسطورة الأخرى التى تراه يمثل النبى أيوب Job، انظر، البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٤٢٧؛

Pathan, Multan under Arabs, p. 17.

(٣٢) القزوينى، آثار البلاد، ص ١٢٢.

(٣٣) انظر، ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٣٥؛

Friedmann, Y., The temple of Multan , IOS, 2 (1972), p.178.

(٣٤) مروج الذهب، ج١، ص ١٦٦.

(٣٥) المسالك والممالك، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٣٦) المصدر السابق، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٣٧) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٤٨٥.

(٣٨) تنتسب الإسماعيلية إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، الإمام السابع الذى نصبه الإسماعيلية إماماً لهم، ومن أهم مبادئهم إيمانهم بالإمامة، وان العقل البشرى وحده يقصر عن الوصول إلى معرفة الله معرفة حقة، لذا يجب على الناس أن يختاروا إماماً يقوم بإرشادهم، كما يؤمنون أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً ظاهراً وباطناً، لذا عرفوا أيضاً بالباطنية، انظر، النوبختى، فرق الشيعة تحقيق عبد المنعم الحفنى، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٦٧؛ البغدادى، الفرق بين الفرق، ص ٢٦٥ ـ ٢٩٨.

Daftray, F., The Earliest Ismailis , ARABICA, 38 (1991), pp.214 245.

(٣٩) عن اتجاه الإسماعيلية للمغرب وتأسيس الدولة الفاطمية انظر، ابن حماد، أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامى نقرة، عبد الحليم عويس، ج١، القاهرة، ١٤٠١ هـ أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية فى مصر، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٤١ ـ ٥٠.

Ivanow , A., Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids , (London 1942);
Dodge, B., Al ismailiyyah and the Origin of the Fatimids, MW, 49 (1959), pp.269 . 305.

(٤٠) عن الداعى والشروط الواجب توافرها فيه ومهام عمله انظر، المقريزى، المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، ج١، القاهرة، ١٢٧٠ هـ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢؛ خير الله سعيد عمل الدعاة الإسلاميين فى العصر العباسى، دمشق، ١٩٩٣، ص ١٢١ ـ ١٢٦.

Ivanow, A., The Organization of Fatimid Propaganda , JBBRAS, 15 (1939), pp.1 35.

(٤١) والجزيرة هنا مصطلح إسماعيلى يقصد به المنطقة التى يوجد بها الداعى انظر، النعمان، المجالس والمسايرات، نشر شتيرن،

In : BSOAS , 17 (1955),p.28 ; Stern, S., Ismaili Propaganda and Fatimid Rule in Sind , IC, 23 (1949), p.302.

(٤٢) عن نشاط الفاطميين ودور دعاتهم انظر، المقريزى، المصدرالسابق، ج١، ص ٢٧٢ـ٢٧٧؛

Canard,M., L imperialisme des Fatimites et leur propaganda , AIEO , (1942 47) , pp.156 193 ; Barghuthy, O., A Ministry of Propaganda under the Fatimids , JMES , 1(1947) , pp.57- 59.

(43) Lewis, B., Origins Ismailism, (Cambridge 1948), p.56; Daftray , The Earliest Ismailis, p.231.

(٤٤) عن الدعوة الإسماعيلية فى تلك المناطق فى مراحلها المبكرة انظر،

Stern, S., "The Early Isma'ili Missionaries in North -West Persia and Khursan and Transoxania", BSOAS, 23 (1960), pp.56 - 90.

(٤٥) لمزيد من التفاصيل عن الدعوة فى اليمن انظر، عمارة اليمنى، تاريخ اليمن، القاهرة، ١٩٦٠ ص ٣ وما بعدها؛ محمد جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب، القاهرة ١٩٥٠، ص ٥٨ـ٩٧.

(٤٦) وهو ابو القاسم رستم بن الحسين الكوفى، وكان يسمى أيضاً منصور اليمن نتيجة ما حققه من نجاح هناك، وللمزيد عن شخصيته ونشاطه انظر، المقريزى، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٦٧ ـ ٦٨ خير الله عمل الدعاة، ص ٢٢٧ـ٢٢٨؛

Halm, H., Die sirt ibn Hawshab : Ismailische dawa im Jemen und die Fatimiden, WO , 12 (1981) , pp.108 135.

(٤٧) رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضى، بيروت، ١٩٧٠، ص ٤٥.

(٤٨) جامع التواريخ، ص ١١؛

Levy, R., Ismailli Doctrines in Jamiat Tawarikh , JRAS, (1930), pp.516 518.

(٤٩) انظر، النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ٤٥.

(٥٠) انظر، النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٢٨ ـ ٣٠.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٣١ـ ٣٣.

(52) Stern, Ismaili propaganda, p.299.

(٥٣) عجائب الهند، ص ١٩.

(٥٤) تحقيق ما للهند، ص ٥٦.

(٥٥) عيون الأخبار وفنون الآثار، ج٦، تحقيق محمود غالب، بيروت، ١٩٧٨، ص ٢١٤- ٢٢٢.

(56) Ivanow, Ismailis and Qarmatians , JBBRAS, (1940), pp.74 76.

(57) Stern, Hertodox Ismailism at the Time of al Muizz , BSOAS, 17 (1955), pp.13 15.

(58) Hudud al - Alam, p.89.

(٥٩) أحسن التقاسيم، ص ٤٨٢، ٤٨٥ .

(٦٠) طبقات ناصرى، ص ٨.

(٦١) تحقيق ما للهند، ص ٥٦؛ الجماهر، ص ٤٩ .

(62) Hamadani, A., The Fatimid - Abbasid conflict in India, IC, 41 (1967), pp.185 - 189; Friedmann, The temple of Multan, p.179.

(63) Stern, Ismaili Propaganda, p.302.

(٦٤) المسعودى، مروج الذهب، ج٢، ص ١٦٨ .

(٦٥) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٤٨٥ .

(٦٦) للوقوف على طبيعة العلاقات بين الفاطميين والبويهيين انظر، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج٤، القاهرة (ب. ت)، ص ١٢٥ ؛

Kabir, M., The relation of Buwahides with Fatimids , IND. IR, 8 (1955) , pp.28 33.

(٦٧) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٧٠٩.

(٦٨) ويطلق عليها أحياناً قنزبور وعنها انظر، ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٥٢ .

(٦٩) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ١٠٥ .

(٧٠) من أشهر مدن مكران وعنها انظر، ياقوت الحموى، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٩٧ .

(٧١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢٥.

(٧٢) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٤٨٥ .

(٧٣) قامت الدولة الغورية على أنقاض الدولة الغزنوية، وتنسب لمكان نشأتها وهى المناطق الجبلية المعروفة بغورستان، وكان أول ملوكهم قطب الدين محمد. وللمزيد عنهم انظر، الجوزجانى، طبقات ناصرى، ص ٣١٨ ـ ٣٢٤؛ فخر الدين مباركشاه، تاريخ مباركشاه فى أحوال الهند، تحقيق ثريا محمد على، القاهرة، ١٩٩١؛

Kieffer, C., Les Ghorides une grande dynastie nationale , Afghanistan, 16 (1961) ,pp.37 50 ; 17 (1962), pp.40 56.

(٧٤) ينتسب الغزنويون لحاضرتهم غزنة، ويعتبر سبكتكين بن جوقى هو المؤسس الحقيقى للدولة الغزنوية، وللمزيد عنهم انظر، الجوزجانى، طبقات ناصرى، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨؛ استاد خليلى، سلطنت غزنويان، تهران ١٣٣٣ ش، ص ٦ ١٢؛ بدر عبد الرحمن، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٥٧ ـ ١٥٩ .

Bosworth, C., Early sources for history of the First Four Ghaznavid Sultans (977 1041) , IQ, 7 (1963), pp.3 22.

(٧٥) لمزيد من التفاصيل عن هاتين الحملتين انظر، الكرديزى، زين الأخبار، ص ٢٨ ـ ٢٩؛
Sharma, R., The Ghaznavids in Punjab , JIH, 46 (1968), pp.125 146.

(٧٦) فرشته، تاريخ فرشته، ج١، ص٢٠.

(77) Hamadani, A., The Beginning Ismaili Dawa in Northern India, (Cairo, 1956), p.4.

(٧٨) للوقوف على غزوات محمود فى الهند انظر، الكرديزى، زين الأخبار، ص ٢٨٥ - ٣٠٢ فرشته، تاريخ فرشته، ج١، ص ٢٠ ـ ٢٥؛ عباس برويز، تاريخ ديالمة وغزنويان، ص ٢٠١ ـ ٢١٧؛ استاد خليلى، سلطنت غزنويان، ٥٤ ـ ١٠١؛
Bosworth, The imperial policy of the early Ghaznavids , IS, 1 (1962), pp.49 82; Lal, K., The Ghaznavids in India , BPP, 89 (1970), pp.85 92.

الفصل الثالث



«بينما كان محمد بن القاسم يعد لحملته على السند، كان التجار العرب يعدون سفنهم ويودعون أوطانهم، على توقع المراكز التجارية التي سوف تقام على السواحل الهندية»[1].

بهذه العبارة بالغة الدلالة يصور أحد الباحثين نظرة العرب للآفاق التجارية الآخذة في الاتساع التي سوف تربطهم بالهند خلال المرحلة الجديدة، التي شهدت سعي العرب الجدي لفتح الهند وضمها لدولتهم. ولا ينبغي أن ندهش لتلك النظرة إذ أن لها خلفية تاريخية، حيث سيطر العرب ـ كما سبق أن ذكرنا - منذ زمن بعيد على الملاحة ومقاليد التجارة في منطقة الخليج العربي وجنبات المحيط الهندي، وتبادلوا معطيات التجارة مع الهند والصين.

ومع إلقاء نظرة متفحصة على خارطة العلاقات التجارية بين الدولة العباسية والهند، نجد أن أهم ملامحها تتمثل في أبرز الطرق البحرية والبرية التي ربطت بين الطرفين، والصعوبات التي أعاقت سبل تلك الطرق، والجهود التي بذلتها السلطات الحاكمة العباسية والهندية لتشجيع تلك العلاقات، وأهم المراكز التجارية في محيط تلك الطرق، وكذلك ماهية الوسطاء التجاريين الذين أنيط بهم تفعيل التبادل التجاري بين الجانبين، وتختتم بالتبادل السلعي بين الطرفين من حيث الكم والكيف.

ومع التنوع الطبوغرافي الذي شكل منظومة الجوار الجغرافي بين الدولة العباسية والهند، ظهرت العديد من الطرق التي ربطت بين الجانبين سواء كانت طرق بحرية

أو برية؛ البعض منها كان يجعل من الصين محطة لوصوله مروراً بالهند، والأخرى تنتهي بالهند رأساً. ولنبدأ بالطرق البحرية، وفي هذا الصدد نسترشد ببعض شهود العيان الذين سلكوا تلك الطرق، وأهمهم تاجر فارسي يدعى سليمان قام بالترحال من العراق إلى الصين مروراً بالهند، وخلف ورائه وصفاً دقيقاً لتلك الرحلة.

ويذكر سليمان أن السفن تحمل البضائع من البصرة وموانئ عمان الشمالية إلى سيراف التي تبدأ منها رحلته، وفيها تفرغ تلك السفن حمولتها في سفن أكبر تتزود بالمؤن ثم تتجه للموانئ الجنوبية لعمان، حيث تعاود التزود بالمؤن استعداداً للإبحار في مياه المحيط الهندي. وبعد ذلك تبحر السفن مباشرة نحو الجنوب الغربي للهند وتحديداً ميناء كولم ملي على ساحل مليبار[٢]، حيث تصلها بعد شهر في الأحوال العادية. وهناك تؤدي المكوس وتتزود بالمؤن، ثم تواصل رحلتها إلى جزيرة سيلان ومنها إلى خليج البنغال ثم تتجه أخيراً نحو الصين.

وتستغرق تلك الرحلة التي تنطلق من مدينة البصرة حتى ميناء خانفوه (كانتون) بالصين قرابة ستة أشهر أو أكثر، تتخللها فترات التوقف والراحة في بعض الموانئ الهامة، أما رحلة العودة فقد تستغرق نفس المدة تقريباً، فكانت رحلة الذهاب والعودة بذلك تتجاوز السنة، وربما اقتربت من السنتين[٣].

والمتأمل لتلك الرحلة يجد أنها بدأت من دلتا نهر الفرات عند رأس الخليج وأن هدفها الأساسي كان الوصول للصين[٤]، وأن الموانئ الهندية في تلك الرحلة مثل كولم ملي وسيلان بجانب كونها محطات للتموين، جرى بها تبادل سلعي تم بمقتضاه دفع المكوس. ونلاحظ أن المجرى الملاحي للرحلة كان يتجه نحو السواحل الجنوبية للهند متجنباً الاتصال بالولاية الإسلامية في السند. وربما كان تعليل ذلك أن هدفها الأساسي هو الوصول للصين، أو للهروب من عبث القراصنة الهنود المتربصين على السواحل الشمالية الغربية. أو بسبب اضطراب الأحوال في الولاية في هذا الوقت في بداية العصر العباسي الثاني.

وهناك وصف آخر لهذا الطريق لرحالة يدعى ابن وهب القرشي[٥]، كان من أثرياء البصرة ثم اضطر بعد سقوطها في يد ثوار الزنج في عام ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م[٦]،

للقيام برحلة طويلة إلى خمدان Khumdan أو سينانفو Sinanfu عاصمة الصين في هذا الوقت. ولوصفه أهمية خاصة إذ بعد وقت قصير منها اندلعت حرب أهلية في الصين بين عامي (٢٦١ - ٢٧٦هـ/ ٨٧٤ - ٨٨٩م)، وفي مداخلات تلك الأزمة تم القضاء على التجمعات العربية هناك، وقطعت الصلات المباشرة بين الصين والدولة العباسية(٧).

وهناك عدة طرق أخرى نجد ذكرها عند ابن خرداذبه، ارتبطت بالتجار اليهود الراذانية، الذين سنتناولهم بالتفصيل لاحقاً. والذي يهمنا هنا هي الطرق التي سلكوها، أو بمعنى أدق ربطوا بها بين طرفي العالم الإسلامي. والطريق الأول لهؤلاء التجار يبدأ من جنوب فرنسا، حيث يبحرون عبر البحر المتوسط حتى يصلوا إلى مصر، وهناك يحملون بضائعهم على ظهور الجمال حتى يصلوا لميناء القلزم (السويس) على البحر الأحمر، ثم تتجه رحلتهم لميناء جدة ومنها يبحرون في المحيط الهندي، حيث يسيرون بمحاذاة الساحل الجنوبي لإيران حتى يصلوا للسند، وتتوقف سفنهم في ميناء ديبل، حيث يجري هناك تبادل منتجات أوربا بالمنتجات الهندية، ثم يواصلون مسيرتهم إلى كولم ملي وسيلان حتى يصلوا إلى الصين. وهناك طريق آخر لهم يبدأ أيضاً من جنوب فرنسا، لكنه يتجه عبر البحر المتوسط نحو إنطاكية، ومنها يتجهون للعراق، وبعد التبادل التجاري هناك يتجهون إلى ميناء أبلة، ومنه ينطلقون كالطريق السابق نحو السند والهند والصين.

ومن خلال ما ذكره ابن خرداذبة، نلاحظ أن هذين الطريقين اتصلا بالولاية الإسلامية في السند عبر ميناء ديبل قبل أن يواصلا رحلتهما نحو الصين ويشير ذلك لاستقرار نسبي في أوضاع الولاية. ومن خلال روايتي سليمان وابن خرداذبه يبدو واضحاً أن الطريق نحو الهند ارتبط بصورة واضحة بالوصول للصين وأن موانئ ديبل شمالا، وكولم ملي وسيلان جنوباً، كانت النوافذ الرئيسية على الساحل الغربي للهند خلال تلك الطرق. كما نلاحظ في وصف الأخير أن القوافل التجارية البحرية كانت تمر بالقرب من معاقل القراصنة في خليجي كج وكاثيوار دون خوف

منها، ويبدو أن ذلك كان راجعاً للإجراءات الوقائية التى اتخذتها تلك القوافل لصد هجماتهم، بجانب الحملات التي كان يقوم بها الأسطول العباسى على معاقلهم مما أدى للحد من قوتهم.

وبجانب تلك الطرق التى اتجهت للصين مروراً بالهند، وجدت طرق أخرى اتجهت للهند مباشرة، ومنها الطريق الذى ربط بين شبه الجزيرة العربية والهند، والذى امتد من ميناء جدة مروراً بعدن، ثم صحار فى عمان ومنها نحو موانئ الهند(٨) بجانب بعض الطرق القصيرة التى ربطت بين صيمور وسيراف(٩).

أما عن الطرق البرية فهناك طريق ارتبط باليهود الراذانية أيضاً، ويبدأ من جنوب أوربا ويعبر البحر المتوسط نحو المغرب الأقصى، ومنه يخترق شمال أفريقيا حتى يصل إلى مصر ومنها يتجه صوب دمشق ثم بغداد والبصرة، ومنها يخترق ولايتى فارس وكرمان نحو السند والهند حتى يصل إلى الصين(١٠). وهناك طريق آخر ربط بين ولاية خراسان والسند(١١)، وطريق ثالث يمتد من البصرة مروراً بالأهواز وكرمان، ثم يمتد حتى السند عبر مكران(١٢).

ويظهر هذا التنوع الجغرافى لتلك الطرق، مدى عمق العلاقات التجارية التى ربطت الدولة العباسية بالهند، بداية من مركز الدولة فى العراق، ومروراً بالولايات الفارسية، ثم ولايات شبه الجزيرة العربية، وبلاد الشام وشمال أفريقيا بجانب جنوب أوربا. ولاشك لأن هذا التنوع الجغرافى الذى شمل النطاقات الثلاث الهامة فى تلك الحقبة، الأسيوى والأفريقى والأوربى، قد ساعد على تنوع المنتجات التجارية وازدهارها بصورة واسعة.

ومع هذا التنوع الكبير فى الطرق، كان لابد من وجود بعض الصعوبات التى اعترضت سبيل القوافل التجارية، وعانت من سياطها عبر تلك الطرق. ومنها ما هو سياسى ارتبط باضطراب الأوضاع السياسية سواء فى مركز الدولة أو فى ولاية السند، ومثال ذلك ما حدث من اضطرابات فى موانئ العراق الجنوبية إبان ثورة الزنج، حيث أستولى هؤلاء على الأبلة وعبادان والبصرة مما أثر على عمليات النقل

البحرى، كما أشاعت جيوشهم الرعب فى قلوب الناس بعد المذابح التى ارتكبوها في البصرة(١٣) ومع عجز العباسيين عن التصدى لهم مدوا سيطرتهم على الجزء الحيوى من جنوب العراق، وهددوا بذلك طرق التجارة المارة عبره. وكذلك الاضطرابات التى انتشرت فى السند سواء من القبائل العربية هناك أو من العناصر الهندية المتمردة، وقد أثرت تلك الأمور على مساهمة الولاية فى الحركة التجارية فى بعض الأحيان.

ومن الظواهر السياسية التى أثرت على العلاقات التجارية بين الدولة العباسية والهند خلال النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى، ظهور الفاطميين كقوة جديدة على الساحة السياسية ووصولهم لحكم مصر؛ فخلال تواجدهم فى المغرب لم يشكلوا خطورة كبيرة على التجارة العباسية مع الهند(١٤)، لكن مع انتقالهم إلى مصر وضعوا استراتيجية طويلة المدى ترمى لتحطيم قوة العباسيين ليحلوا محلهم كسلطة أحادية تحكم العالم الإسلامى. وكانت السيطرة على طرق التجارة البرية والبحرية المؤدية إلى الهند لتقوية دولتهم عن طريق الدعم الاقتصادى ثم إضعاف العباسيين إحدى مراحل تلك الاستراتيجية، وساعدهم على ذلك الفوضى والحروب التى دارت فى جنوب العراق والأقاليم الفارسية، مما جعل الطريق التجارى عبر العراق والخليج العربى غير آمن(١٥). وقد استغل الفاطميون تلك الطرق التجارية فى نشر دعوتهم بالهند، إذ كان التخفى فى زى التجار أفضل الطرق لدخول الدعاة هناك بعيداً عن أعين السلطات الحاكمة، وهذا الأسلوب ورثه الفاطميون عن العلويين، وسبق أن رأينا كيف تنكر عبد الله بن محمد النفس الزكية هو وشيعته فى زى تجار خيول حتى يتمكن من دخول السند دون لفت الأنظار إليه. وقد نجح الفاطميون فى النهاية فى إقامة إمارة لهم فى السند ارتبطت بهم سياسياً واقتصادياً، وكان ذلك بالطبع ضربة سياسية واقتصادية موجعة للدولة العباسية.

وبجانب ذلك كان هناك بعض الظواهر الطبيعية المؤثرة كالرياح الموسمية الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية، التى قامت بدور رئيسى فى حركة التجارة فى المحيط الهندى، بل ارتبطت مواعيد الإبحار ارتباطاً تاماً بمواقيت هبوب تلك الرياح، ونجد

لدى المسعودى[١٦] وصفاً تفصيلياً لتلك المواقيت، وما تسببه تلك الرياح من ارتفاع حركة الأمواج وصعوبة الملاحة، وتجنب التجار للإبحار وقت هبوب تلك الرياح خلال فصل الصيف.

كما تمتلئ صفحات المصادر بوصف الأهوال التى يلاقيها البحارة من جراء تلك الرياح، وغرق الكثير من السفن بسببها؛ ومنها ما ذكره بزرك[١٧] عن إحدى الكوارث البحرية التى تسببت فيها تلك الرياح، حيث غرقت ثلاث سفن ضخمة كانت متجهة من سيراف إلى صيمور، وتحمل ألف ومائتى رجل من البحارة والتجار، وأدت تلك الكارثة إلى اضطراب الأحوال فى هذين الميناءين، نتيجة الخسارة الفادحة فى أرواح التجار والملاحين والأموال. كذلك ما ذكره الذهبى[١٨] عن غرق سفينة فى طريقها من الهند إلى البصرة تحمل الكثير من البضائع لأحد التجار العرب.

وبجانب ذلك عانت السفن التجارية من ضحالة المياه فى موانئ العراق الجنوبية كالبصرة، نتيجة كثرة الارسابات النهرية، مما كان يمنع رسو السفن الضخمة[١٩]. ويرتبط بتلك الظاهرة كثرة الخلجان على شواطئ الخليج العربى والساحل الهندى، والتى عرفت باسم الأغباب والأخوار، وتظهر خطورتها إبان حركة المد والجزر، حيث ينخفض بها منسوب المياه مما يعرض السفن الكبيرة لخطر الاصطدام بالقاع. وتبدو تلك الظاهرة فيما ذكره سليمان عن اتجاه السفن الكبيرة لسيراف وعدم تقدمها للبصرة أو اتجاهها لموانئ عمان الشمالية، نظراً لوجود تلك الخلجان على الساحل العربى للخليج قبل سيراف، وضحالة المياه فى ميناء البصرة كما تحدث بزرك عن تلك الخلجان التى وجدت على الساحل الغربى للهند عند صيمور، وكذلك بالقرب من سواحل سرنديب[٢٠].

ونظراً لما تسببه حركة المد والجزر من متاعب للبحارة والتجار، لذلك كان لهم علم واسع بمواعيدها، وظهر ذلك فيما ذكره سليمان عن مواقيت المد والجزر على طول الطريق من البصرة للصين؛ حيث قسم تلك المسافة إلى منطقتين متمايزتين فى

توقيت المد والجزر، الأولى تبدأ من البصرة حتى جزيرة ابركاوان[٢١] على الساحل الإيرانى الجنوبى، والثانية من تلك الجزيرة حتى الصين[٢٢].

ومن الظواهر الطبيعية الأخرى التى عانى منها البحارة والتجار، الرياح الإعصارية الحلزونية التى تسمى الدردور أو نافورات الماء[٢٣]. وهى إحدى الظواهر الخطيرة التى هددت السفن التجارية فى المحيط الهندى، وقد وصفها سليمان[٢٤] قوله: " سحاب أبيض يشرع منه لسان طويل رقيق حتى يلصق ذلك اللسان بماء البحر، فيغلى له ماء البحر مثل الزوبعة، فإذا أدركت الزوبعة المركب ابتلعته، ثم يرتفع ذلك السحاب فيمطر مطراً فيه قذى البحر... ".

ومن الظواهر الخطيرة الأخرى، الجبال الطافية عند السواحل العمانية وأشهرها جبلى كسير وعوير، وهى جبال يظهر جزء منها طافياً فوق سطح الماء والجزء الآخر يختفى فى الأعماق[٢٥]. وتبدو خطورة تلك الظاهرة فى الدلالة التى يشير إليها اسما الجبلين، وتجنب السفن الكبيرة عبور تلك المنطقة. وتبدو تلك الظاهرة شبيهة بجبال الثلج الطافية، التى يختفى معظمها تحت سطح الماء، مما يغرى السفن على العبور بجوارها فتصطدم قيعانها بالجزء المختفى من الجبال وتتحطم.

وبجانب ذلك كان هناك عقبة أكثر خطورة، وهم القراصنة الهنود الذين كانت سفنهم تتسكع بلا مبالاة على طول السواحل الشمالية الغربية للهند، فى محيط بات مسرحاً لأحداث يومية تتكرر باستمرار، حيث كانوا يغيرون على السفن التجارية بما لا يحصى من المرات عدداً، ثم يتخذون سبيلهم فى البحر سرباً؛ وعاثوا فساداً فى مياه المحيط الهندى، بل امتد نشاطهم ليصل لموانئ البحر الأحمر وطالت ذراعهم سواحل العراق، بل وتوغلوا داخل نهرى دجلة والفرات كما رأينا. بجانب بعض القراصنة العرب من سكان الخليج خاصة البحرين[٢٦]. وكانت مقاومة هؤلاء القراصنة على المستوى الفردى تتم بواسطة أصحاب السفن التجارية، فيما اتخذوه من إجراءات وقائية لحماية السفن من غارات القراصنة، ومنها حمل جنود مسلحين وآخرين مدربين على رمى النار، وقد أشار المقدسى[٢٧] لذلك بقوله " ولابد فى كل مركب من مقاتلة ونفاطين ".

على هذا النحو يمكن مقايسة ردود الفعل الرسمية تجاه تلك المعوقات، إذ كان من المتوقع أن تبذل السلطات الحاكمة فى الجانبين جهوداً مضاعفة لتذليلها، وتنشيط فعاليات التجارة بين الجانبين. وإذا كان المسلمون على النطاق الشعبى قد تطلعوا لنشاط تجارى عظيم مصاحب للسيطرة الإسلامية على السند؛ فإنه على المستوى الرسمى جاءت النتائج مخيبة للآمال بالنسبة للتجار على الأقل خلال العصر الأموى[٢٨]. فقد بقيت أعماق جغرافية هائلة بعيدة عن امتدادات التوسع الإسلامى، كما أن الوجود الإسلامى فى السند بات مهدداً بسبب الاضطرابات السياسية، وما طفا على السطح من نزاعات عصبية أججت تلك الاضطرابات. يضاف لذلك ما ذكره ميتز[٢٩] من أن الأمويين لم ينظروا للتجارة بعين التقدير، لأنهم كانوا جيلاً من المحاربين الفرسان وأمراء الإقطاع، ولم يكن لطبقة التجار شأن فى تاريخهم نتيجة ظروف متعددة تضافرت لتدعم هذا المنظور.

لكن الأمور تبدلت خلال العصر العباسى، حيث اتسمت سياسة الدولة العباسية بالتركيز على المواطن الاستراتيجية، لكى تضمن الهيمنة الكاملة على شبكة الطرق العالمية براً وبحراً، ثم إقرار السيادة فى هذه المناطق عن طريق إجراءات دفاعية، تمثلت فى النظام الثغرى لحماية التخوم شرقاً وغرباً، فضلاً عن الاعتراف بالكيانات المحلية لتلعب دوراً أساسياً فى حركة التطور، والتخفيف من غلواء المركزية باللجوء لنوع من الفدرالية المرتبطة بالدولة، طالما تضطلع بالمهمة الثغرية التى تكفل سيولة حركة التجارة[٣٠].

ويسوق آشتور[٣١] الدوافع التى حدت بالعباسيين للاهتمام بالتجارة مع الهند والشرق الأقصى بوجه عام؛ حيث يذكر أن مع وصول العباسيين إلى عرش الخلافة، بدأ عصر جديد من تاريخ التجارة الإسلامية مع الشرق الأقصى، فحياة الحكام الجدد المترفة والتى قلدها الوزراء والكبراء ورجال الدولة الآخرون، أصبحت تعنى تزايد الطلب على العطور والسلع النفيسة الأخرى من الشرق الأقصى، ولذلك تزايد حجم التجارة مع الهند والصين. وفى هذا الاتجاه يذهب أحد الباحثين[٣٢] فيرى أن تأسيس مدينة بغداد يعد حدثاً هاماً فى تاريخ العلاقات

التجارية بين الهند والعرب فلأول مرة فى التاريخ ارتبطت عاصمة الدولة الإسلامية مباشرة بطرق مائية مع الخليج العربى بواسطة نهرى دجلة والفرات، اللذان يجريان معاً صوب هذا الخليج.

وتبدو تلك الفروض فاعلة فى توصيف التوجهات العباسية نحو هذا الشطر الهام من العالم. ولعل النص الذى ذكره الطبرى(٣٣) والخاص بكلمة المنصور عند تدشين حاضرته الجديدة ينطوى على العديد من المفاهيم التى تعاضد الرؤية السابقة: "هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شىء يأتينا فيها كل ما فى البحر".

وبالطبع لم تكن تلك هى الأسباب الوحيدة التى دفعت العباسيين للاهتمام بالتجارة مع الشرق الأقصى؛ فعلى العكس من الأمويين الذين وجهوا جل اهتمامهم لمناطحة الإمبراطورية البيزنطية جارهم اللدود، وسعوا لبسط سيادتهم على البحر المتوسط بحكم وقوعه فى الدائرة المركزية لهم فى الشام. فإن العباسيين منذ أن ارتضوا لهم مكاناً شرقياً فى العراق، اتجهت سياستهم بدرجة كبيرة نحو السيطرة على المجال الحيوى لهم وما يتاخمه فى نطاق المحيط الهندى.

وظهرت جهود العباسيين فى محاولة القضاء على وجود القراصنة الهنود فى المنطقة؛ خاصة أن نشاطهم لم يقتصر على ساحل الهند فقط، بل وصل حتى سواحل اليمن، بل وزاد الطين بلة أن عبثهم طال سواحل البصرة كما سبق أن ذكرنا. وقد اتبعت السلطات العباسية فى هذا الصدد نهجان: الأول هو توجيه ولاتها فى السند لشن حملات برية وبحرية على مواطن هؤلاء القراصنة فى خليجى كوجه وكاثيوار فى سورشترا. والثانى بناء أسطول عباسى قوى فى المياه الجنوبية ليطهرها من خطرهم. ورغم تأخر تلك الخطوة، إلا أن الأسطول العباسى نجح فى الحد من نشاطهم؛ وتمتلئ حوليات المؤرخ البصرى ابن خياط بأنباء الصدامات التى نشبت بين الطرفين. وقد واظب الأسطول العباسى على مداهمة أوكار هؤلاء القراصنة حتى أخريات القرن الثالث الهجرى، ويتناول البلاذرى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)(٣٤) أخبار هذا النشاط بقوله "وسرشت هى مغزى أهل البصرة اليوم".

وسرشت بالطبع تحريف لسورشترا، والبصرة هى قاعدة الأسطول العباسى فى العراق. ومع انحسار النفوذ العباسى عن السند وقيام الإمارات المستقلة لم يكن هناك تنازع بينها حول من يتكفل بتأديبهم، فقد انتبذت الإمارة السامية مكاناً قصياً لها فى شمال السند، مكتفية بالتعاطف مع الإمارة الهبارية التى وقع عليها عبء التصدى لهؤلاء(٣٥).

وبجانب تلك الوسائل العسكرية استخدمت السلطات العباسية بعض الوسائل التفعيلية لضمان سيولة الحركة التجارية من وإلى موانيها؛ فمن أجل التغلب على المناطق الضحلة بالقرب من الساحل الجنوبى للعراق، والتى مثلت خطورة بالغة على السفن الميممة شطر العراق " أقيمت فى البحر ثلاث خشبات تستند إليها أبراج حراسة، وتوقد عليها شعلات من النار فى الليل لتقوم مقام المنارة لترشد السفن للابتعاد عن تلك المناطق "(٣٦).

من ناحية أخرى حرص بعض ملوك الهند خاصة الراشتراكوت على ساحل الهند الغربى، على تقديم العديد من التسهيلات للتجار العرب فى أراضيهم، بحكم الاتصال التجارى الحميم بينهما، وما كان يدره من أرباح طائلة على هؤلاء. وعلينا أن نقف طويلاً أمام ما ذكرته بعض المصادر من أن أهالى مملكة الرشتراكوت يزعمون أن أعمار ملوكهم تطول وفقاً لإكرامهم للعرب(٣٧). والتحليل المضمونى لتلك العبارة يظهر المغزى الاقتصادى الذى يقبع خلفها ,نظراً لما كان التجار العرب يدرونه من أرباح عليهم، وبعث النشاط التجارى فى أوصال مدنهم. وبلغ اهتمام الراشتراكوت بالتجار العرب أنهم كانوا يبعثون حاميات مسلحة ترافق القوافل التجارية عند تحركها فى أراضيهم حتى يغادروها(٣٨).

ومن نافلة القول أن امتداد الطرق التجارية بين الدولة العباسية والهند، قد ساعد على بروز العديد من المراكز التجارية البحرية والبرية التى لعبت دوراً هاماً فى تفعيل العلاقات بين الطرفين؛ ومن أهم تلك المراكز البحرية مدينة البصرة، التى احتلت مكانة تجارية هامة بفضل موقعها، حتى أن الجاحظ (٣٩) وصفها بقوله " العراق عين

الدنيا، والبصرة عين العراق " . كما اعتبرها سليمان مبدأ الطرق التجارية المنطلقة صوب الجنوب، ومحط رحالها(٤٠) كما حملت لقب أرض الهند نظراً لارتباطها بالرحلات التجارية المتجهة من وإلى الهند(٤١) . وإلى الجوار منها ميناء الأبلة؛ وكانت تسمى قديماً أبولوجوس، وتقع على شاطئ نهر دجلة إلى الشرق من البصرة وتعتبر الميناء الرئيسى لها، حيث ترسو فيه السفن الصينية الضخمة التى لا يمكنها الرسو فى البصرة، كما تنطلق منها السفن نحو شواطئ الهند، وبلغ من ازدهار القوافل التجارية المتجهة منها إلى الهند، أن العرب أطلقوا عليها اسم " فرج الهند "(٤٢) . ورغم أن يد التدمير قد امتدت إليها فى مداخلات ثورة الزنج عام ٢٥٦هـ / ٨٧٠م (٤٣)، إلا أنها عاودت نشاطها بعد ذلك.

وبالقرب من البصرة أيضاً كانت توجد جزيرة عبادان، وتقع جنوبها على الجانب الشرقى لشط العرب(٤٤)، وكانت تسمى ميان روزان(٤٥)، وتظهر أهميتها بالنسبة للسفن التجارية فى وجود حامية مسلحة بها لمكافحة القراصنة، وكذلك منارات لإرشاد السفن التى تقترب منه فى طريقها إلى البصرة، وبجانب ذلك كانت توجد بها مراصد لجباية المكوس(٤٦) .

وبجانب موانئ العراق ظهرت بعض الموانئ الفارسية ولعل أبرزها ميناء سيراف(٤٧)، التى كانت بمثابة المركز الدولى للتجارة البحرية فى المنطقة، خاصة فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة(٤٨) . وقد لعبت العوامل الطبيعية دوراً هاماً فى بروز هذا الميناء، فكما ذكر سليمان كان من الصعب على السفن الصينية العملاقة الإبحار فى المجرى الأدنى لنهر الفرات، بسبب كثرة الإرسابات الرملية، لذلك تم إنشاء هذا الميناء ليكون محطة لاستقبال وشحن تلك السفن(٤٩) . وقد أفادت سيراف من موقعها كمركز تجارى حتى صارت من أكثر بلاد فارس ثراء، وانعكس ذلك على مساكنها، فبدت غاية فى البهاء وتكونت من عدة طوابق(٥٠) .

وبجانب ذلك كان للموانئ العمانية نصيب وافر فى تلك المنظومة لاسيما ميناء صحار، الذى ظهرت أهميته كمحطة تموين وانطلاق للسفن المبحرة فى المحيط الهندى(٥١) ، وأدى ذلك لتقاطر التجار عليها، وانعكس هذا الوضع الاقتصادى

على طبيعتها الديموغرافية، حيث وصفها ابن حوقل[٥٢] بقوله " وهى أعمر مدن عمان وأكثرها مالاً. كما أن حاجة التجار للرسو فيها أدى لفرض بعض الرسوم الجمركية على تلك السفن "[٥٣].

أما الموانئ الهندية فكانت قليلة بحكم الطبيعة الجغرافية، ولعل أهمها ميناء ديبل فى السند، والذى عد أهم المراكز التجارية فيها، لذلك كان مرفأ هام فى طريق السفن الهندية والصينية، وتميز بكثرة توافد التجار عليه واستقرارهم فيه بحكم كونها مركزًا هامًا فى التبادل السلعى بين دواخل السند والتجار القادمين من خارجها[٥٤]. وهناك أيضاً ميناء صيمور، التى حملت قديماً اسم صيمول Symulls[٥٥] واحتلت مكانة متميزة كمركز تجارى هام، وظهر ذلك فيما ذكره بزرك[٥٦] عن وجود خط ملاحى مباشر ربطها بميناء سيراف، وكذلك ازدحامها بكثير من التجار المسلمين من عناصر شتى[٥٧]، ولعل السبب فى ذلك هى تلك المعاملة الطيبة التى لقيها هؤلاء من الحكام الراشتراكوت، والحرية التجارية والدينية التى منحوها إياهم. وهناك أيضاً ميناء كولم ملى، الذى احتل مكانة متميزة باعتباره ميناء الجنوب الرئيسى الذى تقصده السفن للتزود بالمؤن قبل الولوج للجانب الشرقى من الهند وتدفع فى مقابل ذلك بعض الرسوم الجمركية[٥٨].

أما عن المراكز البرية فلعل أهمها الولايات والمدن الفارسية التى ارتبطت بالهند بطرق أو علاقات تجارية ومنها خراسان التى ارتبطت بالسند بطريق تجارى برى كما سبق أن ذكرنا، وازدهرت بها التجارات الهندية خاصة المتعلقة بالجمال الهندية ذات السنامين[٥٩]، وترجع أهميتها كما وصفها لومبار[٦٠] لأنها تقع عند مفترق الطرق التى تتفرع عندها الطرق التجارية الكبرى المؤدية من بغداد إلى الهند. وتعد مدينة بلخ[٦١] أهم المدن الخراسانية التى ارتبطت بعلاقات تجارية مع السند[٦٢]. وكذلك مدينة سمرقند[٦٣] التى انتعشت بها أيضاً تجارة الجمال السندية ذات السنامين[٦٤].

وهناك أيضاً مدن السند التجارية مثل المنصورة التى تميزت بكثرة أسواقها وازدهار التجارة فيها[٦٥]. وكذلك مولتان التى اعتبرت أهم مراكز التجارة الداخلية

فى السند نظراً لكونها محط رحال الحجاج الهنود الذين يحجون لمعبدها المقدس، مما أتاح ازدهار التجارة الداخلية فيها ورخص أسعارها وازدهارها الاقتصادى(٦٦).

تلك إذن نظرة سريعة على أبرز المراكز التجارية التى انتشرت على جانبى الطرق التى ربطت بين الدولة العباسية والهند، وبوجه عام كان نمط الحياة فى تلك المراكز تقليدى، فغالبية السكان من التجار الذين قصدوها من أصقاع شتى، وكانت تجرى بتلك الموانىء أعمال الشحن والتفريغ، وكذلك الإمدادات الغذائية التى تعين على استكمال الرحلات التجارية. كما كانت تؤدى بعض الرسوم مقابل الرسو فى بعض المراكز البحرية، وكانت تلك الرسوم تختلف باختلاف حجم السفن، فالسفن الصينية الضخمة كانت تؤدى ألف درهم، أما السفن الأقل حجماً فكانت تؤدى رسوماً أقل تتراوح بين ١٠ إلى ٢٠ ديناراً. وكذلك كانت هناك بعض الرسوم الجمركية ،وحيث توجد الرسوم الجمركية توجد محاولات التهريب، لذلك كانت هناك بعض الفرق المسلحة فى بعض المدن مثل كولم ملى لمنع المتسللين(٦٧). كما نلاحظ أن المراكز التجارية البرية قليلة مقارنة بالمراكز البحرية وهذا أمر طبيعى نظراً لأن الطرق البرية المرتبطة بالهند كان معظمها يخترق التخوم الشمالية والشمالية الغربية وهى مناطق تميزت بالبيئة الصحراوية أو التضاريس الجبلية المعقدة، والتى حدت من وجود العديد من المراكز على جانبى هذه الطرق.

ومن خلال دائرة العلاقات التجارية بين الطرفين، كان هناك العديد من الوسطاء التجاريين الذين أنيط بهم تفعيل هذا النشاط، ولم يكن النقل التجارى حكراً على فئة بعينها، ففى عالم تجارى مفتوح واسع الأرجاء، كان من الطبيعى أن يفرخ داخله شبكة واسعة من المصالح الفعالة. لذلك لم يكن الوسيط التجارى هنا واحداً، بل كان المجال مفتوحاً لظهور العديد من الوسطاء. وقد تمايزت هوية هؤلاء الوسطاء لتشمل العرب والهنود، وعناصر خارجية أخرى مثل الفرس والصينيين واليهود. وهذا التنوع فى ماهية هؤلاء الوسطاء يوضح مدى التنوع فى حجم وطبيعة النشاط التجارى المتبادل بين الدولة العباسية والهند. كما يؤكد على وجود مبدأ الحرية

التجارية، وكذلك تراكم الأرباح التى جنوها أضعافاً مضاعفة، والتى فتحت شهية المؤسسات التجارية وأسالت لعابها، فلم تقاوم إغراء تلك الأرباح رغم ما يعتورها من مخاطر.

ولنبدأ بالتجار الهنود باعتبارهم طرفاً أساسياً فى هذه المعادلة التجارية؛ ونلاحظ فى هذا الصدد أن بعض المؤرخين المحدثين يقللون من الدور الهندى فى هذا المجال، فقد رأى الفنستون Elphinstone[٦٨] أن الهنود لم يغامروا بركوب البحار واكتفوا بركوب القوارب فى نهرى السند والجانج بمحاذاة السواحل. وعلل فريمان Freeman[٦٩] عدم اتجار الهنود بصورة مباشرة مع الدول التى تقع إلى الغرب منهم، رغم تجولهم فى بحر الصين إلى فعل الرياح الموسمية، لأنها تكون متقلبة وموعد بدئها غير منتظم، ثم أن شهور المطر عاصفة هوجاء والسفر خلالها خطير، ومن الممكن أن يطول الأمر بهذه الحالة. ومن شأن تلك العوارض أن تؤخر عودة السفن، كما أن الطقس الهادئ الخالى من حركة الرياح وهو الطقس الذى يأتى فى أعقاب الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية قد يعوقها.

ويسوق باحث آخر[٧٠] تعليلات أخرى لضآلة مساهمة الهنود فى هذا المجال، منها سيادة العرب الملاحية على المحيط الهندى، ومواكبة ذلك لانتشار الإسلام على سواحل وجزر هذا المحيط. ووجود الجاليات الإسلامية التجارية فى المنطقة، مما جعل الهنود ينسحبون تاركين المجال للعرب. ويضيف لذلك أن ثراء الهند وغناها بالموارد الطبيعية، جعلا الهنود عازفين عن المخاطرة بركوب المحيط تجاه البلاد الأقل ثراء وتنوعاً منهم. ويضاف لذلك التعارض العقائدى بين طرائق سبل العيش والديانات السائدة فى الهند؛ فالبراهمة كانوا ينظرون للعالم المادى نظرة تشاؤمية تنطوى على شىء من الازدراء، ولم يكونوا يطمعون فى مال أو جاه. كما تنادى البوذية بأن الإنسان لكى يتخلص من الغم والحزن، يجب أن يقطع كل صلة تربطه بالحياة المادية. باختصار شجعت العقائد الهندية السائدة على الزهد وعدم التكالب على الحياة المادية. لكن هناك من الباحثين الهنود من يرفض تلك الرؤية، إذ يرى الندوى[٧١] أن الهنود كان لهم إسهام كبير فى العلاقات التجارية مع الدولة العباسية

مستشهداً ببعض النصوص التى تؤكد وجود الهنود فى الموانئ العباسية، وعلى متن الرحلات التجارية التى ربطت الدولة العباسية والهند.

وينبغى علينا أن نفرق هنا بين الدور الهندى فى المعادلة التجارية على النطاق الفردى، أو على النطاق الجماعى فى صورة أساطيل تجارية. فنحن مع الرأى القائل أن الهنود مارسوا دوراً لا باس به فى عمليات التبادل التجارى بدليل ما ورد بشأنهم فى مؤلفات الرحالة المسلمين؛ ولكنه كان دوراً محدوداً اتكأ على الأساطيل التجارية الأخرى، خاصة فى نطاق الساحل الجنوبى الغربى للهند. ويرجع ذلك لطبيعة الساحل الهندى نفسه، والذى عانى من ندرة الموانئ الطبيعية وانتشار الحواجز الجبلية على السواحل الغربية، وقلة الغور فى المياه الساحلية، وصعوبة المراس بسبب الأمواج الهائجة[٧٢].

وأدى ذلك بجانب تأثير الرياح الموسمية[٧٣] إلى عدم اتجاه سكان الساحل الجنوبى الغربى للهند (مليبار) لإنشاء أساطيل تجارية يساهمون بها فى عمليات التجارة. لكن الوضع اختلف قليلاً على الساحل الشمالى الغربى للهند، فقد أدى امتداد فترة الإبحار، ووجود بعض الموانئ والخلجان فى شبه جزيرة كاثيوار إلى انتعاش النشاط التجارى، ونمو بعض الأساطيل التجارية هناك مثل أسطول كجرات[٧٤].

أما عن الدور العربى فى هذا المجال فيبدو فعالاً، باعتبار أن العرب أحد أهم طرفى المعادلة التجارية، وللصلات التجارية التاريخية لهم مع الهند. ولا شك أن اندفاع التجار العرب نحو الهند كان يحمل دلالات بعيدة، نجدها فى وصف بعض المصادر[٧٥] للهند بقولها " بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عطر ". تلك إذن كانت صورة الهند فى مخيلة العرب، ووراء تلك الصورة تدافع العرب لينهلون من تلك الثروات.

وتتناقل المصادر الإسلامية أخبار رحلات التجار العرب للمناطق الهندية رأساً أو الوقوف بالهند واستكمال الرحلة نحو الصين. ولعل من أشهرها السفن التى

أرسلها حاكم سيلان للحجاج بن يوسف خلال العصر الأموى. حيث تذكر المصادر أن بعض التجار المسلمين كانوا يعيشون فى جزيرة الياقوت، وبعد وفاتهم قررت بناتهم العودة لأوطانهن مرة أخرى، فلجأن لحاكم الجزيرة الذى قام بإرسالهن فى عدة سفن إلى البصرة، وأثناء رحلة العودة تعرضت لهن بعض سفن القراصنة الهنود وقاموا بأسرهن(٧٦).

وتفصح تلك الحادثة عن العديد من الدلائل عن الوجود العربى على السواحل الهندية، كما تظهر محاولة حاكم سيلان وسلوكه الودى تجاه الحجاج طبيعية فى ضوء العلاقات التجارية لبلاده مع العراق، حيث كان الحجاج يحكم البصرة، تلك المنطقة التى كانت ترسو منها السفن القادمة من سيلان والبحار الشرقية وتبحر منها أيضاً.

وخلال العصر العباسى تعاظم نشاط التجار العرب، خاصة مع التطور الكبير الذى لحق ببنية الدولة العباسية من حيث الرفاهية الاقتصادية أو من حيث القوة العسكرية. وتبدو ضخامة التبادل السلعى الذى اضطلع به هؤلاء فيما ورد من نصوص تشير لما حدث لبعض السفن التى تحمل المتاجر العربية، سواء من حيث غرقها أو استيلاء القراصنة عليها، ومنها ما ذكره الذهبى(٧٧) من غرق بعض البضائع لتاجر عربى فى رحلة واحدة قدرت بحوالى ثلاثين ألف دينار. أو ما ذكرته بشأن الأرباح الكبيرة التى جنيها هؤلاء التجار من تجارتهم مع الهند(٧٨).

ونلاحظ أن هناك ثمة علاقة شديدة الخصوصية ربطت بين التجار العرب والحكام الهنود، وظهر ذلك فى الوضع الخاص الذى تمتع به هؤلاء فى الموانئ والمدن الهندية. ولا شك أن تلك الامتيازات التى أسبغت عليهم لم يثوبوا بها من فراغ، بل هى محصلة جهود محمودة من السلطة العباسية، بجانب الدور الذى لعبوه لتفعيل النشاط التجارى، وما أدوه من مكوس أتخمت الخزائن الهندية.

ولم يكتف العرب بتجارة المرور فقط، بل جنحوا للاستقرار فى بعض المراكز التجارية الهندية مثل صيمور، التى صور المسعودى الزخم العربى بها، وما ضمته

من عناصر عربية شتى لعبت دور الوسيط بين دواخل الهند والقوافل التجارية السائحة فى المنطقة(٧٩). كما لعب عرب السند دوراً مماثلاً، ومثلت مدينتى مولتان وديبل أبرز ملامح هذا الدور، فالأولى بما لها من خصوصية دينية لدى الهنود، كانت قبلة لحجاجهم الذين يمموا شطرها محملين بالقرابين ليقدموها على أعتاب معبدها الكبير، بجانب ما حملوه من تجارات ليبيعوها للتجار العرب من أجل توفير نفقات تلك الرحلة. وكان المسلمون ينالون حظاً وفيراً من تلك القرابين مقابل سماحهم بتلك الطقوس الوثنية. بجانب التبادل التجارى الذى تنتهى محصلته رأساً إلى ميناء ديبل التى عدت أهم المراكز التجارية فى السند.

أما عن الدور الفارسى فى تلك المعادلة التجارية، فكما ذكرنا آنفاً كان الفرس يضطلعون بدور كبير فى المحيط الهندى، وسيطروا على تجارة الحرير فى تلك المنطقة. وظل هؤلاء يسيطرون على التجارات الهندية حتى نهاية القرن الأول الهجرى/ السابع الميلادى. وقد كان الفرس هم الموردين الرئيسيين للبضائع العربية للصين والهند، حتى أن البضائع العربية التى كانت تصل لتلك المناطق حملت الأسماء الفارسية، وإلى الفرس يرجع الاسم الصينى الذى أطلق على العرب (Ta Che)(٨٠) والذى جاء من الاسم الفارسى تازى Tazi، الذى اشتق من كلمة طىء(٨١). ورغم انخفاض أهمية التجار الفرس نسبياً مع ظهور الدولة الإسلامية وتنامى الدور العربى فى هذا المجال، إلا أن السفن الفارسية ظلت تقوم بدور فاعل فى حركة النقل التجارى؛ وخلال العصر العباسى عاود الفرس ظهورهم القوى على الساحة.

وكان السيرافيون هم العنصر الفارسى الأشهر فى هذا المجال، حيث بزوا نظرائهم واشتهروا كوسيط رئيسى بين الدولة العباسية والصين والهند؛ ولعل مرجع ذلك هو الدور الذى اضطلعت به سيراف كميناء هام وملتقى للقوافل التجارية البحرية. ولعل فى أنموذجى سليمان التاجر وأبو زيد السيرافى خير دليل على ما تمتع به هؤلاء من خبرات ومعلوماتية فى المجالين البحرى والتجارى. وتمتلئ صفحات الرحالة والجغرافيين المسلمين بأخبار هؤلاء التجار الفرس، خاصة

السيرافيين الذين تغلغلوا فى موانئ الهند مثل تانه وصيمور، وعملوا فى نقل البضائع بين الجانبين. ويبدو أن تمركزهم الأكبر كان فى صيمور، ويظهر ذلك فيما ذكره بزرك[٨٢] عن وجود خط ملاحى مباشر من صيمور إلى سيراف، واختيار قاضى سيرافى للمسلمين هناك.

ويعطينا الأصطخرى[٨٣] بعض التفاصيل عن مغامرات بعض تجار سيراف وما حققوه من أرباح طائلة من جراء دورهم التجارى. كما تحدث ابن حوقل[٨٤] عن لقائه مع أحد كبار تجارهم. ووصف المسعودى[٨٥] رحلاته مع هؤلاء التجار، وأشاد بمهارتهم وذكر بعض أسمائهم، وأشار لوجودهم فى صيمور. وتظهر مدى الأهمية لهذا العنصر فى معادلة الوساطة التجارية فيما ذكره بزرك[٨٦] عن محمد بن بادشاه السيرافى، أشهر مالكى السفن فى المحيط الهندى، من أن ملك الهند " أمر أن ترسم له صورة لأنه كان أكبر أهل صنعته ".

لكن ذلك الدور التجارى للسيرافيين لم يكن يعنى أنهم كانوا العنصر الفارسى الوحيد فى هذا المجال، بل وجدت عناصر فارسية أخرى مثل الخراسانيين الذين لعبوا دوراً هاماً فى الوساطة التجارية بين الهند والأقاليم الفارسية فى الدولة العباسية فكما ذكرن سابقاً ارتبطت خراسان بطريق تجارى مباشر بالسند، كما ازدهرت التجارة ما بين السند وخراسان، لذلك كان من الطبيعى أن يتواجد التجار الخراسانيون فى مدن الهند المختلفة ليقوموا بدورهم فى الوساطة التجارية[٨٧]. كذلك كان للمكرانيين دوراً فى هذه الوساطة[٨٨]، وذلك بحكم التجاور المباشر مع السند من ناحية الشمال الغربى لها، ووجود طريق برى وبحرى يربط بينهما.

أما عن الدور الصينى فى هذا المجال فيدور حوله بعض الجدل، فرغم أن وجود التجار الصينيين فى فعاليات التبادل التجارى أمراً واقعاً، يؤكد ذلك ما ذكره السيرافى[٨٩] عن نقودهم التى تركوها فى ميناء سيراف، والتى تميزت عن النقود الإسلامية بنقوشها المميزة. وكذلك أخبار السفن الصينية التى ارتادت السواحل العربية منذ أمد بعيد. ويروى الدينورى[٩٠] أن المسلمين حين فتحوا العراق وجدوا

فى ميناء الأبلة بعض السفن الصينية . كما تحدث سليمان[٩١] عن السفن الصينية ومدى ضخامتها وما تحمله من تجارات هائلة تدفع لقائها مكوساً كبيرة مقارنة بالسفن الأخرى . وكذلك أشار المسعودى[٩٢] للسفن الصينية وترددها على الموانئ الإسلامية .

ورغم ذلك يرى بعض الباحثين[٩٣] أن الوجود الصينى كان ضعيفاً بسبب التنافس التجارى بين العناصر الأخرى كالعرب والفرس وغيرهم ، وأنهم اكتفوا بدور الوسيط التجارى فى موانيهم ، ويدللون على ذلك بالتسهيلات التجارية الكبيرة التى قدمها الصينيون للتجار المسلمين للقيام بهذا الدور . كما رأى البعض الآخر[٩٤] أن تعبير " السفن الصينية " الذى ورد فى المصادر يعنى السفن المتجهة صوب الصين بمعنى أن أصحابها لم يكونوا صينيين ، بل كانوا من العرب والفرس . وبرروا ذلك بأن سفن الصين كانت تقف عند سيلان لعجزها عن تدبير رؤوس الأموال اللازمة لإعداد أمثال تلك الرحلات التجارية الهائلة . وهناك على الجانب الآخر من يرفض ذلك ويرى أنها سفناً صينية اسماً وواقعاً[٩٥] . ورغم ذلك يبدو أن الرأى الأول هو الأقرب للصواب ، بمعنى أن تلك السفن حازت على لقبها من الرحلة التى كانت تقوم بها ، ويبدو ذلك فيما ذكره بزرك[٩٦] فى حديثه عن أحد البحارة بقوله : " عمل فى مركب يتجه للهند ثم تحول لمركب صينى " .

أما عن الوسطاء اليهود فمن المعلوم لنا أنهم استقروا فى المنطقة منذ أزمان بعيدة[٩٧] ، بجانب من تردد عليها منهم من جهات شتى . ولعل أشهرهم اليهود الراذانية أو الرهدانية ، الذين ورد ذكرهم عند كل من ابن خرداذبه وابن الفقيه[٩٨] . وقد مثل هؤلاء نموذجاً بالغ الثراء لما يجب أن يكون عليه التاجر العالمى ؛ إذ انهم تخطوا الحواجز اللغوية والأطر المكانية ليربطوا بين طرفى العالم القديم ، الشرق الأقصى وجنوب غرب أوربا ، بمركز العالم الإسلامى فى العراق ، وهوامشه فى فارس والهند والمغرب .

وقد أثار أصل هؤلاء اليهود جدلاً واسعاً بين الباحثين ، وكذلك الدلالة اللفظية واللغوية لكلمة راذانية أو رهدانية . فيرى سيمونسن Simonsen[٩٩] أنهم خلفاء

التجار الذين أبحروا للشرق فى الأزمنة القديمة من نهر الرون Rhone، وأصبحوا يسمون Nautae Rhodanici بمعنى البحارة الرونيين، ومنها اشتقت كلمة راذانية أو رهدانية. وعلى هذا الدرب يسير لومبار[١٠٠]، فيرى أن الكلمة مشتقة من نهر الرون لأنهم كانوا يقيمون حول ضفاف هذا النهر. ورأى البعض[١٠١] أنهم ينتمون تحديداً لإقليم بروفانس بفرنسا.

وعلى الجانب الآخر هناك من يرى أنهم ذوى أصل فارسى، وتحديداً من مدينة الرى التى كانت من كبرى المراكز التجارية اعتماداً على نص ابن الفقيه الذى ذكرهم فى حديثه عن مدينة الرى، على الرغم من أنه لم ينسبهم لها صراحة[١٠٢]. أما هايد[١٠٣] فيفصل بين الدلالة اللفظية للقبهم وبين أصولهم؛ فيرى أن تلك الكلمة مشتقة من الكلمة الفارسية راهدان[١٠٤]، وإن كان يرجح أصلهم الغربى على اعتبار أن ابن خرداذبه بدأ رحلتهم من أوربا وانتهى بها. ويرى رابينوفيتش Rabinowitz[١٠٥] أنهم يمثلون اتحاد للتجار من أصول منوعة، وأن ذلك يعطينا المفتاح لتعدد لغاتهم وتشعب طرقهم، وان كان يفضل أيضاً الاشتقاق الفارسى للقبهم.

وقد أدلى كلود كاهن Claud Cahen[١٠٦] بدلوه فى هذا الصدد، حيث جمع بين الرأيين، فلم يعارض الاتجاه الذى يرجح أصولهم الغربية نظراً لقلة الشواهد التى تظهر نشاط اليهود فى الشرق؛ ولكنه يميل إلى الاشتقاق الفارسى للقبهم، وبشأن جوهر نص ابن خرداذبه، نجده يشكك فى بعض تفاصيل الطريق الذى وصفه الأخير[١٠٧]. ثم أنهى دراسته لتلك الإشكالية بتحديد خمسة محاور أساسية تتعلق بهؤلاء التجار وهى:

١ـ طبيعة هؤلاء التجار، وهل كانوا كيانًا واحدًا أم مجموعات متعددة طبقاً لتعدد لغاتهم وتنوع طرقهم؟

٢ ـ وصف ابن خرداذبه الطرق بكونها للتجار اليهود، بمعنى أنه لم يكن يسلكها غيرهم.

٣ ـ اسم الراذانية لم يذكر فى أى مصدر آخر.

٤ ـ نقص الشواهد فى المصادر الغربية اليهودية وغير اليهودية.

٥ ـ نقص المادة التاريخية فى أوربا، والمتعلقة بالشرق الأقصى حيث يعيش هؤلاء التجار[١٠٨].

ومن الواضح هنا أن كاهن قد تجاهل نص ابن الفقيه دون تعليل واضح كما أنه لم ينته لرأى قاطع لتلك الإشكالية، واكتفى بتأطير أبرز عناصرها فى المحاور السابقة. وقد سلك كمتوفيتش Kmietowicz[١٠٩] اتجاهاً لغوياً جديداً فى تفسير مصطلح الراذانية أو الرهدانية، فرأى أنه مشتق من المصطلح اللاتينى Veredarii بمعنى الرسل، ورأى أن هؤلاء التجار كانوا يعملون أحياناً كرسل دبلوماسيين، ويعطى مثالاً لذلك باليهودى ايزاك Isaac الذى عاش فى عهد هارون الرشيد؛ وأن مصطلح Veredarius بمعنى رسول جاء من Raeda وهى العربة ذات الأربع عجلات التى استخدمت فى غالة لخدمة البريد الإمبراطورى، وكلمة Veredus بمعنى حصان البريد. وعلى ذلك تطور المصطلح كالتالى : -Redhani (ya) Veredarii. Redarii -

وفى هذا الاتجاه رأى جاكوبى Jacobi[١١٠] أن المصطلح هنا بمعنى جواسيس يعملون فى خدمة العباسيين؛ على أساس أن ابن خرداذبه نفسه كان معروفاً كصاحب للبريد والأخبار. وهناك اتجاه جديد يتزعمه موشى جيل Moshe Gil[١١١]، ويرى أن هؤلاء التجار ليسوا اتحاداً ولا تنظيمًا ولا فئة، والشىء الوحيد المشترك بينهم هو بلدهم الأصلى، وهى بلدة راذان العراقية التى تجمع بها اليهود[١١٢]، وأن راذان وراهدان هما تهجى مختلف لاسم جغرافى واحد هو راذان؛ ويدعم رأيه ببعض الأدلة اللغوية من اللغات السريانية والآرامية واليونانية. لكن ميكيل[١١٣] تحفظ على ذلك باعتبار أن هذا كلام قاطع وأن ابن خرداذبه لم يشر لذلك.

وهكذا فإن المحصلة العامة لهذا الجدل بين الباحثين حول تلك الإشكالية، هو الاختلاف حول أصولهم، هل هى شرقية أم غربية؛ وأحدث الآراء التى لدينا

ترجح الأصل الشرقى لهم . ولعل ما أوقعنا فى تلك الحيرة هو أن ابن الفقيه وابن خرداذبه لم يحددا موطن هؤلاء ، فرغم أن الأول ذكرهم حين تحدث عن الرى ، لكنه لم ينسبهم لها صراحة . وإن كان يبدأ حديثه بقوله " ورد بالتوراة أن الرى باب من أبواب الأرض ومتجر الخلق "[114] . فهل لتلك العبارة مغزى لديه؟ . أما الثانى فلم يشر إلى أنهم يتمون لراذان عند حديثة عن تلك البلدة تحديداً[115] . وكذلك فعلت المصادر الجغرافية التى تناولتها ، والتى اعتادت الإشارة لأشهر ما يرتبط بالمناطق من أعلام ورموز ؛ كما أنها لم تشر لوجود ظاهر لليهود فى تلك المنطقة . وعلى ذلك يبقى باب الجدل مفتوحاً لحين ظهور وثائق جديدة حول هوية هؤلاء التجار ، خاصة أن اليهود تحديداً لا يرتبطون بوطن قومى فى الغالب ، بل هم يرحلون حيث توجد مصادر الأموال . وبجانب هؤلاء كان هناك يهود أخر مارسوا العمل التجارى فى المنطقة ولكن بصورة فردّية[116] ، لذا لم يكتسبوا شهرة الراذانية .

وقبل أن ننهى هذا الطرح ينبغى أن نشير لتلك الإشكالية الخاصة بالتجار الروس ، والتى سببها نص غامض لابن خرداذبه ارتبط بالنص السابق للراذانيه . فبعد حديثه عن الطريق البحرى الذى سلكه التجار الراذانية ، نراه يقحم فجأة نصاً خاصًا بالتجار الروس ، ثم يتبعه بنص غامض عن طريق برى لبعض التجار يتجه أيضاً إلى الهند " فأما مسلكهم فى البر ... "[117] ، دون أن يحدد أيهما يقصد ، الراذانية أم الروس . وأدى ذلك لإحداث نوع من الخلط لدى بعض المؤرخين المحدثين ، فقد أعتبر البعض الروس ، استناداً إلى هذا النص ، أحد الوسطاء التجاريين المرتبطين بالهند[118] . لكن البعض الآخر[119] رأى أن هذا النص استكمالاً لنص التجار الراذانية ، وأن الجزء الخاص بالروس ربما وضع خطأ من قبل الناسخين ، وعلى ذلك فلا يوجد ارتباط مباشر بين الروس والهند ، والرأى الأخير هو الأقرب للصواب على اعتبار أنه لم يثبت وجود صلات مباشرة بين الروس والهند[120] ، كما أن هذا الطريق البرى يتشابه تقريباً مع طريق الراذانية البحرى من حيث نقطة الانطلاق (الأندلس أو بلاد الفرنجة) ، ومراكز المرور (شمال أفريقيا

والبحر الأحمر أو الشام الولايات الفارسية)، ومحطات الوصول (الهند والصين). وعلى هذا فإن الغالب أن الروس لم يلعبوا دوراً واضحاً كوسيط تجارى بين الدولة العباسية والهند.

وخلاصة القول، أن تيار التجار لم ينقطع عن المجرى التجارى المتدفق بين الهند والدولة العباسية، ورغم أنه كان محفوفاً بالمخاطر، فإنه لم يحل دون تدفقهم. ونمت فى تلك البيئة علاقات حذرة بين التجار وصفحات مياه المحيط الهندى التى ابتلعت فى السابق سفنهم، وحوت رفات رفاق لهم سقطوا ضحايا طموحهم.

أما عن التبادل السلعى بين الجانبين، فيبدو جلياً أن الميزان التجارى كان يميل ناحية الهند من حيث الكم والكيف، نظراً لوفرة وتنوع منتجاتها مقارنة بالدولة العباسية، التى كانت تستورد العديد من المنتجات الهندية: التوابل والأخشاب والعقاقير وغيرها من السلع[١٢١]. وقد تعددت المنتجات الهندية التى كان يجرى استيرادها من الهند خاصة منتجات التوابل مثل الكافور والفلفل والزنجبيل والقرنفل والقسط والعنبر[١٢٢].

هذا بجانب ما كان يجلب منها أيضاً من المسك الدارينى Musk Darini[١٢٣] وكذلك العود المندلى الذى كان شائع الاستهلاك فى الدولة العباسية، ويوقفنا القلقشندى على سبب ذلك، عندما يذكر أن الحسين بن برمك أحضر بعضاً منه عند عودته من الهند، وعرضه على أبى جعفر المنصور، الذى استحسنه وأمر بإحضار الكثير منه، مما أدى لانتعاش تجارته[١٢٤]. ويضاف إليه العود الهندى الذى كان يجلب من شرق الهند[١٢٥]، وسبق أن رأينا كيف أهداه ملوك البالاس للخلفاء العباسيين وكبار رجال حاشيتهم، وكيف أرسل المتوكل إحدى سفاراته لجلب المزيد منه.

وتأتى الأخشاب فى المرتبة الثانية فى قائمة الواردات العباسية من الهند، ومن أهمها الساج الهندى، الذى كان يجلب من الدكن فى مملكة الراشتراكوت[١٢٦]، والذى كان ضرورياً لبناء السفن نظراً لافتقار معظم أراضى الدولة العباسية إلى

الأخشاب، وعدم ملائمة مناخها لنمو شجر الساج، ودفع ذلك التجار إلى جلب مقادير كبيرة منه. وكان هذا النوع من الأشجار يتصف بالطول والضخامة، مما أتاح لرجال البحر الحصول على ألواح جيدة منه لبناء سفنهم. كما اشتهرت بعض جزر الهند أيضاً بأنواع من شجر النارجيل الصالح لبناء السفن أيضاً، وكذلك بناء المنازل، خاصة لكبار التجار(١٢٧).

ويدخل فى قائمة الواردات أيضاً بعض الملبوسات مثل الملابس القطنية، التى أثنت المصادر(١٢٨) على دقة وحسن صنعها. وكذلك النعال الكنباتية، التى تهافت الناس للحصول عليها، وكانت تعد هدية فاخرة عند العرب(١٢٩). ويضاف لذلك السلع الكمالية كالأحجار الكريمة من الياقوت والماس(١٣٠)، وكذلك قرن الكركدن، الذى كان من السلع النادرة التى تصنع منها الحلى التى تباع بأغلى الأثمان، وكان مصدره شرق الهند(١٣١). ويضاف لذلك طيور الزينة والقردة والفيلة والعبيد و الجوارى(١٣٢).

كما كانت الهند تصدر السيوف الهندية، التى اكتسبت لدى العرب شهرة فائقة(١٣٣)، حتى أنهم ذكروها فى أشعارهم، حيث يقول أحد شعرائهم(١٣٤):

كذلك المرء ما لم يلف عدلاً   يكون علـيه منطقه وبالاً
اعـدوا آل حمير إذا دعيتم   سيوف الهند والأسل النهال

ويبدو أنه كانت هناك محاولات من جانب العباسيين لتوطين بعض الحيوانات والحاصلات الزراعية، لكنها لم تحصد سوى الفشل. إذ يذكر المسعودى أنه جرت فى العراق محاولات للحصول على نسل للطواويس الهندية، لكنها جاءت بعيدة عن الأصل كثيراً من حيث الجمال والحجم لعدم ملائمة الطقس والبيئة. كما أن الحاصلات الهندية التى جرى زرعها فى المناطق العربية كالنارنج والأترج، لم تكن بنفس الجودة، نظراً لفقدان التربة الخصبة التى كانت تنمو بها(١٣٥).

على الجانب الآخر، لم تكن قائمة الصادرات العباسية الهزيلة للهند تتوازن مع الواردات، حيث شملت القليل من السلع كاللبان والخيول من الجزيرة العربية

والنبيذ من العراق، والحرير والكتان من الشام، والزئبق والكبريت الأحمر من الأندلس، وكذلك الصوف لأن معظم أغنامهم خالية منه[١٣٦].

وهكذا من خلال استعراض تلك المنظومة وطرائقها المتعددة، يلوح لنا أنها مثلت أهم ملامح النسق العلاقى للدولة العباسية مع الهند، للارتباط القوى بين السياسة والاقتصاد فى بؤرة المنظور العباسى للشرق الأقصى. ويبرز المشهد السابق فى ذلك النسق أبجديات السياسة العباسية الاقتصادية المحايثة لسياستها العامة، من خلال دورها المباشر أو المرافق للسياسات الشعبية الفردية، النازعة لتحقيق الربح وتراكم المصالح التجارية.

* * *

أما عن العلاقات الاجتماعية بين الدولة العباسية والهند، فإنها تعد إحدى الدوائر الحيوية فى النسق العام للعلاقات بين الجانبين، على أساس أن بنية التعاملية الاجتماعية على الصعيد الجزئى هى نتاج للتراكمات السياسية والاقتصادية والثقافية، ورد فعلها الصامت الناطق. ولذلك فإن التعرض لتلك العلاقات يكمل لحد بعيد النسق العضوى للعلاقات العباسية الهندية. وتحوى تلك العلاقات معادلة أساسية طرفها الأول الهجرات العربية للهند من حيث مسبباتها، وما تركته من آثار على العرب أنفسهم، والبيئة الجديدة التى انتقلوا إليها. والطرف الآخر الهجرات الهندية للدولة العباسية وانعكاساتها على الطرفين.

وقد أثمر الانسياح العربى فى أرجاء شبه القارة عن تبلور بعض المراكز الرئيسية التى حوت تجمعات كبرى للعرب هناك، ويمكننا تحديد أربع مراكز كبرى فى هذا الصدد وهى: ساحل مليبار[١٣٧]، ساحل كجرات، جزيرة سيلان، السند. ولاشك أن الهجرات العربية للهند وإفرازاتها الديمغرافية ارتبطت بالعديد من الجوانب السياسية والأيديولوجية والاقتصادية، التى تنوعت وفقاً لطبيعة كل مركز من هذه المراكز.

ويرجع ارتباط العرب بساحل مليبار كمعبر تجارى إلى فترات مبكرة استمرت خلال العصر العباسى، أما ارتباطهم به كموطن جديد استقروا فيه، فلدينا إشارة من مصدر متأخر من القرن العاشر الهجرى(١٣٨) تشير لهجرات عربية لمليبار خلال العصر العباسى، وتحديداً خلال القرن الثالث الهجرى، وترتبط تلك الهجرات برحلة أحد حكام مليبار ويدعى شكروتى فرماض إلى شبه الجزيرة العربية ثم عودته لبلاده مصطحباً بعض العرب الذين استقروا فى مليبار.

وقد أثارت تلك الرواية العديد من الآراء حول مدى صحتها وانتسابها للعصر العباسى، خاصة أن هناك بعض المصادر الأخرى(١٣٩) التى أرجعت تلك الأحداث للعصر النبوى. حيث أيد بعض المؤرخين المحدثين(١٤٠) صحة نسب هذه الرواية للعصر العباسى، بينما رأى آخر(١٤١) عودتها للعصر النبوى استناداً إلى كشف نقش يتعلق بتلك الأحداث وينسبها للعصر النبوى. وعلى الجانب الآخر رفض البعض(١٤٢) الرواية جملة وتفصيلاً لغلبة الطابع الأسطورى على أحداثها، ورجحوا أن الغرض منها هو إظهار دخول الإسلام إلى مليبار فى فترات مبكرة.

وبوجه عام وبرغم الاختلاف حول صحة هذه الرواية ومدى انتسابها للعصر العباسى أو عصور مبكرة، فإن ذلك يدعم الواقع التاريخى للتواجد العربى فى ساحل مليبار خلال العصر العباسى، ذلك التواجد الذى نلمسه فى ميات كنو Mayyat Kannu، وهى مقابر منطقة كولم، حيث عثر على العديد من المقابر القديمة التى يوجد عليها بعض النقوش، وقد كتب على شاهد أحدها " على بن عضرمن - غادر هذه الدنيا للأبد فى سنة ١٦٦هـ "(١٤٣).

أما بالنسبة لساحل كجرات فلا يمكننا أن نغفل الوجود العربى الظاهر هناك والذى رصدناه من خلال المصادر التاريخية التى أمدتنا بأخبارهم خلال العصر العباسى، ولعل أهم المراكز التى توطن العرب والمسلمين فيها ميناء صيمور. وقد أوقفنا المسعودى(١٤٤) على جملة من أخبار تلك المنطقة، حين وصف كثرة الجاليات العربية الإسلامية هناك، وأن الأجيال الجديدة منهم حملت لقب بياسرة(١٤٥). كما

كان لتلك الجاليات قاض مسلم خاص بها، حيث بلغ من كثرتهم، والامتيازات والحظوة التى تمتعوا بها لدى حكام الراشتراكوت، أنهم لم يكونوا يقبلون أن يحكم عليهم إلا مسلم منهم، ولا يتولى حدودهم ولا يقيم عليهم شهادة إلا مسلم(١٤٦). ولاشك أن تلك الحظوة كانت ترجع للدور الاقتصادى الذى لعبوه فى حياة تلك المملكة. وبجانب ذلك استقر العرب أيضاً فى ميناء تانه، حتى أن بزرك(١٤٧) قابل هناك رجل يدعى محمد بن مسلم، أقام هناك أكثر من عشرين عاماً. وبوجه عام يمكننا أن نقرر أن استقرار العرب فى ساحل كجرات كان يرجع بالدرجة الأولى لعوامل اقتصادية. وسبق أن أشرنا للدوافع التى منحت العرب والمسلمين هذا الوضع المميز هناك، من حيث الاستقلال القضائى، والحرية الدينية. ويبدا من الواضح أن الدافع الاقتصادى كان وراء استقرار العرب هناك، خاصة مع وفرة الامتيازات التى وفرها الحكام الراشتراكوت لهم.

كما كانت جزيرة سرنديب أحد المراكز الهامة التى استقر بها العرب فى الهند. ولعل فى حادثة السفن السيلانية التى حملت بنات التجار العرب الذين استوطنوها، ما يدل على هذا التواجد. وقد رأى البعض(١٤٨) أنها أولى المناطق التى استوطنها العرب فى الهند. وربما يرجع ذلك إلى كونها محطة تجارية هامة فى طريق الرحلات التجارية المتجهة إلى الصين، مما جعل التجار خلال العصر العباسى يستقرون بها لفترات طويلة(١٤٩).

أما عن التواجد العربى فى السند خلال العصر العباسى، فيبدو من الجلى أنه ارتبط بالوجود السياسى لهم هناك، أكثر من ارتباطه بالوجود الاقتصادى، حيث كانت السند فقيرة نسبياً مقارنة ببقية أجزاء الهند. ونظراً للتفوق العددى للهنود كان على العرب الفاتحين أن يظلوا فى حالة حرب مستديمة فى البداية. وقد أملى عليهم المنطق والحذر أن يتمركزوا فى مواقع قليلة محصنة، وأن يظهروا للوجود بعض المدن الجديدة مثل المنصورة والمحفوظة والبيضاء، تلك المدن التى صارت بمثابة ثكنات عسكرية، بجانب كونها مستقر للعرب فى البيئة الهندية الجديدة، ثم سرعان ما انتشر العرب فى مدن السند المختلفة كالمولتان وديبل وغيرهما(١٥٠).

وقد انتقل العرب للسند بفرعيهم الرئيسيين، اليمنية والقيسية، فمن اليمنية كانت هناك قبائل: تغلب، كلب، مراد[١٥١]، الأزد[١٥٢]. ومن القيسية: ربيعة، قيس قريش[١٥٣]، يربوع[١٥٤]، عقيل[١٥٥]، بنو سامة[١٥٦]. وقد اتخذ هذا الانتقال صور شتى، وإن كان غالبيتهم جاء مصاحباً للحملات الإسلامية على السند، ثم استقروا بعد الفتح وبناء الأمصار الجديدة كالمنصورة والبيضاء وغيرها. ولعل فى نموذج المنذر بن الزبير، الجد الأكبر للهباريين، خير مثال على هذا النمط. إذ جاء المنذر مصاحباً لأحد الجيوش الأموية، ثم استقر بعد ذلك مع أهله فى نواحى المنصورة[١٥٧]. ويبدو أنه نال امتيازات واسعة، مكنت أحفاده من ارتقاء السلم الاجتماعى للعرب هناك، مما جعلهم ينجحون فى استقلالهم بالولاية خلال العصر العباسى.

لكن ذلك لم يكن النموذج الوحيد للاستقرار العربى فى السند، إذ كان للخلافات السياسية دورها فى هجرة بعض المعارضين إليها، مستغلين بعدها عن مركز السلطة الإسلامية، ومن هؤلاء حسان بن مجالد الذى ينتسب للخوارج الاباضية[١٥٨] الذى اتجه إلى الموصل وعقب هزيمته أمام الجيوش العباسية فر إلى السند عام ١٤٨هـ/ ٧٥١م، ولكن يبدو أنه لم يجد آذاناً صاغية لدعوته هناك فطلب من أباضية عمان الذين كانوا يترددون على السند للتجارة أن يأوى إليهم فى عمان لكنهم لم يجيبوه فعاد للموصل مرة أخرى[١٥٩].

كما كان للعوامل الاقتصادية أثرها أيضاً فى استقرار العرب فى السند، خاصة فى موانيها التجارية مثل ديبل، التى استقر بها بعض التجار العرب الذين تولوا أمر الوساطة التجارية بين التجار القادمين من السند، والآخرين المارين بسواحلها، والذين يتوقفون فى هذا الميناء[١٦٠]. كما استقروا أيضاً فى مدينة مولتان، التى نشطت بها التجارة الداخلية، خاصة فى موسم الحج الهندى إلى معبدها المقدس وتوافد الحجيج من كل فج عميق، يحملون تجاراتهم المتنوعة لتغطية نفقات حجهم[١٦١]، وكان ذلك فرصة لتنشيط الحركة التجارية، مما شجع التجار العرب على الاستقرار بها.

ويظهر تداخل العاملين السياسى والدينى فى الهجرات التى قام بها العلويون إلى السند، وكانت بدايتها عندما اتجه إليها عبد الله بن محمد النفس الزكية مع بعض من أتباعه من الشيعة الزيدية(١٦٢)، وعلى الرغم من أن عبد الله فشل فى تحقيق هدفه الأساسى من تواجده فى السند ولجأ لحاكم كشمير(١٦٣)، إلا أن الكثير من الشيعة الزيدية تسللوا لتلك المملكة والتفوا حوله(١٦٤). وبرغم النهاية الدامية التى أصابت عبد الله ورفاقه إلا أن تواجد العلويين فى السند لم ينقطع، إذ يشير المسعودى(١٦٥) لوجود عدد كبير منهم فى المنصورة حاضرة الإمارة الهبارية. وإذا كان الزيدية لم يفلحوا فى تحقيق أهدافهم السياسية، فإن أقرانهم من دعاة الشيعة الإسماعيلية قد حذوا حذوهم وولوا وجوههم شطر السند، حيث استقروا فى شمالها من أجل التمهيد لدعوتهم حتى نجحوا فى ذلك، على الصعيد السياسى بالوصول للحكم فى الإمارة السامية، وعلى الصعيد المذهبى بانتشار المذهب الشيعى هناك، وظهر ذلك فى مساجد الإمارة التى صارت تستخدم صيغة الأذان الشيعى (حى على خير العمل)، والدعاء للخليفة الفاطمى الشيعى فى خطبة الجمعة(١٦٦).

ولاشك أن الانتقال العربى قد حمل معه الرواسب القبلية القديمة، حيث حمل العرب معهم من بلادهم الأنماط والعادات التى ضربت بجذورها فى أعماقهم، لذلك كانت سرعان ما تتفجر فى موطنهم الجديد. وسبق أن رأينا تفاصيل تلك الصراعات التى نشبت بين القيسية واليمنية، ويبدو أن الأول كانوا الأكثرية فى الولاية، وكذلك الحاميات العسكرية العباسية المرابطة فيها. وكان ذلك أمر بديهى، فكما نعلم كان اليمنية من أنصار الأمويين بعكس القيسية. لذلك كان من الطبيعى أن يجعل العباسيون اعتمادهم الأكبر على القيسية، وظهر ذلك فى غلبتهم على السند. لكن ذلك لم يكن يعنى أن العباسيين مالوا للقيسية على طول الخط، بل كانت مصالحهم السياسية تأتى فى المقام الأول، خاصة وأن القيسية استغلوا كثرتهم، وجنحوا كثيراً للاستقلال بالولاية؛ لذلك كان العباسيون كثيراً ما يقومون باختيار وال يمنى فى ظل سياسة فرق تسد.

ويبدو أن غلبة القيسية على الولاية قد جعلهم يفكرون فى تطوير أطرهم الاجتماعية، وتحقيق كيانات سياسية مستقلة عن الدولة العباسية، وجعلهم ذلك

يسعون للانفراد بحكم الولاية. وتم ذلك بالفعل على يد قبيلة قريشية، وتحديداً الهباريين الذين تمكنوا من الانفراد بحكم الولاية، وتحويلها لإمارة فى منتصف القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى.

وقد شجع نجاح تلك الخطوة فرعاً آخر من فروع القيسية على أن يحذو حذوها، حيث حاول بنو سامة تكوين إمارة خاصة بهم، خاصة وأنهم كانوا أصحاب السبق فى هذا المجال منذ العصر الأموى(١٦٧). ومع التطور السياسى فى الولاية وانهيار السلطة العباسية فيها، عاود بنو سامة محاولاتهم، لكنهم فى تلك المرة استعانوا ببنى جلدتهم المقيمين بعمان، ويبدو أن تلك الكثرة مع التخوف من عواقب النزاع الداخلى، قد جعلهم ينفصلون بالشطر الشمالى من الولاية فى محاولة سلمية، وكونوا الإمارة السامية. وبذلك سيطرت القيسية بفرعيها على شئون الولاية السياسية(١٦٨).

أما عن حياتهم الاجتماعية الجديدة، فكما يبدو عاش العرب كأولجاركية حاكمة، خاصة القيسية الذين نالوا نصيب الأسد من خيرات الولاية، وعلى العكس عانت اليمنية من التحيز العباسى لغرمائهم، واعتبروا ذلك قسمة ضيزى، مما سبب تجدد الحزازات القبلية بين الجانبين، خاصة مع انحياز بعض الولاة العباسيين ضدهم وكان الولاة العباسيون يتشبهون بالخلفاء العباسيين فى أبهة الحكم واتخاذ مجالس الشعر والأدب، والإغداق على الحاشية والشعراء فى هذه المجالس(١٦٩). لكنهم مع ذلك حافظوا على الطابع العربى فى ملابسهم وأسلوب معيشتهم، أما حكام الإمارات المستقلة، فقد تشبهوا بملوك الهند سواء فى بلاطهم أو مواكبهم أو أزيائهم فقد اتخذوا الوزراء ليكملوا أبهة الملك، كما حرصوا على استخدام الفيلة العظيمة سواء فى مواكبهم أو فى حروبهم أو حتى عند ذهابهم لصلاة الجمعة، إذ يذكر المسعودى(١٧٠) أن الأمير الهبارى كان يقتنى فيلين عملاقين اكتسبا شهرة كبيرة فى أنحاء الهند كلها نظراً لضخامتهما وقوتهما، كما كان يقتنى أيضاً ثمانين فيلاً من أجل الخروج للحرب، وكان يصاحب كل فيل خمسمائة رجل. كما يذكر الاصطخرى(١٧١) أن الأمير السامى كان يذهب لصلاة الجمعة فى

المسجد الجامع ممتطياً فيله الخاص. واستكمالاً لتشبه هؤلاء بالملوك الهنود سكنوا القصور الفاخرة وارتدوا الأزياء الهندية المتميزة.

وبعكس هذا الانسلاخ من الطبقة الحاكمة، فإن العامة حافظوا على تقاليدهم فى الزى خاصة أهل العراق منهم الذين حافظوا على التقاليد السائدة هناك فى هذا الشأن[١٧٢]، كما حافظوا على العادات الإسلامية الأصيلة مثل منع الزنا وشرب الخمر، مع إقامة الحد على من يقترفهما. كما كان لايسمح للمرأة بالخروج متبرجة، أو الحديث مع الرجال علانية فى الأسواق. وبجانب ذلك كانوا يقيمون الوزن بالقسط، ولا يخسرون الميزان، ويكرمون الضيف[١٧٣]. ونلاحظ أن العرب والهنود عاشوا متجاورين بسلام فى السند، ويبدو ذلك فى الإشارات التى وردت بالمصادر الجغرافية عن تواجد العرب والهنود فى مدن ملتان والمنصورة وغيرها، وتعايشهم فى سلام دون التعرض للحرية الدينية للهنود، بل إن زى الهنود وبعض العرب كان واحداً فى بعض مدن السند[١٧٤].

صفوة القول، أن العوامل السياسية والاقتصادية والدينية تضافرت معاً لتحرك أمواج الهجرات العربية صوب الهند. وقد عاش العرب كأقليات محترمة فى مليبار، وكجرات، وسيلان. حيث حظوا بترحيب رسمى من قبل السلطات الحاكمة، وكذلك ترحيب شعبى ظهر فى الاختلاط معهم وعدم التعرض لهم أو مؤسساتهم الدينية والاجتماعية بالسوء.

ونلاحظ أن خلافاتهم لم تطف على سطح البيئة الهندية، ربما بحكم كونهم أقليات هناك، أو لغلبة المصالح الاقتصادية على الخلافات القبلية المزمنة. وعلى العكس من ذلك فإن العرب فى استقرارهم فى السند حملوا معهم مفاهيم ومثل غرسوها فى بيئتهم الجديدة، ولم تفلح تلك البيئة فى معالجة الخلافات القديمة، وعوض التقريب بين الأطراف، أدى تدخل العباسيين لتعميق الانقسامات، وتفاقم الخلافات بينهم.

* * *

على الجانب الآخر، كان هناك تواجد هندى مميز فى أنحاء الدولة العباسية. حيث استقرت فى بداية العصر العباسى بعض العناصر الهندية مثل الزط والأساورة[١٧٥] والسيابجه[١٧٦] مع أهلهم وجواميسهم الهندية فى جنوب العراق وتحديداً فى بطائح البصرة. وكانت تلك الهجرات راجعة لتأزم الظروف الاقتصادية فى بيئتهم الأم[١٧٧]. كما كان استقرارهم فى بطائح البصرة مرجعه تشابه تلك البيئة الجديدة مع بيئتهم الأم فى السند وهى بطائح نهر مهران، التى كانوا يعيشون بها على صيد الأسماك، وتربية الجاموس فى البرارى[١٧٨]. كما كان اتجاههم لتلك المنطقة تحديداً راجعاً لوجود عناصر منهم تم توطينها فى تلك المنطقة بمعرفة الدولة الأموية خلال العقد الأخير من القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى، بعد أن تم أسرهم فى المعارك التى خاضها المسلمون لفتح السند[١٧٩].

وسبق أن رأينا أن العناصر الهندية خاصة الزط، كانوا دائمى التمرد فى السند، ويبدو أنهم حملوا تلك العادات فى موطنهم الجديد خلال العصر العباسى، حيث عملوا فى قطع الطرق على التجارات القادمة من البصرة لبغداد، كما جذبوا إليهم العناصر الساخطة من الموالى والعبيد وعاشوا حياة اللصوصية[١٨٠]. وقد استغلوا الصراع بين الأمين والمأمون، وقاموا بقطع الطريق بين بغداد والبصرة وأدى ذلك بالطبع لتهديد هذا الطريق التجارى الحيوى، وجعل القوافل التجارية تتجنب المسير فيه، مما أثر على الأوضاع الاقتصادية فى العراق بوجه عام. لذلك شرع المأمون بعد أن دانت الأمور له فى تجريد الحملات عليهم بداية من عام ٢٠٥ هـ/ ٨٣٥ م لكنه لم يتمكن من القضاء على خطورتهم بسهولة[١٨١]. وتبدو الصعوبة التى واجهها المأمون فى مواجهة الزط فيما قاله نصر بن شبث أثناء خروجه على المأمون[١٨٢]:
"لم يقو على أربعمائة ضفدع تحت رجليه ـ يعنى الزط ـ فكيف يقوى على حلبة العرب"[١٨٣]. وبرغم المبالغة الواضحة فى مقولة ابن شبث، إذ كانت أعداد الزط تفوق ذلك بكثير، فإنها تنم بلا شك عن القلاقل التى سببها هؤلاء للدولة العباسية.

واستمرت خطورتهم خلال عهد المعتصم، واستطاعوا أن ينظموا صفوفهم، وتغلبوا على الجيش الذى أرسله المعتصم عام ٢١٩هـ/ ٨٣٥م، مما جعلهم يعيشون

فساداً فى البصرة . لذلك أتبعه المعتصم بجيش آخر بقيادة عجيف بن عنبسة[١٨٤]، الذى مكث فى قتالهم تسعة أشهر ، وكان القائد الجديد ذا بصيرة واعية ، فأدرك أن التغلب على الزط فى تلك البطائح لن يتم إلا بتضييق الخناق عليهم فى البيئة التى يتفوقون فى القتال بها ، لذلك قام بسد العديد من النهيرات الصغيرة التى كانوا يدخلون منها[١٨٥] . بجانب ذلك قرر أن يستعين بأفراد لهم دراية بتلك الطبيعة ، وقد وجد ضالته فى المصريين الذين جلبوا للعراق كأسرى إبان فتنة عبيد الله بن السرى التى وقعت فى مصر فى عهد المأمون[١٨٦]، وكان معظمهم من الوجه البحرى ، وأتيحت لهم تلك الفرصة ليعبروا عن ولائهم من جديد للسلطة العباسية .

ولم تكن استعانة عجيف بالمصريين نابعة من فراغ ، نظراً لكونهم من سكان الوجه البحرى فى مصر ، والذى تتشابه طبيعته مع بطائح العراق ، وبالتالى كان من السهل عليهم مواجهة الزط . وهذا ما حدث بالفعل ، إذ فاجئوا الزط بمهاجمتهم من تحت المياه ، حيث كانوا يسبحون دون أن يراهم أحد حتى قتلوا الكثير من الزط واستسلم من تبقى منهم[١٨٧] . وفى مشهد مذل دخل عجيف بغداد بأسراه فى زوارقهم على مرئى من سكان الحاضرة العباسية ، وبعد هذا الاستعراض تقرر نفيهم خارج العراق ، وتحديداً إلى عين زربى[١٨٨] وبعض الثغور[١٨٩] . ولم يكتف المعتصم بذلك بل أرسل أسطوله لمهاجمة تجمعاتهم على السواحل الهندية[١٩٠] ويبدو أنه كان يشك فى وجود دعم منهم للزط فى العراق ، وكذلك أراد القضاء على تهديدهم للقوافل التجارية البحرية التى تمر جنوب العراق حتى السواحل الفارسية ، فأراد أن يقطع دابرهم . أما عن مصير الزط الذين نفوا على عين زربى ، فقد تم أسرهم من قبل البيزنطيين فى إحدى غاراتهم ، وتم نقلهم إلى بيزنطة [١٩١] .

ولم يقتصر الدور السياسى والعسكرى للهنود على ثورة الزط فقط ، بل شاركوا فى ثورة الزنج أيضاً ، إذ يذكر الطبرى[١٩٢] أن أحد قادة الزنج كان سندياً يدعى نصر السندى ، ولاشك أن تولى أحد الهنود لقيادة جيش من جيوش الزنج يدل على فاعلية الدور الذى لعبه الهنود فى تلك الثورة . وتبدو دوافع المشاركة فى تلك الثورة

واضحة فى الانتماء للون واحد هو لون الزنوج الأسود الذى انضوى تحت لوائه عناصر الزنوج فى العراق، ومن المعروف أن بعض عناصر الهنود كالزط والسيابجه وغيرهم كانوا من ذوى البشرة السوداء. بجانب الأهداف السياسية، والظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة الأخرى التى حركت جموع الزنوج ضد السلطة العباسية.

ويرتبط بمشاركة الهنود فى ثورة الزنج أوضاعهم كعبيد فى الدولة العباسية، فمن المعروف أن الهنود قد دخلوا فى منظومة العبيد الذين توافدوا على الأراضى العباسية، سواء عن طريق السبى أو عن طريق البيع والشراء، وكان هؤلاء يستخدمون كعبيد للعمل أو جوارى للترفيه فى القصور(١٩٣). وكانت أثمان هؤلاء العبيد تتفاوت وفقاً لطبيعة الأحداث، إذ تذكر بعض المصادر(١٩٤) أن أثمان العبيد الوافدين من السند قد شهدت انخفاضاً حاداً نتيجة حادثة وقعت لأحد العبيد مع سيده العربى فقد شاهده الأخير مع زوجته فى وضع شائن فقام بجبه، وبعد حين قام العبد باصطحاب ولدى السيد إلى أعلى داره وساومه على أن يجب نفسه أو يلقى بابنيه من حالق، ورغم أن السيد استجاب له إلا أن العبد ألقى بابنيه فلقيا حتفهما، وبعد ذلك أمتنع الناس عن شراء العبيد الهنود حتى بأثمان منخفضة.

بجانب ذلك يبدو أن هؤلاء العبيد لم يكونوا على الصورة التى تخيلها العرب عن الهنود من الحكمة والعقل، ويظهر ذلك فى قول الجاحظ(١٩٥): " ومتى رأيتم من سبى الهند والسند قوماً لهم عقول وعلم وأدب وأخلاق. وقد تعلمون ما فى الهند من الحساب وعلم النجوم وأسرار الطب، والتصاوير والصناعات الكثيرة العجيبة، فكيف لم يتفق لكم مع ما كثرة ما سبيتم منهم واحد على هذه الصفة أو بعشر هذه الصفة.

وتفصح مقولة الجاحظ عن المستوى العام للعبيد الهنود فى الدولة العباسية وربما كان تعليل تلك المقولة أن أغلب هؤلاء العبيد كانوا من الزط المتمردين الذين لم يكن لهم إسهامات حضارية واضحة فى تراث بلادهم، نظراً لطبيعتهم الخاصة التى ميزتهم عن باقى العناصر الهندية الأخرى.

ومن ناحية أخرى لم تكن صورة الهنود فى الجانب العباسى قاتمة على طول الخط، فقد لعبت بعض هذه العناصر دوراً إيجابياً مميزاً فى حياة الدولة العباسية الاقتصادية، وحسبنا قول الجاحظ[١٩٦] " لا ترى بالبصرة صيرفياً إلا وصاحب كيسه سندى "، وتفصح عبارة الجاحظ عن مدى المهارة والأمانة التى تمتع بها أهل السند والتى جعلت أصحاب الأموال فى البصرة يأتمنونهم عليها. كما عمل بعض الهنود كحراس للسجون ومشرفين عليها فى البصرة[١٩٧]. بجانب ذلك عمل بعضهم فى الأسطول العباسى، بل وخرجوا فى حملات ضد القراصنة الهنود، إذ يذكر الطبرى[١٩٨] أن المهدى أرسل الأسطول العباسى عام ١٦٠هـ/ ٧٧٧م لقتال القراصنة الهنود فى المياه الهندية بعد أن هاجموا السواحل العباسية، وقد رافق هذه الحملة أربعة آلاف من الأساورة والسيابجه. ولم يشر الطبرى هنا إن كانوا من المرتزقة أم من الجنود النظاميين، ولكن بوجه عام يمكننا اعتبار ذلك صورة إيجابية للهنود فى الأراضى العباسية، كما يفصح هذا النص عن الثقة التى حازها هؤلاء حتى يسمح لهم بالقتال ضد بنى جلدتهم. ويبدو أن الاستعانة بهم لقتال القراصنة الهنود كان أمراً معتاداً فقد كانت السفن التجارية المتجهة صوب الهند والصين تستأجر بعض السيابجة لحمايتهم من هجمات القراصنة من الميد والزط[١٩٩]، على اعتبار أنهم أقدر على التصدى لبنى جلدتهم.

ولعل أشهر الأمثلة للدور السياسى الذى لعبه الهنود فى تاريخ الدولة العباسية هم البرامكة، الذين يرجح أنهم يرجعون إلى أصل هندى[٢٠٠]، وليس هنا مجالاً لاستعراض هذا الدور[٢٠١]، لكن الذى يهمنا هو ما وصلت إليه مكانتهم، برغم النهاية الأليمة التى حلت بهم. إذ تفصح تلك المكانة عن الثقة التى حازها بعض الهنود لدى السلطة العباسية. ومن مظاهر تلك الثقة أيضاً قيام هارون الرشيد بتعيين ابن شاهك السندى رئيساً للحرس وأميناً لسره[٢٠٢]، ولا بد أن الرشيد كان يوليه ثقة كبيرة حتى يوليه هذين المنصبين، وإذا كان المنصب الأول يبدو طبيعياً على افتراض أن الكثير من الهنود عملوا كحراس للسجون ومشرفين عليها، فإن المنصب الثانى يؤكد على تلك الثقة. بجانب ذلك هناك نماذج لعناصر مميزة من العلماء

والفقهاء الهنود الذين تألقوا فى جنبات الدولة العباسية خاصة فى ظل وجود البرامكة[٢٠٣].

وعلى الرغم من أن الهنود حاولوا تعلم اللغة العربية، خاصة من أراد الاشتغال بالأدب أو الفقه، إلا أنهم لم يفلحوا فى إخفاء لكنتهم الهندية، وفشلوا فى تهجى بعض الحروف مثل الحاء والسين وغيرها، وكان ذلك أمراً ملاحظاً حتى أن ابن خلكان يصفها بقوله " وهذه العجمة تغلب على أهل السند". وسنرى فى الفصل التالى نماذج من مشاهير الهنود الذين ظهرت لديهم تلك العادة.

وصفوة القول أن العناصر الهندية التى انتقلت للعيش فى كنف العباسيين، لم تكن كلها عناصر مشاغبة، بل كانت هناك نماذج طيبة أزالت قتامة الصورة التى تركتها العناصر الأولى. وبدا من الواضح أن العناصر الأولى لم تتمكن من تغيير نمط حياتها ليوائم الواقع الجديد، ربما لأن السلطة العباسية لم تحاول ذلك، لذلك ظلت طباعهم تغلب عليهم فى موطنهم الجديد.

ولذلك نجد أن الموقف الرسمى والشعبى من تلك العناصر لم يكن مشابهاً للموقف من العرب فى الهند، فالسلطة العباسية لم تستطع أن تقف ساكنة أمام عبثهم، وقابلته بالقوة العسكرية. كما أن الأهالى لم يرحبوا بهم أيضاً نظراً لاشتغالهم بقطع الطريق، وتهديد القوافل التجارية مما أضر باقتصاديات المنطقة، وبالتالى حياة الناس فى المناطق التى استوطنوها.

وبوجه عام يفصح الطرح السابق عن وجود علاقات اجتماعية متميزة بين الدولة العباسية والهند خلال فترة الدراسة، تلك العلاقات التى ضربت بجذورها إلى فترات تاريخية أقدم، ثم تواصلت خلال العصر العباسى لتكمل منظومة العلاقات الحضارية بين الطرفين.

هوامش الفصل الثالث

(١) أخبار الصين والهند، نشر جان سوفاجيه، باريس، ١٩٤٨، ص ٨ ٩.

(٢) وهي ميناء جنوب ساحل مليبار، وتعرف الآن باسم كويلون Quilonوللمزيد عنها انظر، القزويني آثار البلاد، ص ١٠٦ ١٠٧؛ أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، العدد ١٣، الكويت، ١٩٧٩، ص ٦٩.

(٣) انظر، حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢١٩.

(٤) عن العلاقات بين التجار العرب والصين انظر، السيرافي، رحلة السيرافي، بغداد، ١٩٥٦ ص ٦٦ ـ ١٠٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص ١٣٣ ـ ١٤٤؛ سيدة إسماعيل الكاشف، علاقة الصين بديار الإسلام، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، العدد١، القاهرة ١٩٧٦، ص ٢٥ - ٦١.

Lewicki, T., Les premiers commercants arabes en China , RO, (1935), pp.173 186; Schefer,Ch., Notice sur les relations des peuples musulmans avec les Chinois, depuis lextension de lIslamisme jusquà la fin du XV siècle , CLOV, (1895), pp.1 9, reprinted in Islamic Geography, vol. 126, by: Fuat Sezgen, (Frankfurt, 1993.

(٥) للمزيد عنه انظر، السيرافي، رحلة السيرافي، ص ٧٧؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ص ١٤١ ١٤٢؛

Minorsky, Hudud, p.224.

(٦) قامت تلك الثورة بسبب الأوضاع المتردية في الخلافة خلال القرن الثالث الهجري، على يد رجل يدعى علي بن محمد بن أحمد، ادعى النسب العلوي وجمع حوله العديد من العبيد الزنوج الناقمين على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية السيئة، واستمرت تلك الثورة أربعة عشر عاماً تمكن الزنوج خلالها من شن بعض الحملات على الموانئ الهامة مثل البصرة والأبلة وعبادان، مما أدى لشل الحركة الاقتصادية قبل أن يتم القضاء عليهم انظر، ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق عبد القادر محمد، حلب ١٩٩٧، ص ٢٤٥ـ٢٤٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٥٨ـ٣٦٩؛ فتحي أبو سيف، الساجيون في المشرق الإسلامي، دورهم السياسي والعسكري، مركز بحوث الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٤ـ٧.

Oseni, Z., The revolt of black slave in Iraq under the Abbasid administration in 869 883 C.B , HI, 12 (1989), pp.57 65.

(٧) المسعودى، مروج الذهب، ج١، ص ١٠٦ - ١٠٧؛ أيمن فؤاد السيد، العرب وطريق الهند حتى أواسط القرن السادس، المؤرخ المصرى، العدد الثامن، ١٩٩٢، ص ٧٠؛

Chaudhuri, K., Trade and civilization in the Indian Ocean, (London, 1985), p.51.

(٨) السيرافى، رحلة السيرافى، ص ١٢٣.

(٩) بزرك، عجائب الهند، ص ١٦٥.

(١٠) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٥٣- ١٥٥.

(١١) المسعودى، مروج الذهب، ج١، ص٢٥.

(١٢) ابن قدامة، الخراج وصنعة الكتابة، نشر دى غويه، ليدن، ١٨٨٩، ص١٣٥.

(١٣) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٥٨ ـ٣٦٩.

(١٤) أيمن فؤاد، العرب وطريق الهند، ص ٧٦؛

Hamadani , The Fatimid Abassid conflict , p. 189.

(15) Lewis, B., The Fatimid and rout to India , RFSE, 11(1949 50), pp.53 54.

(١٦) مروج الذهب، ج٢، ص ٢٢.

(١٧) عجائب الهند، ص ١٧٢ ـ ١٧٤.

(١٨) العبر، ج٢، ص ٣١٢.

(١٩) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ٣٠؛ المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ١٢.

(٢٠) بزرك بن شهريار، عجائب الهند، ص ١٧٢ ـ ١٧٤.

(٢١) تقع هذه الجزيرة فى بحر فارس، وتبعد عن مدينة هرموز مسافة سبع فراسخ انظر، ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٦٣.

(٢٢) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص ٧.

(٢٣) وهو إعصار فوق البحر ينشأ عن تفاعل ريحين متضادتين تدوران حول نطاق جوى منخفض الضغط، منخفض الحرارة، ويتكاثف بخار الماء فى هذا النطاق فيبدو فى صورة عمود يصل بين البحر والسحاب، وقد ينقطع العمود فى موضع وسط بين السحاب وسطح البحر بسبب جفاف الماء فى ذلك الموقع، بالنسبة لرطوبة المواضع القريبة منه. والنافورات ظواهر خطيرة، تتميز باضطراب عنيف جداً لكتل الهواء فى نطاق لا يزيد قطره عن مائة وخمسين إلى مائتى وخمسين متراً على الأقصى، متخذاً الشكل الحلزونى انظر، حسين فوزى، حديث السندباد القديم، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٨٣ ـ ٨٥.

(٢٤) أخبار الصين والهند، ص ٦ ٧.

(٢٥) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٦١.

(٢٦) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٦١.

(٢٧) أحسن التقاسيم، ص ١٢.

والنفط كان معروفاً لدى العرب، وهو مركب خاص لإحراق سفن العدو، ويجهز من قطران وكبريت ومواد أخرى شديدة الالتهاب، ولا تنطفىء هذه النار بملامسة الماء، ويطلق النفط من آلة من النحاس أو الحديد تعرف بالنفاطة انظر، أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار، ص ١١٤ ـ ١١٥.

(٢٨) الحضارة الإسلامية، ج٢، ص ٣٧٠.
(٢٩) محمود إسماعيل، سوسيولوجيا، ج١، ص ٧٩.
(٣٠) التاريخ الاقتصادى، ص ١٢٧.
(31) Maqbul, A., Commercial relation of India with the Arab world , IC, 38 (1964), pp.146.
(٣٢) تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ٢٣٨.
(٣٣) فتوح البلدان، ص ٤٣٩.
(٣٤) انظر الفصل الأول.
(٣٥) الأصطخرى، المسالك والممالك، ص ٣٠؛ المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ١٢.
(٣٦) انظر، سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص ١٢؛ المسعودى، مروج الذهب، ج١ ص ١٧٠.
(٣٧) بزرك، عجائب الهند، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.
(٣٨) التبصر بالتجارة، القاهرة، ١٩٣٥، ص ٤.
(٣٩) سليمان التاجر، المصدر السابق، ص٦.
(٤٠) انظر، المقدسى، البدء والتاريخ، ج٥، القاهرة (ب. ت)، ص ١٧٥؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج١، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت، ١٤٣١هـ، ص ٣٠٥.
(٤١) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٢٠٧.
(٤٢) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٥٨ـ ٣٦٩.
(43) Maqbul, Commercial relations, p. 96.
(٤٤) وهو تحريف للكلمة الفارسية ميان روادن، ميان بمعنى وسط، وروادن بمعنى النهرين، والمعنى العام وسط النهرين انظر، عبد النعيم حسنين، قاموس الفارسية، القاهرة، ١٩٨٢، ص٣٠٦، ٧٠٧.
(٤٥) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٦١.
(٤٦) وتقع أطلالها الآن على مسافة ميل من غرب قرية بند طاهرى جنوب شيراز وللمزيد عنها انظر ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٩٤ ٢٩٥.
(47) Maqbul, op.cit , p. 90.
(48) Ferrand, G., Lelement Persan dans les textes nautiques Arabes, JA, 1924, pp.251-253.
(٤٩) ميتز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص ٣٢٢؛ عطيه القوصى، سيراف، ص ٥٦.
(٥٠) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص ٦.
(٥١) صورة الأرض، ص ٣٨.
(٥٢) عجائب الهند، ص ١٠٧.
(٥٣) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ١٠٤.
(٥٤) وتقوم مقامها الآن بلدة تشول Chaul جنوب بومباى بنحو ٢٥ ميلاً انظر، ياقوت الحموى معجم البلدان، ج٣، ص ٤٤٠؛ أنور عبد العليم، العرب والملاحة، ص ٣٩.
(٥٥) بزرك، عجائب الهند، ص ١٦٥.

(٥٦) المسعودى، مروج الذهب، ج١، ص ٢١٠.
(٥٧) سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص ٦.
(٥٨) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ١٠٥.
(٥٩) الإسلام ومجده الأول، ترجمة إسماعيل العربى، المغرب ١٩٩٠، ص ٣٢٧.
(٦٠) من أشهر مدن خراسان وللمزيد عنها انظر، ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص ٤٧٩ - ٤٨٠.
(٦١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢٣.
(٦٢) من أهم مدن إقليم ما وراء النهر وعنها انظر، ياقوت الحموى، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٤٦ - ٢٤٨.
(٦٣) الاصطخرى، المصدر السابق، ص ١٠٥.
(٦٤) الادريسى، نزهة المشتاق، ح١، ص ١٦٩.
(٦٥) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٤٨٠.
(٦٦) سليمان، أخبار الصين والهند، ص ٦ ٧.
(67) Elphinstone,M., The history of India , the Hindu and Mohametan period , (London , 1911) ,p.183.
(٦٨) نقلاً عن شوقى عبد القوى، تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية (٤١ ـ ٩٠٤ هـ/ ٦٦١ ـ ١٤٩٨ م)، عالم المعرفة، العدد ١٥١، الكويت، ١٩٩٠ ص ٦٧.
(٦٩) انظر، شوقى عبد القوى، المرجع نفسه، ص ٦٨ ـ ٦٩.
(٧٠) العلاقات التجارية بين العرب والهند، ثقافة الهند، يونيو ١٩٥٠، ص ١٢٧ ١٢٨.
(٧١) للمزيد من التفاصيل حول الطبيعة الجغرافية لتلك المنطقة انظر،
Spate , O., India and Pakistan, pp.594-597.
(٧٢) تبدأ الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فى المنطقة الجنوبية، لذلك فساحل مليبار يعتبر من المناطق الخطرة منذ مايو وحتى نهاية سبتمبر. وهذا يعنى أن موسم الرحلات البحرية فى مليبار لا يتعدى سبعة أو ثمانية أشهر، وفى هذا خطر على السفن المليبارية، إذ لا بد من عودتها إلى مواطنها قبل شهر مايو انظر، شوقى عبد القوى، تجارة المحيط الهندى، ص ٩٣.
(٧٣) للوقوف على طبيعة هذا الأسطول ونشاطه انظر، الندوى، أسطول كجرات، ثقافة الهند يناير ١٩٦٩، ص ٤٧ - ٧٧.
(٧٤) انظر، الدينورى، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٢١؛ الثعالبى، لطائف المعارف، ، تحقيق إبراهيم الابيارى، حسن كامل الصيرفى، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢١٤؛ النويرى، نهاية الأرب، ج١، ص٣٦٦.
(٧٥) البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٤٢٣؛ فرشته، تاريخ فرشته، ج٢، بومباى، ١٩٠٠، ص ١٣٢؛ أحمد بخشى هروى، طبقات أكبرى، ج٣، ت. أحمد عبد القادر الشاذلى، القاهرة ١٩٩٥، ص ٣٢٣.
(٧٦) العبر، ج٢، ص٣٢١.

(٧٧) انظر، الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٨، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ص ١٩٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ١٨٥ .

(٧٨) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٢١٠ .

(79) Chaudhuri, K., Trade and civilization in the Indian Ocean, p.53.

(٨٠) وتازي تعني بالفارسية العربي انظر، عبد النعيم حسنين، قاموس الفارسية، ص ١٥٥؛
Steingass, F., Persian English dictionary,(Beirut 1975),p.275.

(٨١) انظر، بزرك، عجائب الهند، ص ١٦٥ .

(٨٢) المسالك والممالك، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٨٣) صورة الأرض، ص١٠٥ .

(٨٤) مروج الذهب، ص ٢١٠ .

(٨٥) عجائب الهند، ص ٩٨ .

(86) Minorsky(ed.), Hudud,p.88.

(٨٧) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٢٩٦ .

(٨٨) رحلة السيرافي، ص ٧٠ـ ٧١ .

(٨٩)، الأخبار الطوال، ص ١١٧ .

(٩٠) أخبار الصين والهند، ص ٨ .

(٩١) مروج الذهب، ج٢، ص ١٤٠ .

(٩٢) انظر، المسيري، تجارة العراق في العصر العباسي، ص ٢٤٦ـ ٢٥٧ .

(٩٣) انظر، حوراني، العرب والملاحة، ص ١١٠ ـ ١١١ .

(٩٤) انظر، هايد، تاريخ التجارة، ص ٤٦ .

(٩٥) عجائب الهند، ص ٨٥ .

(٩٦) كانت شبه الجزيرة العربية أحد المراكز اليهودية الهامة خلال القرون الأولى للميلاد، إذ وجدوا فيها ملجأ بعيداً عن أيدي الرومان بعد تدمير هيكلهم، وراح نفوذهم يزداد تدريجياً خاصة خلال الربع الأخير من القرن الرابع ومطلع القرن الخامس، عندما تحول بعض ملوك اليمن لليهودية. لكن سيادة اليهود على اليمن أثارت مخاوف الساسة البيزنطيين لحد كبير، ليس فقط بدافع العداء لليهود والإدارة البيزنطية، ولكن خوفاً من النفوذ الفارسي في المنطقة مع العلاقات الطيبة بين اليهود والفرس. لذلك أقدم الإمبراطور البيزنطي جستنيان على تدمير مملكتهم في اليمن، كما ضرب تجمعهم في جزيرة تيران عند مدخل خليج العقبة، بعدما زادت أعدادهم في تلك الجزيرة بصورة تلفت الانتباه، بعد تدمير مملكة ذي نواس وفرار ما بها من يهود. انظر، رأفت عبد الحميد، الصراع الدولي حول شبه الجزيرة، ص ٢٠٠ ـ ٢٣١؛ إسرائيل ولفنستون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، القاهرة، ١٩٢٧، ص ٣٥ـ ٤٩ .

(٩٧) مختصر كتاب البلدان، ص ٢٧٠؛ المسالك والممالك، ص ٦٧ .

(98) Simonsen, D., Les Marchands jufis appeles Radanites ', REJ, 105 (1907), pp.141- 142.

(٩٩) الإسلام ومجده الأول، ص ٣١٤.
(١٠٠) ميتز، الحضارة الإسلامية، ص ٢٧٢؛ أحمد الشامي، العلاقات التجارية، ص ١١٠.
(101) Jacobs, J., Jewish Contributions to Civilization, (Philadelphia , 1919), p.196.
(١٠٢) تاريخ التجارة، ص ١٤٢.
(١٠٣) ومعنى كلمة راهدان الدليل أو الهاد انظر، محمد التونجي، المعجم الذهبي فارسي عربي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٩٢؛
Steingass, Persian English dictionary,p.566.
(104) Rabinowitz, L., The Routes of Radanites , JQR , 35 (1944-45), pp.253 278.
(105) Cahen, CL., Review of L. Rabinowitz, Jewish Merchant Adventure , RH, 205 (1951), p.199.
(106) Cahen, CL., Y a-t-il eu des Radanites? , REJ, 123 (1964), p.499.
(107) Cahen, CL., "Quelques questions sur les Radanites ", DER ISLAM, 48 (1972), pp.333 - 334.
(108) Kmietowicz, F., "The Term Ar-Radaniya in work of ibn Hurdadbeh ", FO, 11 (1970), pp.163 - 173.
Lewis, Ch., An elementary Latin dictionary, (Oxford, 1979),p.698.
(109) Jacobi,J., " Die Radaniya ",DER ISLAM, 47 (1971), p.262.
(110) The Radhanite Merchants and the Land of Radhan", JESHO, xvii Gil, M., " (1974),.
(١١١) تذكر المصادر الجغرافية أن راذان هي كورتان بسواد بغداد تشتمل على قرى كثيرة انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١٢، البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٢، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٦٢٦.
(١١٢) جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر، ترجمة إبراهيم خوري، دمشق، ص ٢٥٦.
(١١٣) انظر، ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٧٠.
(١١٤) انظر، ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٦.
(١١٥) بزرك، عجائب الهند، ص ١٠٧ - ١٠٨.
(١١٦) ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص ١٥٤ـ ١٥٥.
(١١٧) انظر، السيد محمد يوسف، علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجري، مجلة كلية الآداب ـ جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٣، ص ٢٦.
(١١٨) انظر، طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي (٩٤٥ ـ ١٠٥٤م)، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٦٧.
Soloviev, A., L'organisation de l'état Russe au X siècle, L'Europe aux IX -XI repeinted also in : byzance et la formation . siècles, (Varsovie, 1968), pp.260 - 261 de l'état Russe, (London, 1979.

(١١٩) للمزيد من التفاصيل عن الروس وعلاقاتهم التجارية انظر ، ليلى عبد الجواد ، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٧٢ـ ٨٠ .

(١٢٠) وفى هذا الصدد نستشهد ببعض الأبيات لأحد الشعراء ، توضح أهم ما كان يجلب من الهند من منتجات ، حيث يقول:

فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل
وأصناف من الطيب ليستعمل من يغل
وأنواع الأفاويه وجوز الطيب والسنبل
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
ومنها البير والنمر ومنها الفيل والدغفل
ومنها الكرك والببغاء والطاووس والجوزل

انظر ، القزوينى ، آثار البلاد وأخبار البلاد ، ص ١٢٨ .

(١٢١) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٥ .

(١٢٢) وهو إنتاج حيوانى يؤخذ من حيوان يعرف باسم قط الزبادى ، وهو نوع من الظباء ، يوجد المسك فى غدة فى بطنه عند سرته ، فإذا ما حكها فى الحجر انفجرت ، وأفرغت ما بها ، حيث يقوم التجار بجمعه بعد ذلك انظر ، اليعقوبى ، البلدان ، القاهرة ، ، ص ١٢٥ ، على منصور نصر ، مكانة الخليج العربى التجارية فى العصر العباسى ، ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربى على مر عصور التاريخ ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ٤٢٩ .

(١٢٣) القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(١٢٤) ابن خرداذبه ، المسال والممالك ، ص ٦٧ ، الثعالبى ، ثمار القلوب ، ص ٤٢٣ .

(١٢٥) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص ١٣٤ .

(١٢٦) أدم ميتز ، تاريخ الحضارة ، ص ١٤٥ .

(١٢٧) انظر ، سليمان التاجر ، أخبار الصين والهند ، ص ١٣ ، ابن خرداذبه ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(١٢٨) المسعودى ، مروج الذهب ، ج١ ، ص ١١٦ ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٨٢ .

(١٢٩) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٥ .

(١٣٠) المسعودى ، المصدر السابق، ج١ ، ص ١٧٢ ، ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٧٢

(١٣١) بزرك ، عجائب الهند ، ص ١٤١ ، الثعالبى ، لطائف المعارف ، ص ٢١٤ـ ٢١٥ .

(١٣٢) الواقدى ، فتوح الشام ، ج١ ، بيروت (ب . ت) ، ص ١٥٦ ، القضاعى ، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٢٥٢ .

(١٣٣) انظر ، الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٤ ، ص ٢٣٧ .

(١٣٤) المسعودى ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .

(١٣٥) الزهرى الجعرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، القاهرة (ب . ت) ، ص ٣١ .

(١٣٦) وقد حمل هذا الساحل قديماً اسم كيرلم Karalam ، وهى صورة محرفة لكلمة چيرلم Charalam أو جيرل بمعنى سلسلة الجبال ، وكلمة مليبار أطلقها المسلمون على هذا الساحل وهى مكونة من مقطعين ، مالى Mali بمعنى جبل ، وبار Bar بمعنى بلد انظر ، الحاج مولوى فيروز

الدين، فيروز اللغات، اردو جامع، لاهور، ١٩٧٨، ص ١٥٤، ٤٠٣، ١٠٢٠، ١٠٣٩؛ محى الدين الألوائى، مابلا، ثقافة الهند، سبتمبر ١٩٥٥، ص ٥٩؛

Nadvi, S, Muslim colonies in India before the Muslim conquest , C, 8(1934), p.481.

(١٣٧) انظر، زين الدين المليبارى، تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين، تحقيق حكيم شمس الله قادرى، حيدر آباد (ب. ت)، ص ١٣ ـ ١٧ .

(١٣٨) فرشته، تاريخ فرشته، ج٢، ص ٣٧٠؛ مجهول، قصة شكروتى فرماض، نشر

Friedmann, Y., in IOS, V (1975), pp.246- 257.

(١٣٩) انظر، محيى الدين الألوائى، مابلا، ص ٤٧؛ عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فى الهند القاهرة، ١٩٥٩، ص ٦٤؛

Alwy, M., The Role of the Arabs in the Spread of Islam in India , MI 4(1964), p.54; Zahoor, A., Shakrawati Faramas, King of Malabar ,India, in: http://www.cyberistan.org

(140) Rao, B., New fact on Islam>s arrival, in: http://www.cyberistan.org

(١٤١) انظر، أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، تحقيق حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٢٢٦؛ أبو الصلاح، كيرلة القديمة والعرب، ثقافة الهند، يناير ١٩٦٢، ص ٩؛

Friedmann,Qissat Shakarawati Farmad, A tradition concerning the introduction of Islam to Malabar, IOS, V (1975), p.245.

(١٤٢) عن هذا الشاهد انظر،

Innes, Malabar and Anjengo, Madras District Gozetteers, (Madras, 1906), p.436.

(١٤٣) مروج الذهب، ج٢، ص ٢١٠ .

(١٤٤) ويقصد بالبياسرة المولودين على ملة الإسلام فى الهند انظر، التنوخى، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج٨، دمشق، ١٩٣٠، ص ١٢٥ .

(١٤٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٤٢.

(١٤٦) عجائب الهند، ص ١٥٢ .

(147) Nadvi, Muslim colonies, p.480; Alwy, The role of the Arabs, p.52.

(١٤٨) السيرافى، رحلة السيرافى، ص ١٢١ .

(١٤٩) راجع التمهيد والفصل الأول.

(١٥٠) البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٤٢٥، ٤٣١ .

(١٥١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ٢٣٥ .

(١٥٢) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ج٢، ص ٤٠٦ .

(١٥٣) البلاذرى، المصدر السابق، ص ٤٣٠ .

(١٥٤) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ج١، ص ٤٢٩ .

(١٥٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١١٨ .

(١٥٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١١٨؛ المصعب بن زبير، نسب قريش، ص ٢٢٠ .

(١٥٧) إحدى فرق الخوارج التى تقول بإمامة عبد الله بن أباض، وهى تنقسم إلى أربع فرق : الحفصية والحارثية واليزيدية وأصحاب طاعة لا يراد الله به، وللمزيد عنها انظر، البغدادى، الفرق بين الفرق، ص ٨٢ _ ٩٢.

(١٥٨) ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٥.

(١٥٩) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ١٠٤.

(١٦٠) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢١.

(١٦١) الزيدية هم اتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب (رضى الله عنه) فى خروجه فى زمان هشام بن عبد الملك، وقد جعلوا الإمامة فى أولاد فاطمة رضى الله عنها. وكانت الزيدية ثلاث فرق : الجارودية، والسليمانية، والصالحية والبترية (وهما على مذهب واحد). والجارودية ينتسبون إلى أبى جارود زياد بن أبى زياد، وقد زعموا أن النبى (صلى الله عليه وسلم) نص على علىّ بالوصف دون التسمية، وهو الإمام بعده. وقد ساقوا الإمامة من على إلى الحسن، ثم إلى الحسين، ثم إلى على بن الحسين زين العابدين، ثم إلى ابنه زيد، ثم منه إلى الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن وقالوا بإمامته. والسليمانية هم أصحاب سليمان بن جرير وكان يقول أن الإمامة شورى فيما بين الخلق، وأنها تصح فى المفضول مع وجود الأفضل وأثبت إمامة أبو بكر وعمر، وطعن فى عثمان للأحداث التى أحدثها، وأكفر عائشة والزبير وطلحة بإقدامهم على قتل على. الصالحية والبترية : الصالحية أصحاب الحسن بن صالح، والبترية أصحاب كثير النوى الأبتر؛ وهما متفقان فى المذهب وقولهما فى الإمامية كقول السليمانية، لكنهما اختلفوا فى أمر عثمان، وجوزوا إمامة المفضول وتأخير الفاضل؛ إذا كان راضياً بذلك انظر، الشهرستانى، الملل والنحل، تحقيق محمد بن عبد السميع، ج١، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٥٩-١٦١؛ النوبختى، فرق الشيعة، ص ٤٨؛ البغدادى، الفرق بين الفرق، ص ١٦ _ ٢٥.

(١٦٢) راجع الفصل الأول.

(١٦٣) ابن أثير، الكامل، ج٥، ص ٣٠ _ ٣١.

(١٦٤) مروج الذهب، ج١، ١٦٧ _ ١٦٨.

(١٦٥) انظر، المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٤٨٢، ٤٨٥؛ وكذلك راجع الفصل الأول.

(١٦٦) راجع التمهيد.

(١٦٧) راجع الفصل الأول.

(١٦٨) البيهقى، المحاسن والمساوىء، ج١، ص ٣٩٨.

(١٦٩) مروج الذهب، ج١، ص ١٦٨.

(١٧٠) المسالك والممالك، ص ١٠٣.

(١٧١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢١.

(١٧٢) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٤٧٠.

(١٧٣) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ١٠٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢٥.

(١٧٤) الأساورة لفظ مكون من مقطعين من اللغة السنسكريتية : أشو بمعنى حصان، ار بمعنى مرتفع، والمعنى العام : الفارس انظر، الحاج مولوى، فيروز اللغات، ص ٧٨؛

Plata,J., A dictionary of Urdu, classical Hindi and English, (Lahore,1983), pp.37,58.

(١٧٥) السيابجة هى معرب سياه بجه، وسياه بمعنى الأسود، وبجه بمعنى الأطفال، والمعنى العام الأطفال السود انظر، الحاج مولوى، المرجع السابق، ص ٧٥١؛ المباركبورى، رجال السند والهند، ص ٢٧٢.

(١٧٦) المسعودى، التنبيه والاشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوى، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٣٠٧.

(١٧٧) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ١٠٧؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢٨.

(١٧٨) عن استقرار هذه العناصر الهندية فى جنوب العراق خلال العصر الأموى انظر، البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٣٦٨.

(١٧٩) المصدر نفسه، ص ٣٦٨.

(١٨٠) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص ١٥٥؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج١٠، ص ١٤٢.

(١٨١) كان نصر من المناصرين للأمين ضد أخيه المأمون، كما كان رافضاً لسياسة المأمون تجاه العناصر غير العربية وخاصة الفرس، لذلك أعلن عصيانه على المأمون وللمزيد من التفاصيل عنه انظر، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٤١٢ وما بعدها؛ فتحى أبو سيف، المشرق الإسلامى، ص ١١٢ - ١١٦.

(١٨٢) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص ١٦٥.

(١٨٣) هو أحد أهم القادة العسكريين فى الدولة العباسية، وهو خرسانى الأصل، برغم أن أحد الباحثين أعتبره مصرى الأصل، وللمزيد عنه وعن نشاطه فى خدمة العباسيين انظر، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٥١ وما بعدها؛ وعن الخلط فى نسبه انظر، عبد المنعم ماجد العصر العباسى الأول، ج١، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٤١٨.

(١٨٤) ابن الجوزى، المنتظم، ج١١، ص ٤٢ - ٥٠.

(١٨٥) عن تلك الأحداث انظر، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٤٧٨ وما بعدها؛ فتحى أبو سيف المشرق الإسلامى، ص ١١٨ - ١٢٢.

(١٨٦) البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٤٦٨ - ٤٦٩.

(١٨٧) هى إحدى نواحى المصيصة ببلاد الشام، وللمزيد عنها انظر، ياقوت الحموى، معجم البلدان ج٤، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(١٨٨) ابن الجوزى، المنتظم، ج١١، ص ٥٠.

(١٨٩) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٥٢.

(١٩٠) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ١٢٤؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج١١، ص ٢٨٢.

(١٩١) الطبرى، تاريخ الامم والملوك، ج ٥، ص ٥٣١.

(١٩٢) الأصفهانى، الأغانى، ج٩، ص ٧٩.

(١٩٣) القزوينى، آثار البلاد، ص ٢٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٣٥.

(١٩٤) رسائل الجاحظ، ج١، رسالة فخر السودان على البيضان، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٢١٢.

(١٩٥) البيان والتبيين، ص ٥٩٦.

(١٩٦) وفى ذلك يقول الشاعر يزيد بن مفرغ الحميرى حين تم سجنه فى البصرة :

وطماطم من سيابيج حرز   يلبسونى مع الصباح القيودا

انظر، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ٢٩٤.

(١٩٧) تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٥٤٨.
(١٩٨) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج٣، ص ٥٠٤.
(١٩٩) عن هذا الطرح انظر، محمد يوسف الهندى، بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب، ص ١٠٣ ـ ١٠٩.
(٢٠٠) عن هذا الدور انظر، فتحى أبو سيف، المشرق الإسلامى، ص ٤٧ ـ ٥٧؛ ميرزا عبد العظيم خان، تاريخ برامكة، طهران ١٣١٣.
(٢٠١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ١٤١.
(٢٠٢) وسوف نتناول ذلك بالتفصيل فى الفصل التالى.
(٢٠٣) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ٢٨١.

الفصل الرابع



تعد العلاقات الثقافية بين الدولة العباسية والهند أحد أهم الركائز التى قامت عليها العلاقات العامة بين الجانبين، وقد شملت تلك العلاقات انتشار الإسلام فى الهند على الصعيدين الملكى والشعبى، وكذلك التيارات الأدبية والفكرية المتبادلة ثم منظومة التصوف الإسلامى ـ الهندى من خلال حلقات الاتصال، والتأثيرات المتبادلة وكذلك التلاقح الثقافى وبنية التعاملية الثقافية بين الهنود والعرب على صعيد العلوم المختلفة؛ كالطب، والرياضيات، والفلك، وغيرها.

وترجع أهمية تلك العلاقات إلى ما تميزت به الهند من تراث فسيفسائى عظيم شمل العديد من المجالات الثقافية المختلفة، حيث أنجز الهنود تراثاً ضخماً عبر عن تفرد الشخصية الهندية وتميز البيئة التى أبدعت هذا التراث، ومن نافلة القول أن اتساع البيئة الهندية وموقعها الحيوى قد هيأ لها نمواً مبكراً فى المجال الحضارى، كما ساهمت الشخصية الهندية بخصائصها الفريدة فى نضج التجربة الهندية فى هذا المجال.

ولاشك أن تميز التراث الهندى وجذوره العميقة كان عاملاً هاماً فى التقارب بين الثقافتين الهندية والعربية، خاصة أن الأخيرة فى ثوبها الإسلامى كانت قد انفتحت على ثقافات تراثية أخرى، كالثقافتين الفارسية والأغريقية، ولما كان التراث الهندى يمثل أحد أهم أضلاع البنية الثقافية خلال تلك الحقبة، لذلك لم يكن من الغريب أن تنشأ علاقات ثقافية متميزة بين الطرفين خلال العصر العباسى. وقد ساعد على

ازدهار تلك العلاقات وجود عدة عوامل، أهمها ازدهار الدولة العباسية خاصة خلال العصر العباسى الأول، وما صاحب ذلك من ازدهار حضارى ساهم فى إنعاشه تشجيع بعض الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء، مما ساعد على ازدهار حركة ترجمة العلوم، واستقدام العلماء المتميزين إلى حاضرة الدولة العباسية، وسبق أن رأينا السفارة التى أرسلها دهارمابالا حاكم البنغال للمأمون، والتى ضمت أحد أهم الكتب الهندية كهدية للأخير[1]. ومن البديهى أن هذه الهدية تفصح عن تميز الجانب الثقافى فى العلاقات بين الجانبين، كما تفصح أيضاً عن اهتمام بعض الحكام العباسيين بالحياة الثقافية، وهو ما نستشفه من رسالة دهارمابالا للمأمون. كما تفصح أيضاً عن أن التقارب السياسى المرحلى بين الدولة العباسية وبعض الممالك الهندية، قد ساهم فى ازدهار العلاقات الثقافية بينهما أيضاً.

بجانب ذلك كان للوجود السياسى للمسلمين فى الهند من خلال الولاية العباسية فى السند أثره فى هذا التقارب خاصة فى الناحية العقائدية وانتشار الإسلام يضاف لذلك أيضاً التواجد العربى فى الهند من خلال الهجرات العربية أو القوافل التجارية التى ساهمت هى الأخرى فى نقل المؤثرات الإسلامية إلى الهند، وكذلك نقل المؤثرات الهندية إلى الدولة العباسية كما سنرى بعد ذلك.

وفى هذا المجال لا نغفل الدور الفارسى كوسيط بين الحضارتين الهندية والإسلامية، فقد نقل الفرس عن الهنود الكثير بحكم التقارب الجغرافى والتاريخى، ثم نقلوا ذلك بدورهم للعرب بعد دخولهم الإسلام، سواء فى مجال ترجمة كتب العلوم أو كتب التراث الأدبى الهندى، وأضافوا بذلك مزيجاً خاصاً من التراث الهندى الفارسى للحضارة الإسلامية.

كذلك لا نغفل دور بعض العناصر الهندية التى عاشت فى الدولة العباسية مثل البرامكة الذين شجعوا ترجمة كتب التراث الهندى، كما استقدموا العلماء الهنود واسندوا إليهم إدارة المؤسسات العلمية. وسوف نستعرض هذه العوامل بالتفصيل من خلال منظومة العلاقات الثقافية بين الجانبين.

ويمكننا رصد انتشار الإسلام فى الهند خلال العصر العباسى من خلال سياقين، الأول خاص بالاعتناق الملكى للإسلام، والسياق الثانى اعتناق العامة له ولنبدأ بالسياق الأول والخاص بحالات الاعتناق الملكى للإسلام، وفى هذا السياق لدينا ثلاث حالات؛ الحالة الأولى ترجع لعهد المعتصم (٢١٨ـ٢٢٧ هـ/ ٨٣٣ـ٨٤٢ م)، إذ يذكر البلاذرى[٢] أن بلداً يسمى العسيفان بين كشمير وملتان وكابل[٣]، كان أهله من البوذيين، ثم سقط ابن الحاكم فريسة لمرض غامض عجز الأطباء عن مداواته، لذلك طلب الحاكم من السدنة أن يضرعوا لبوذا كى يشفى ابنه وقد ادعى السدنة أن بوذا سوف يشفى ابنه لكن هذا الابن سرعان ما قضى نحبه، لذلك أدرك الملك كذب دعواهم، وقام بقتلهم وتدمير معبد بوذا، ثم تبع ذلك أن دعا بعض التجار المسلمين، حيث أسلم على أيديهم.

ولا يعطينا البلاذرى تفاصيل ما بعد اعتناق الحاكم للإسلام، حيث ينهى روايته المقتضبة بالإشارة فقط لإسلام الحاكم الهندى، دون أن يتطرق إلى نتائج ذلك على المملكة من الناحيتين الرسمية أو الشعبية. ويظهر من رواية البلاذرى بوضوح التحديد الجغرافى لتلك المملكة، كما أنه من الواضح أن التجار المسلمين كانوا يصلون إليها، وأن علاقتهم كانت طيبة بالسلطة الحاكمة هناك. كما يدل النص على وجود خلفية لدى الحاكم عن الإسلام بحكم الاحتكاك المباشر مع التجار المسلمين، ويدل على ذلك أنه دعا التجار المسلمين ليعرف المزيد عن الإسلام ثم أعلن إسلامه على أيديهم بعد ذلك.

والحالة الثانية ترجع لعام ٢٧٠هـ/ ٨٨٤م، وترتبط بالإمارة الهبارية، وتحديداً ثانى أمرائها عبد الله بن عمر، إذ يذكر بزرك[٤] أن ملك الرا، والذى وصفه بأنه أكبر ملوك الهند، وحدد موقع مملكته بين كشمير الأعلى وكشمير الأسفل وأطلق عليه اسم مهروك بن رايق، كتب لعبد الله يطلب منه أن يرسل له من يفسر له الإسلام باللغة الهندية، وقد لبى الأخير طلبه وأرسل له مبعوثاً خاصاً استطاع أن يقنع الملك باعتناق الإسلام، لكن مهروك أخفى إسلامه وكان يؤدى شعائر الإسلام فى مكان منعزل خوفاً من انقلاب رعيته عليه.

وتفصح تلك الرواية عن عدة أمور، منها عدم انتشار الإسلام فى تلك المملكة وغلبة البوذية على سكانها، مما جعل الحاكم يخشى على نفسه عاقبة إشهار إسلامه. كما تشير الولاية إلى أن هذا الملك قد وصلته بعض الأخبار عن الإسلام، وهى فى الغالب عن طريق التجار المسلمين، لذلك أحب أن يستزيد منها أما عن التحديد الجغرافى لتلك المملكة، فالغالب أنها كانت باله را التى أشار إليها الجغرافى المجهول(٥)، وذكر أنها مقر إقامة التجار القادمين من الهند وخراسان والعراق.

والحالة الأخيرة ذكرها جغرافى مجهول(٦)، وترجع لعام ٣٧٢ هـ/ ٩٨٢ م حيث يذكر أن حاكم ننهار اعتنق الإسلام، لكن غالبية رعيته ظلوا بوذيين. تلك هى الإشارة المقتضبة التى ذكرها هذا المصدر دون أن يقدم تفاصيل لملابسات هذا الحدث باستثناء الإشارة غير المباشرة لإشهاره إسلامه، من خلال ما ذكره عن استمرار رعية هذا الملك على العقيدة البوذية، مما يفصح عن معرفتهم بإسلام حاكمهم، وعدم تأثرهم بذلك.

على هذا النحو كانت حالات الاعتناق الملكى التى وصلتنا عن حكام الهند ونلاحظ هنا أن تلك الحالات كانت فردية، لم يصاحبها اعتناق الأسر الملكية أو الرعايا للإسلام، وفقاً للقاعدة الشهيرة "الناس على دين ملوكهم". وهو أمر قد يبدو غريباً، بل إن حاكم الرا أخفى إسلامه خوفاً من ضياع ملكه. وتلك الحالات لا ترتبط بالضرورة بضعف هؤلاء الملوك بقدر ما ترتبط بمدى انتشار وقوة الديانة البوذية، وتغلغلها فى أعماق المجتمع الهندى. وسبق أن رأينا أن هذا التغلغل امتد إلى حد التضحية بالنفس، وهو ما شكل ضغطاً متزايداً على الحكام الراغبين فى التحول لديانة جديدة.

كما تبرز تلك الحالات الدور الذى لعبه التجار فى نشر الإسلام فى الهند فمن خلال توغلهم فى أنحاء الهند للعمل بالتجارة، حرصوا على نشر تعاليم الإسلام وبذلك كانوا خير مثال للتاجر المسلم الداعى، الذى كان أبرز مظاهر الحضارة الإسلامية.

والسياق الثانى هو اعتناق العامة للإسلام، أو انتشار الإسلام على النطاق الشعبى، وسوف نتناول هذا السياق من جانبين، الأول انتشار الإسلام فى أنحاء شبه القارة الهندية، والثانى فى الولاية الإسلامية هناك. وقد ارتبط انتشار الإسلام فى أنحاء الهند كما ذكرنا آنفاً بالوجود العربى والهجرات العربية التى اتجهت للهند، وأهم المراكز التى انتشر بها الإسلام هناك هو ساحل مليبار، حيث حمل المسلمون فى هذا الساحل خلال العصر العباسى لقب مابلا[٧]. وقد اختلف الباحثون فى تفسير هذا المصطلح، إذ رأى البعض[٨] أن معناها الطفل الأكبر أو الزوج، بينما مال آخر[٩] للمعنى اللغوى ورأى أنه مكون من مقطعين بمعنى ابن الأم، (ما بمعنى أم، وبلا بمعنى ابن)، على اعتبار أن العرب كانوا يتزوجون من نساء ملبار، ثم يطلقوهم عند عودتهم لبلادهم، فكان أولادهم يدعون بلقب مابلا نسبة إلى أمهاتهم المليبارية. بينما رأى ثالث[١٠] أن (ما) هنا كلمة سنسكريتية معناه العظيم، وأن سكان ماليبار احتفاء منهم بأولاد المسلمين لقبوهم باسم مابلا بمعنى ابن العظيم، ويؤكد ذلك بما عرف من الثقة العظيمة التى كان يحظى بها المسلمون لدى حاكم جيرا فى ساحل مليبار، والتى جعلته يصدر أمراً لكل أسرة من البحارة فى مملكته بأن تربى واحداً أو اثنين من أولادها على الديانة الإسلامية.

وتفصح تلك التفسيرات بوجه عام عن طبيعة العلاقة الطيبة بين سكان مليبار وحكامهم بالمسلمين. كما تبرز جانباً هاماً من طبيعة علاقة التجار المسلمين بتلك المناطق، من حيث زواجهم من نسائها خلال الفترة التى يمكثون بها بالساحل ثم يطلقوهن عند إيابهم لمواطنهم، وهى طبيعة تلائم حياة التجار غير المستقرة، ورغم ذلك فقد استمروا يحظون بالود من جانب سكان مليبار، نظراً للمصالح الاقتصادية المتبادلة.

بجانب ذلك انتشر الإسلام بصورة واضحة فى هضبة الدكن، خاصة فى مملكة الراشتراكوت، ويظهر ذلك فى قول الاصطخرى[١١] " وبسندان وصيمور وكنباية من بلاد بلهرا مساجد جوامع، وبها أحكام المسلمين ظاهرة ". وقول ابن حوقل[١٢] " وببلاد بلهرا المساجد تجمع بها الجمعات، ويقام بسائرها الصلوات بالآذان فى

المنار، والإعلان بالتكبير والتهليل"، و"بلاد بلهرا يملكها المسلمون لأنه لا يولى عليهم إلا مسلم وأهل مملكته يزعمون أنه إنما تطول أعمار ملوكهم لسنة العدل وإكرام المسلمين". كذلك حديث المصادر عن حب بلهرا للمسلمين وتقديره لهم، إذ يذكر كل من سليمان التاجر والمسعودى[١٣] "أنه ليس فى ملوك الهند من يعز المسلمين فى ملكه إلا البلهرا، فالإسلام فى ملكه عزيز مصون، ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين".

وتؤكد تلك الروايات على الانتشار الواسع للإسلام فى تلك المنطقة، بل والحرية الدينية الواسعة التى حظى بها المسلمون هناك، مما جعلهم يقيمون المساجد الكبرى الجامعة، وكذلك يجهرون بآذانهم دون خوف أو قيد. كما تظهر عمق العلاقات بين المسلمين وغيرهم من الهنود، وما تركه المسلمون فى وجدان الهنود من تأثير بالغ. ولا يخفى هنا العامل الاقتصادى الذى جعل السلطات الحاكمة تمنح المسلمين تلك الحريات الواسعة، مع ما كان تجارهم يجلبونه لبلادهم من خير.

كذلك كان للإمارة الماهانية، برغم عمرها القصير، دورها فى نشر الإسلام فى منطقة سندان، حيث أقاموا هناك المساجد، وساعدوا بذلك على نشر الإسلام فى تلك المنطقة[١٤]. وبجانب ذلك انتشر الإسلام أيضاً فى كشمير، ويرجع ذلك لمحمد بن العلافى الذى فر أمام جيش محمد بن القاسم، وقام حاكم كشمير بمنحه حكم إحدى مقاطعاته، فاستقر هناك وبنى المساجد مما ساعد على انتشار الإسلام هناك[١٥]. وسبق أن رأينا كيف أوى حاكم كشمير عبد الله بن محمد النفس الزكية، ومدى تقديره للإسلام.

وبوجه عام يمكننا أن نقرر أن انتشار الإسلام فى الساحل الهندى الغربى كان أكثر قوة من بقية أجزاء الهند، باستثناء السند بالطبع. ويرجع ذلك لعاملين هامين؛ الأول عن طريق التجار المسلمين الذين لم ينشروا الإسلام فقط فى المناطق التى ارتادوها فى الهند، بل كان لتنقلهم التجارى أثره الكبير أيضاً فى انتشار الإسلام، وتمتع المسلمين بوضع ممتاز فى تلك المناطق.

أما العامل الثانى فيرجع للهجرات العربية التى استقرت فى نواحى الهند، حيث اختلطت بالسكان، وأقامت المساجد وغيرها من المؤسسات الدينية التى كان لها دور كبير فى نشر الإسلام هناك. ويلوح لنا أن العامل الأول كان أكثر تأثيراً فى هذا المجال، ويظهر ذلك فى أن علاقة التجار المسلمين كانت أكثر قوة بالساحل الغربى للهند، لذلك كان انتشار الإسلام هناك أقوى، وأوضاع المسلمين أفضل بعكس شرق وأواسط الهند، مع أن الهجرات العربية امتدت لتلك المناطق.

أما عن انتشار الإسلام فى السند فقد نال نصيباً وافراً من مناقشات المؤرخين المحدثين، على اعتبار أنها كانت حقلاً عملياً لالتقاء السلطات الإسلامية الحاكمة، ورعاياها من الهنود غير المسلمين، وكذلك العلاقات المتبادلة بينهما. وقد دارت مناقشات هؤلاء حول نقطتين هامتين؛ الأولى أن اعتناق الهنود للإسلام جاء تحت ضغط السلطات الإسلامية أو رغبة منهم فى إصلاح أحوالهم الاجتماعية والثانية التسامح الدينى الذى اتبعته السلطات الإسلامية، وما تركه من تأثير على إقبال الهنود على اعتناق الإسلام.

فقد رأى أحد الباحثين[١٦] أن المسلمين حاولوا تحويل المناطق المفتوحة للإسلام لكنه لم يتمكن من استنتاج نتائج تلك المحاولات. ورأى آخر[١٧] أن اعتناق الهنود للإسلام جاء نتيجة الضغط المستمر للغزاة العرب، وما أسسوه من مراكز إسلامية قوية فى السند، وأن هذا التحول كان ضعيفاً ومتوقفاً على استمرار قوة الحكم الإسلامى، ويستدل على ذلك بما حدث من حالات الردة فى الأوقات التى صاحبت ضعف الحكم الإسلامى هناك. والرأى الثالث[١٨] يربط بين انتشار الإسلام هناك والبناء الاجتماعى الهندى؛ مستنداً إلى أن المجتمع الهندى كان يعانى من التفاوت الطبقى وإنكار حقوق الطبقات السفلى، واقتصار الامتيازات على الطبقات العليا، فى الوقت الذى تمتع فيه الإسلام بمثالية فى المساواة بين معتنقيه، وبالتالى مستواهم الاجتماعى والاقتصادى، لذلك كان اعتناق الهنود للإسلام رغبة فى تحسين أوضاعهم.

أما النقطة الثانية والخاصة بالتسامح الدينى الذى أبداه المسلمون تجاه الهنود، فكما سبق أن رأينا أبدى المسلمون مرونة كبيرة تجاه العقائد الوثنية الهندية فقد ترك المسلمون العديد من المعابد البوذية دون أن يحطموها، وقبلوا أن يأخذوا الجزية من الهنود حيث اعتبروا المعابد البوذية مثل الكنائس والبيع وبيوت النار " ما البد إلا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس "[١٩]. وهذا السلوك قد يبدو مستغرباً مع علمنا أن الجزية لا تجب إلا على أهل الكتاب من اليهود والنصارى لكن الفقه الإسلامى طور هذا المنظور ليلائم الوضع الجديد فى الدولة الإسلامية، فنجد مثلاً لدى ابن يوسف[٢٠] نصاً يقول " وجميع أهل الشرك من المجوس، وعبدة الأوثان، وعبدة النيران، والصابئين، والسامرة، تؤخذ منهم الجزية، ما خلا أهل الردة من أهل الإسلام، وأهل الأوثان من العرب، فإن الحكم فيهم أن يعرض عليهم الإسلام، فإن أسلموا وإلا قتل الرجال منهم وسبى النساء والصبيان " .

فنطاق الجزية هنا اتسع ليشمل عناصر أخرى من غير أهل الكتاب، وتلك نظرة متطورة للفقه الإسلامى تلائم الوضع الجديد داخل الدولة الإسلامية، فى بلدان كان غير أهل الكتاب فيها أكثرية، ولا يمكن قهرهم بالقوة. لذا فإن أحوالهم بهذا تكون أفضل من أهل الكتاب، فلا هم أسلموا، ولا هم قاموا بدفع الجزية. وليس هناك ما يمكن أن يعبر عن هذا المنظور أفضل مما جاء لدى أحد كبار الفقهاء المسلمين[٢١] إذ يقول: " إن عبدة الأوثان إذا كانوا أمة كبيرة لا تحصى كالهند وغيرهم، حيث لا يمكن استصلاحهم بالسيف، فإذلالهم وقهرهم بالجزية أقرب لعز الإسلام وأهله وقوته من إبقائهم بغير جزية، فيكونون أحسن حالاً من أهل الكتاب. وسر المسألة أن الجزية من باب العقوبات، لأنها كرامة لأهل الكتاب فلا يستحقها سواهم " . بجانب ذلك رأينا كيف أبقى ابن القاسم على تمثال مولتان واكتفى بوضع قطعة من اللحم فى عنقه على سبيل التحقير[٢٢].

ويرى بعض المؤرخين المحدثين[٢٣] أن الدافع المادى كان المحرك الأول لهذا السلوك، ويستدلون على ذلك بما رواه ابن الجوزى من أن سكان مولتان عرضوا على ابن القاسم ثلث دخل المعبد، وأن الخليفة الأموى وافق على ذلك[٢٤]. كما

يستدلون على ذلك أيضاً بأنه حطم العديد من المعابد الأخرى فى ديبل وقتل الكثير من سكان برهمناباد ولم يتركهم كما فعل مع مولتان، بالرغم من تشابه حالات المقاومة والفتح عنوة.

ورغم أن ابن الجوزى ذكر أن الخليفة كان عبد الملك بن مروان، وهو خطأ تاريخى ظاهر، إلا أن المغزى من روايته واضح. ونحن لا ننكر ذلك، لكن الدافع المادى لم يكن وحده السبب فى ذلك، إذ كان هناك أيضاً الدافع الاستراتيجى، وكذلك العمل عل ائتلاف قلوب الهنود بتلك السياسة أيضاً. أما بالنسبة لمقارنة تلك الحالة مع ما حدث فى ديبل وبرهمناباد، فالواقع أن الآمر كان مختلفاً، فخلال حصار ديبل بدا أن هدم المعبد هو الحل الأمثل لكسر شوكة المدينة، التى كان من الضرورى فتحها، بوصفها أول ميناء هندى قابل المسلمين. أما برهمناباد فقد تحصن بها من تبقى من قوات داهر، وقاوموا مقاومة شديدة، لذلك كان من الطبيعى أن يسقط الكثير من القتلى من الجنود. كما أن هؤلاء المؤرخين تجاهلوا السلوك السلمى لابن القاسم تجاه مدن أخرى.

وخلال العصر العباسى زاد انتشار الإسلام بين سكان السند، خاصة فى مدنها الكبرى مثل المنصورة ومولتان، حتى أن المدينة الأخيرة لم يعد بها من البوذيين سوى سدنة معبدها المقدس[٢٥]، كما أصبح غالبية سكان المنصورة من المسلمين، ويبدو هذا طبيعياً خاصة بعد أن أصبحت هاتين المدينتين بعد ذلك حاضرتى إماراتى الهباريين والساميين. ولا شك أن وجود السند فى حوزة المسلمين قد شجع بعض الفقهاء المسلمين على النزوح إليها للمساهمة فى نشر الإسلام هناك فقد أشار التنوخى[٢٦] إلى وجود جماعة من شيوخ البحرين هناك، كما أشار الطبرى[٢٧] إلى أن الربيع بن صبيح البصرى[٢٨] أشهر المحدثين وأولهم تدويناً للحديث، قد زار السند عام ١٥٩ هـ/ ٧٧٦م. يضاف لذلك أن الأقليات البوذية فى السند تمتعت بالحرية الدينية، وحظيت بالتعايش السلمى مع جيرانهم من المسلمين[٢٩].

صفوة القول أن المعيار الدينى لا يقف وحده فاعلاً فى دراسة انتشار الإسلام فى الهند، إذ كان للعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية دورها المؤثر فى هذا

المجال. وظهر دور التجار المسلمين بقوة ليس فى انتشار الإسلام فحسب بل فى المكانة المتميزة التى حظى بها المسلمون فى الممالك الهندية.

وخلال دراستنا لانتشار الإسلام على النطاق الملكى نصادف ثراءً نصيًا لا نصادفه عند دراسة انتشار الإسلام على النطاق الشعبى. ويبدو هذا أمراً بديهيا مع ما اعتدناه من المصادر بالاهتمام بالجانب الرسمى الحاكم أكثر من الجانب الشعبى عند رصد الظواهر التاريخية. ونلاحظ أن آراء الباحثين حول انتشار الإسلام فى الهند تدور فى تمرتب ثلاثى، داخل نسق عضوى لحمته أن هذا الانتشار تم بالقوة أو لرغبة الهنود فى تحسين أوضاعهم، وسداته أن التسامح الدينى للمسلمين كان هدفه الأول مادى بحت. وتلك بالطبع نظرة متعسفة للأمور لأنها تغفل بقية تفاصيل المشهد التاريخى، وتتعدى العوامل الأخرى التى ساعدت على إنجاز هذا التحول.

أما عن بنية التعاملية الثقافية بين العرب والهند على الصعيد الأدبى فمن المعروف أن الهنود أنجزوا إبداعات متميزة فى المجال الأدبى، حيث تميزت الهند فى العصور القديمة بأنها موطن الحكمة والتجارب الأدبية الرائعة، ويكفى أن أفضل روائع الأدب الإنسانى مثل قصص كليلة ودمنة، وحكايات ألف ليلة وليلة، ارتبطت أصولهما الأولى بالبيئة الهندية. وفى هذا الصدد يمكننا أن نرصد للأدب الهندى ثلاثة تأثيرات مميزة على الأدب العربى؛ الأول خاص بانتقال بعض الألفاظ الهندية للغة العربية، والثانى ترجمة بعض التراث القصصى الهندى للعربية، والثالث خاص بانتقال بعض الحكم والأمثال الهندية للبيئة العربية[٣٠].

وفى المجال الأول كان للنشاط التجارى للتجار للعرب أثره الواضح على انتقال الكثير من الألفاظ الهندية للعربية، ويظهر ذلك فى أن معظمها كان للمنتجات القادمة من الهند مثل الكافور والقرنفل والفلفل والزنجبيل والخيرزان وغيرها من المنتجات. فالكافور أصله بالسنسكرتية كاربورا Karpura، والفلفل بيبلى Pipali، والنارجيل ناريكيلا Narikila، والليمون ليمو Limu، إلى غير ذلك[٣١].

أما المجال الثانى والخاص بترجمة التراث القصصى الهندى للعربية، فمن أبرز الأمثلة فى هذا الصدد كتاب كليلة ودمنة[٣٢]، وهو تحريف واضح لاسمى كاراطاكا وداماناكا، وهما القوتان اللتان تسودان فى الجزء الأول من الكتاب. والكتاب أصله هندى يتناول حكايات فلسفية وأخلاقية، وكان يحمل اسم بيدبا وبيل با Pilpai and Bidapai أو بانج تنترا بمعنى الكتب الخمسة، وبيدبا تحريف للكلمة السنسكريتية فيدياباتى[٣٣]، وهو ليس اسم علم بل لقب معناه البانديت الأكبر فى البلاد، وهو لقب الفيلسوف البرهمى الذى يقوم برواية هذه الحكايات المراد بها تعليم الأمراء وتأديبهم، وكان الفرس هم أول من ترجموه للفارسية، ثم تولى عبد الله بن المقفع نقله للعربية خلال العصر العباسى[٣٤]. وترجع أهمية هذا العمل إلى فقدان الأصل الهندى، وكذلك النص الفارسى المترجم. كما أن النص العربى المترجم، كما رأى نيكلسون Nicholson[٣٥] تميز بالروعة، على الرغم من أنه لم يتصف بالإيجاز الحاد الذى اتسمت به البلاغة العربية.

أما قصص ألف ليلة وليلة فيرى ليتمان[٣٦] فى مقدمة ترجمته الإنجليزية لهذه القصص أن بعض هذه القصص، خاصة المتعلقة بأمور الزهد ترجع لأصل هندى، ويؤيد جالتر Galter[٣٧] ذلك، ويرجع بعض القصص إلى أصلها الصريح فى الهندية ذاكراً القصة الهندية الأصلية بعينها مثل قصتى الحصان المسحور وحسن البصرى[٣٨] كما يشير إلى أن طريقة إدخال قصة على قصة من خواص الأدب السنسكريتى، وأن قص القصة لمنع السامع أن يعمل عملاً ضاراً بغيره ظاهرة هندية كما رأى كوسكان Cosquin[٣٩] أن مقدمة الليالى والخاصة بقصة شهريار وخيانة زوجته، ثم تطوع شهرزاد لإنقاذ بنى جنسها من سيف شهريار ترجع لأصول هندية حيث بين بالأدلة أن تلك المقدمة توجد فى صور مختلفة الظاهر متحدة الجوهر فى كثير من قصص الأدب الهندى الشعبى.

وترى سهير القلماوى[٤٠] أن قصص الليالى الخاصة بأدب الوعظ والحكمة تعود إلى الهند لأنها منبع هذا الأدب، كما ترى أن الجزء الخاص بسياسة الملك وأدب الوزراء وعلاقة الوزراء بالملك تبدو عليه المسحة الهندية، وأن القاص استمد

معلوماته عنها مما وصل إلى الأدب العربى من الهند. كذلك القصص الخاص بالحيوان، على أساس أن الهند كانت الوطن الذى ازدهرت فيه قصص الموعظة على لسان الحيوان حيث انتشر القصص الحيوانى الوعظى فى تعاليم بوذا وغيره مثل مجموعات بانج تنترا Panchtantra ومعناها السنسكريتى الكتب الخمسة[٤١]، ومجموعة كوكا سابتاتى CoukaSaptati ومعناها قصص الببغاء السبعون. لكنها تشير هنا إلى أمر هام، وهو أنه من الإسراف أن نحاول أن نتلمس البيئة الهندية الخالصة فى تلك الليالى، فقد وصل هذا القصص على مر العصور، وهى فى تسياره يفقد الكثير من تفاصيله، والقاص هنا يهمه الحادث الإنسانى الذى يمكن أن يقع فى أى مكان وفى أى زمان، أكثر من الحدث الخاص الذى لا يقع إلا فى بيئة معينة أو عصر معين؛ كما كان يعتمد على ذوق سامعيه وما يمكن أن يستسيغوه، لذلك لا يمكنه نقل قصة بجوها الإقليمى الغريب عن سامعيه، وإنما بداءة فنه وبداءة ذوق مستمعيه تتطلبان منه أشياء يستطيعون أن يروها وأن يلمسوها إلى حد ما فى حياتهم العادية. لذلك نجد القصة التى وقعت حوادثها فى الهند، لأن القاص ينص على هذا الوطن لها فى تحديد منظر القصة عند بدئها، ولأن أسماء الأبطال وطريقة تسلسل الحوادث وطريقة إدخال القصص بعضه فى بعض، كل هذا وغيره ينم عن الأصل الهندى ولاشك؛ لكن القاص هنا يعرف أن المستمع ربما لا يعرف البيئة الهندية، لذلك فهو ينقى هذا القصص من المميزات البيئية الأولى لها، وغيره ينقى أكثر من ذلك، وهكذا حتى تصل القصة آخر الأمر وليس بها من بيئتها الأولى إلا أسماء أو إشارات لموطنها الأصلى[٤٢].

على الجانب الآخر يرى بعض الباحثين[٤٣] أن الليالى مقتبسة من العمل الفارسى الشهير هزار أفسانه (ألف حكاية)، وأن هناك بعض قصصها مثل مغامرات السندباد أصلها هندى انتقلت للفارسية فى البداية ومنها للعربية.

ويظهر الأصل الهندى لمغامرات السندباد البحرى فى كتاب بزرك " عجائب الهند "، خاصة فى مغامرتيه مع العجوز أو جبل الألماس[٤٤]، فقد نقل بزرك المغامرة الأولى عن أحد الشيوخ الهنود، مشيراً إلى أنها وقعت بالفعل هناك. أما

القصة الثانية فقد ذكرها أيضاً كطريقة للهنود فى استخراج الألماس من أحد مناجمه(٤٥)، وقد أيد رواية بزرك ما ذكره ابن ماسويه عن طريقة استخراج الألماس فى الهند، والتى تشابهت مع ما جاء فى قصة السندباد وما رواه بزرك(٤٦).

كما تأثر العرب أيضاً بالحكم والأمثال الهندية، إذ كانت الهند تمثل فى مخيلتهم نموذجاً بالغ الثراء للحكمة، ونلمس فى قول الطبرى(٤٧) ما يؤيد ذلك حيث يقول " وأهل الهند حكماء، استغنوا ببلادهم فاكتفوا بها عما يليهم ". وكذلك قول ابن صاعد الأندلسى(٤٨) " الهند عند جميع الأمم على مر الدهور وتقادم الأزمان، معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة، وأهل الأحلام الراجحة، والآراء الفاضلة، والأمثال الثائرة والنتائج الغريبة، واللطائف العجيبة ".

ويضاف لذلك أن أحد الباحثين(٤٩) يلمح إلى أن العرب قاموا بوضع علم النحو تأسياً بما قام به الهنود، إذ يرى أن قصة وضع أبو الأسود الدؤلى لعلم النحو تتشابه مع قصة هندية ذكرها البيرونى، وتروى أن أحد ملوك الهند كان يوماً فى حوض مع نسائه فقال لإحداهن " ماود كندهى " أى لا ترشى على الماء فظنت أنه يقول " مود كندى هى " أى احملى حلوى، فذهبت وأحضرتها فأنكر الملك ذلك فخاشنته فى الخطاب، فاستوحش الملك لذلك، واحتجب إلى أن جاءه أحد علمائهم ووعده تعليم النحو والصرف(٥٠). ويرى هذا الباحث أن حكاية أبو الأسود الدؤلى ربما تكون وضعت فى العربية على نمط الحكاية الهندية، مستدلاً على ذلك بتعدد الروايات حول سبب قيام أبو الأسود بوضع علم النحو.

أما عن التصوف الإسلامى، فكما نعلم فإن كثيراً من الدارسين أرجعوا نشأته إلى أصول أجنبية، ولسنا هنا فى مقام استعراض تلك القضية. لكن الذى يهمنا ما أشار إليه البعض من وجود أصول هندية للتصوف الإسلامى، وما تركته التأثيرات الهندية على منظومة هذا التصوف. حيث يرى فيليب حتى(٥١) أن هناك تأثيرات هندية فى فكرة شمولية الألوهية عند المتصوفة المسلمين. كما رأى كريمر(٥٢) أن التصوف صورة من البوذية خاصة فيما يتعلق بالطقوس الجسدية

للمتصوفة، لكن نيكلسون[٥٣] يرى أن طريق الصوفية من ناحية كونها تثقيفًا خلقياً للنفس وتأملاً زهدياً، وتحرراً عقلياً، ربما تكون مدينة بالكثير للبوذية، لكنهما يتعارضان فى الجوهر لأن البوذى يقوم نفسه بنفسه، أما الصوفى فيقوم نفسه بمعرفة ربه. كما يفصل بين التأثير البوذى والتأثير الهندى على التصوف الإسلامى، حيث يرى أن تأثير البوذية مبالغ فيه لأن البوذيين لم يكونوا فى نظر المسلمين سوى حفنة من الوثنيين، ويستدل على ذلك بنظرية الفناء الصوفى، إذ يرى أن الفكرة الصوفية فى فناء النفس الذاتية فى الوجود الكلى هى من أصل هندى لأن ممثلها الأول أبو يزيد البسطامى (ت ٢٦١ هـ/ ٨٦٠ م)[٥٤] تلقاها على يد شيخه أبا على السندى، وأن فكرة الفناء عند البسطامى تتشابه مع حلولية الفيدنتا Pantheism of Vedanta التى اعتنقها البراهمة والتى ترى أن الله والروح شىء واحد[٥٥].

والرأيان الأول والثانى يبدو فيهما قصور شديد، ويتجاهلان الأصول الإسلامية للفكر الصوفى. أما عن رأى نيكلسون فعلى الرغم من اعترافه بالاختلاف بين البوذية والصوفية الإسلامية فى الجوهر، والمبالغة الشديدة فى تصوير التأثير البوذى على المتصوفة، وكذلك الخلط بين التأثير البوذى والتأثير الهندى على التصوف الإسلامى. إلا أننا نراه يسوق أسباباً واهية ليبرر عزوف المسلمين عن التأثر بالبوذيين، وهى أسباب يمكن أن تنسحب على موقف العرب من البراهمة أيضاً كما يظهر التعارض فى آرائه عندما يذكر أن فكرة الفناء عند الصوفى المسلم تختلف عن فكرة الفناء البوذى المعروفة باسم النيرفانا Nirvana[٥٦]، لأن الأولى يصاحبها البقاء أى الحياة الخالدة فى الله بعكس الثانية التى تتميز بالفناء المطلق والسلبية الخالصة. لكنه يعود مرة أخرى ليلح على التطابق بينهما كحالة أخلاقية، وتأثر فكرة الفناء الصوفى بالبوذية إلى حد ما، ويبدو نيكلسون هنا متأثراً بقوالب فكرية معينة لم يتمكن من الفكاك منها.

ورغم أن هناك أيضاً من يلح على التشابه بين الفناء الصوفى والنيرفانا[٥٧]، إلا أن هناك أيضاً من يرفض أن تكون هناك صلة بينهما[٥٨]. ولعل أهم الأمثلة التى

تبرز فى هذا الصدد هو الحلاج[٥٩]، الذى صنف ضمن الحلولية وهو مذهب شبيه بالتناسخ أو التجسيد، أو ما يسميه الصوفية حال الاتحاد. وفى ذلك يقول:

حويت بكلى كل كلك يا قدسى تكاشفنى حتى كأنك فى نفسى[٦٠]

وقد أدى فكر الحجاج غير التقليدى إلى صلبه وقطع رجليه ويديه من خلاف ثم تحريق جثته[٦١]. ولا يهمنا هنا ما رآه البعض[٦٢] من أن قتله أملته دوافع سياسية ربما لدوره فى تأليب الجماهير على السلطة. لكن الذى يهمنا هو أن مقولة الحلاج " أنا الحق "، والبسطامى " سبحانى ما أعظم شأنى "، لا يجب أن تفسر إلا فى نطاق لحظة الفناء أو الاتحاد مع الذات الإلهية فى الحالة التى يسميها الصوفية وحدة الشهود وهى الحالة التى يفقد فيها الصوفى التمييز بين نفسه وبين ذات الله سبحانه وتعالى، فيصبح كأنه فى رؤيا منامية. وتعرف هذه الحالة أيضاً باسم مقام الجمع. فإذا ما انتهت كانت هناك حالة أخرى هى مقام الفرق. ولكن إذا حدث وتكلم الصوفى فى مقام الفرق كلاماً يتضمن معنى الجمع فيجب أن يفهم هذا الكلام على أنه رمز. ولعل عدم التفرقة بين أقوال الحجاج وبين حالتيه فى الجمع والفرق هى السبب فى اتهامه بادعاء الألوهية[٦٣].

ولعل ما يهمنا هنا أيضاً هو ما أوردته بعض المصادر الإسلامية[٦٤] عن زيارة الحلاج إلى الهند، ورغم أن تلك المصادر لم تقدم لنا تفاصيل تلك الزيارة أو نتائجها، وإنما تكتفى بذكر سببها على لسان الحلاج نفسه " لأتعلم السحر وادعوا الخلق لله ". إلا أن تلك الإشارة ربما تفصح عن احتكاك الحلاج بالفلسفة الهندية عن كثب وربما كان لذلك تأثير على فكر الحلاج وفلسفته. كذلك ظهر التأثير الهندى فيما يخص المتصوف إبراهيم بن أدهم البلخى (ت ١٦٠هـ/ ٧٧٧م)[٦٥] الذى صيغت قصة تحوله للصوفية على مثال أسطورة بوذا، حيث تزعم الرواية أن إبراهيم كان ابن أحد الملوك، وكان يعيش حياة مترفة ثم خرج يوما للصيد، فسمع صوتا غامضا يحذره من أنه لم يخلق لمثل هذه الحياة، فنزل الأمير من على فرسه، وهجر الدنيا إلى غير رجعة منتهجاً سبيل الزهد والتقوى[٦٦].

كذلك تأثر أبو العلاء المعرى (ت ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧م)[٦٧] بالفكر الفلسفى الهندى، وظهر ذلك فى امتناعه عن أكل اللحم واقتصاره على النباتات، وكذلك انعزاله وانصرافه عن الناس. كما ظهر ذلك التأثر فى العديد من كتاباته مثل لزومياته، وكذلك مؤلفه الأشهر " رسالة الغفران" ، التى تقوم فلسفتها الأساسية على الشك والتشاؤم[٦٨].

ولم يكن هذا التأثير الهندى من فراغ، فقد اهتم العرب بمذاهب الهند، وتحدث المؤرخون عنها؛ حيث تناول البيرونى[٦٩] أهم معتقداتهم، كم خصص المقدسى[٧٠] فصلاً فى كتابه للحديث عن المذاهب الهندية، كذلك ابن النديم[٧١] وغيرهم الكثير. كما لم يكن التأثر العربى بالفكر الهندى جزئياً فقط، فهناك إشارة إلى تأثر البعض بالفكر البوذى بشكل كامل، إذ يروى الأصفهانى[٧٢] أنه كان هناك من مال إلى مذهب السمنية، والمقصود بهم هنا البوذيين.

وفى المجال الفلسفى كان الفقهاء المسلمون يرون أن الجسم يتكون من ذرات صغيرة جدا غير قابلة للانقسام، وكان من المعتقد أن هذا المفهوم تأثر بالفلسفة اليونانية. لكن من الواضح أنها تأثرت بالفكر الفلسفى الهندى، فقد كانت كل المدارس الفلسفية الهندية ترى عدم قابلية ذرات الجسم للانقسام. والجزء الأكثر أهمية فى هذا الصدد هو التشابه أيضاً فى وجود الخلاف بين مؤيدى ومعارضى تلك النظرية، فالفلاسفة المسلمين عارضوا تلك النظرية، ودعموا ذلك بفرض أنه فى حالة وضع جزىء بين جزيئين، فإنه بذلك يصبح لدينا اتجاهين متضادين بوضوح، وأن ذلك يعنى إمكانية انقسام الذرات. وقد رد عليهم الفقهاء بقولهم أن ذرات الجسم لو كانت قابلة للانقسام بصورة دائمة، فإن ذلك يعنى أن الجبل سيصبح مساوياً للخردلة فى الحجم، وهذا التعارض الفكرى سبق ووجد فى الفلسفة الهندية أيضاً[٧٣].

ويهمنا أن نشير أيضاً إلى أثر الهجرات الهندية والهنود الذين استقروا فى البلاد العربية فى تلك العلاقات، فقد ظهر فى التربة العربية العديد من العلماء والفقهاء والأدباء الهنود الذين أثروا الحياة الفكرية فى الدولة العباسية ومنهم :

الفقيه أبو معشر نجيح السندى (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، الذى كان عبداً سندياً جاء مع سيده إلى الجزيرة العربية ثم أعتقه، واستقر بعد ذلك فى المدينة، حيث نسى

الناس لقبه السندى وصار يعرف بالمدنى. وكان لا يضارع فى معرفة حياة الرسول ومغازيه، وكان يعرف بإمام الفنون، وقد ظل أصله السندى غالباً عليه فى لكنته، وعند موته شارك الرشيد فى الصلاة عليه(٧٤).

والشاعر المخضرم أبو عطاء السندى (ت ١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، الذى عاصر الدولتين الأموية والعباسية، وقد ظهر أصله الهندى فى لكنته الركيكة، حيث كان ينطق الحاء هاء، والشين سين، فكان يقول فى مرحبا " مرهبا "، وفى الشيطان " سيطان "، حتى أنه اضطر أن يتخذ غلاماً ينشد له شعره تحاشياً لذلك، وفى ذلك كان يقول:

أعوزتنى الرواة يا ابن سليم وأبى أن يقيم شعرى لسانى
وغلا بالذى أجمجم صدرى وجفانى لعجمتى سلطانى

وقد لمع نجمه خلال العصر الأموى، لذلك لم يقربه العباسيون رغم مدحه لهم، لذلك انقلب عليهم وصار يهجوهم(٧٥).

ومن اللغويين أبو عبد الله محمد بن الأعرابى الذى كان علماً من أعلام اللغة والأدب، حتى قال عنه البعض: شاهدت مجلس ابن الأعرابى يحضره زهاء مائة إنسان، وكان يملى على الناس ما يحمل على اجمال كان له علم غزير فى الشعر، وقد ترك مؤلفات متعددة مثل كتاب الأنواء، وكتاب الألفاظ وغيرها(٧٦).

كذلك نبغ من بين الهنود بعض الفقهاء ومنهم، مكحول بن عبد الله (ت ١١٦هـ / ٧٣٤م)، الذى يرجع أصله إلى السند، والذى عاش بالشام وذاعت شهرته هناك حتى قيل عنه: لم يكن فى زمان مكحول أبصر بالفتيا منه(٧٧). وكذلك موسى بن هارون إسحاق الذى صار من أئمة الفقه والحديث(٧٨).

أما عن بنية التعاملية الثقافية بين العرب والهند على صعيد العلوم المختلفة فقد تميزت بالتنوع ولعل أهمها المجال الطبى، فقد بز الهنود الحضارات المعاصرة لهم فيما وصلوا إليه فى مجال التخصص فى الطب، وعلاج الكثير من الأمراض المستعصية، واستنباط العديد من الأدوية الطبيعية والمركبة؛ حيث وجد لديهم

التخصص فى أمراض النساء، والأطفال، والطب الوقائى، كما استخدموا التشريح وقاموا بالعديد من العمليات الجراحية المعقدة، وأشاروا إلى أهمية الثقافة الصحية وآداب الطبيب. بجانب ذلك وضع مشاهير أطبائهم العديد من الموسوعات الطبية التى حوت هذا التراث الطبى، وكانت خير شاهد على التقدم الهندى فى مجال الطب[٧٩].

وفى هذا المجال كان للطب الهندى تأثير واضح أيضاً على مثيله العربى[٨٠]، وقد اتخذ هذا التأثير أوجه عدة، منها ترجمة الكتب الطبية الهندية، والانتفاع بالعلوم الطبية التى وردت بها. ولم يكتف العرب بذلك بل سعوا فى حالات متعددة لاستقدام أشهر الأطباء الهنود لعلاج بعض الحالات الهامة، أو تولى إدارة البيمارستانات الهامة فى الدولة، خاصة فى عهد الرشيد وظهور البرامكة على الساحة، والذين حرصوا على استقدام هؤلاء وتشجيعهم على ترجمة كتب الطب الهندى إلى العربية[٨١].

ففى مجال الترجمة عددت بعض المصادر الكثير من تلك الكتب التى جرت ترجمتها للعربية ومنها، كتاب شرك الهندى[٨٢]، للطبيب الهندى ذائع الصيت تشيركا Charaka، وصاحب الموسوعة الطبية المعروفة بالسامهيتا (Charaka Samhita Corpus)، والتى اهتمت بالثقافة الصحية، وآداب الطبيب، والعمليات الجراحية، والعلاجات بالأغذية والأدوية[٨٣]. وكذلك موسوعة سسرد الطبية التى تألفت من عشر مقالات عن الأمراض وأعراضها وأدويتها[٨٤]، والتى ألفها الجراح الهندى الشهير سوشراتا Sushruta، والتى تعتبر من أهم مآثر الحضارة الطبية الهندية الكلاسيكية القديمة[٨٥]. وكتاب آخر مختصر فى العقاقير الهندية، وكتاب فى علاجات الحبالى، وكتاب روسى Rossa الهندية فى علاجات أمراض النساء، وكتاب التوهم فى الأمراض والعلل لأبى قبيل الهندى، وكتاب فى أسرار المواليد وغيرها[٨٦].

ويفصح العرض السابق عن التنوع الذى شملته ترجمة كتب الطب الهندى حيث شملت مختلف تخصصاته كالطب العام، وطب النساء، وطب الأطفال،

والطب النفسى؛ كما لم تقتصر تلك الترجمة على مؤلفات الأطباء من الرجال فقط بل شملت مؤلفات الطبيبات أيضا؛ ولاشك أن هذا يعبر عن مدى التقدم الذى أحرزه الطب الهندى فى مختلف التخصصات. بجانب أنها شملت أيضاً ترجمة كتب العقاقير وما يمكن أن نصنفه فى مجال الصيدلة. كما نلاحظ أن الكثير من تلك الكتب كان يتم نقلها للفارسية أولاً، ثم تنقل بعد ذلك للعربية، ويمكننا أن نعزو ذلك إلى أن القائمين على تلك الترجمة كانوا فى الغالب من الأطباء الهنود، الذين كانوا يتقنون الفارسية التى كانت منتشرة فى الأوساط الهندية.

وبلغ من اهتمام المسلمين بالطب الهندى أن خصص كبار أطبائهم فصول من كتبهم الطبية للحديث عن الطب الهندى، ومثال ذلك وضع ابن ربن الطبرى(٨٧) فى كتابه فردوس الحكمة الذى وضعه عام ٢٣٦ هـ/ ٨٥٠ م، بحثاً فى الطب الهندى وسير الأطباء الهنود المشهورين، وأشار لأهمية الطب الروحانى، ومعالجة الأمراض العقلية ونوازعها، وقيمة التخصص فى المهن الصحية كأمراض النساء والتوليد، والتدبير السريرى والباطنى، مع الاهتمام بالغذاء والدواء، وقيمة معالجة كل شخص كوحدة متكاملة، مع اللجوء لاستعمال أدوية مجربة مألوفة ومتوافرة من النبات والحيوان والأملاح المعدنية، مشيراً لوجود وانتشار السحر وطب الرقى فى الهند، وشيوع طريقة إخراج الأرواح الشريرة، وترويج الطب الشعبى إضافة إلى علم السموم والترقيات وأنواعها وتركيبها واستعمالها، وتشخيص الأمراض، والطب الوقائى، والتشريح، وعلم الجراحة والآلات المستعملة فيها. وكذلك أبو بكر الرازى (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٥م)، الذى نقل فى كتابه الحاوى الكثير مما ورد فى الكتب الطبية الهندية(٨٨). كذلك ظهر أثر الطب الهندى مختلطاً بالتراث اليونانى فى كتاب القانون لابن سينا(٨٩).

بجانب ذلك وفد على الدولة العباسية العديد من الأطباء الهنود، ولاشك أن مرجع ذلك ما حازه الطب الهندى من شهرة واسعة، وقد بدأ هذا التوافد خلال فترات مبكرة من العصر العباسى، وتحديداً خلال عهد أبو جعفر المنصور الذى كان يعانى من حالة سوء هضم وفشل الأطباء فى علاجها نظراً لنهمه الشديد، لذلك

استعان بأحد الأطباء الهنود الذى تمكن من علاج تلك الحالة[٩٠]. ومن أشهر هؤلاء الذين وفدوا على بغداد الطبيب منكه Manka، وكان سبب قدومه مرض أصاب الرشيد لم يجد معه أى علاج، فأشار البعض على الرشيد استقدامه نظراً لمهارته، وبالفعل نجح منكه فى مداواة الرشيد، بجانب ذلك قام بترجمة بعض الكتب الطبية الهندية للغة الفارسية، ومنها تم نقلها للعربية. ومن أهم الكتب التى ترجمها كتاب العالم الهندى شاناق Shanak الخاص بالسموم والترياقات، حيث ترجمه إلى الفارسية ثم ترجم فى عهد المأمون إلى العربية، وهو يصف أنواع المواد السامة وتأثيرها واستعمالها وفوائدها ومضارها[٩١].

كما استقدم البرامكة الطبيب الهندى صالح بن بهلة[٩٢]، والذى ظهرت مهارته عند مداواة إبراهيم بن صالح ابن عم الرشيد، وكان الأول قد أغشى عليه حتى ظن الجميع أنها غيبوبة الموت بما فيهم طبيب الرشيد الأشهر جبرائيل بن بختيشوع، وتم الإعداد لدفنه. وهنا أشار أحد رجال الرشيد عليه أن يستعين بصالح ربما يمكنه إنقاذ ابن عمه. وقد أثبت ابن بهلة مهارته حين أخبر الرشيد أن بإمكان صالح أن يفيق من تلك الغيبوبة، لكنه اشترط أولاً أن ينقلوا صالح من المكان الذى كان معداً لحنوطه، خوفاً مما قد يحدث له عند إفاقته فى هذا المكان وبالفعل تم ما أمر به ابن بهله وشفى إبراهيم بن صالح[٩٣]. بجانب ذلك عمل الأطباء الهنود فى البيمارستانات العباسية مثل ابن دهن، ومنكه[٩٤].

وفى مجال الرياضيات كان الهنود هم الشعب الوحيد الذى تخلص من النظام العقيم فى تكوين الأعداد من سلسلة من الرموز أو الرسوم، والذى كان منتشراً بين الحضارات المجاورة لهم، وتمكنوا من إنجاز نظام عددى متميز سهل كثيراً عمليات الحساب والتأريخ المعقدة، وجعل النظام الحسابى الهندى يعتلى ذروة سنام النظام العددى فى العالم، حيث مكنهم هذا النظام من الوصول إلى تقييم الأرقام تبعاً لمراكزها فى الخانات، مما مكنهم من القيام بعمليات حسابية كبيرة استحال على غيرهم القيام بها، ولقد مرت الهند أيضاً بالفترة البدائية فى كتابة الأعداد قبل أن تستطيع عام ٣٠٠ ق. م من إيجاد شكل معين لكل رقم، بل ظلت حتى القرن

السادس الميلادى تقريباً تتبع نظاماً مشابهاً للنظام الصينى، ثم انتقلت منه إلى نظامها الشهير ذاك[٩٥]. وفى هذا المجال كان للهنود الأثر الأكبر فيه، حيث كان العرب بحاجة ماسة لنظام جديد يحل مكان النظام القديم الذى كانوا يتبعونه فى عملياتهم الحسابية، والذى كان يقوم على طريقتين، الأولى بحساب الجمل والتى تقوم على تدوين الأرقام بالحروف الأبجدية كما يلى:

(ابجد / ١ ٢ ٣ ٤) (هوز / ٥ ٦ ٧) (حطى / ٨ ٩ ١٠) (كلمن / ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠) (سعفص / ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠) (قرشت / ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠) (ثخذ / ٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠) (ضظغ / ٨٠٠ ٩٠٠ ١٠٠٠)، فكانوا يكتبون رقم ١١ مثلاً على الصورة (يا) و(نط) للدلالة على رقم ٥٩[٩٦]. أما الطريقة الثانية فكانت تدوين الأرقام بالكلمات فيقولون ثلاثة رجال وأربع نساء ومائة شاة.

وبالطبع كان هذا النظام بالغ التعقيد وغير عملى، لذلك لم يكن أمام العرب إلا الاستعانة بنظام جديد يحل محله، ويسهل عليهم القيام بالعمليات الحسابية بطريقة مبسطة. وكان النظام الآخر الشائع هو النظام الرومانى الذى يستخدم الحروف اللاتينية للتعبير عن الأرقام كالتالى:

واحد I، خمسة V، عشرة X، خمسون L، مائة C، خمسمائة D، ألف M.

وعلى الرغم من وضوح تلك الأعداد وسلاستها عند التحدث بها، لكن العمليات الحسابية باستخدام هذه الأرقام شبه مستحيلة، كذلك كانت كتابة تلك الأرقام معقدة، فلكى نكتب مثلاً رقم ١٤٣٣ كان يكتب كالتالى، MCCCCXXXIII[٩٧]. لذلك لم تكن تلك الطريقة عملية هى الأخرى، لذلك كان على العرب البحث عن نظام آخر أكثر ملائمة لهم. وكان النظام الهندى فى الأعداد قد بلغ طور النضج، حيث تخلى عن هذا النظام المعقد فى تكوين الأعداد وأوجد لكل رقم شكلاً واحداً يدل عليه ويكتب به وهو يكتسب قيمته تبعاً لموضعه فى خانة الآحاد أو العشرات أو المئات أو الآلاف وبذلك تمكن من كتابة أى عدد مهما بلغ، دون قيد أو حدود.

ثم قدر للعرب خلال العصر العباسى أن يحصلوا على تفاصيل هذا النظام العددى بسهولة، حين وفد على بلاط الخليفة أبو جعفر المنصور فلكى هندى يدعى كنكه Kanka، حاملاً معه كتاباً هندياً هاماً فى الفلك والحساب حمل اسم سدهانتا Siddhanta[٩٨]، للعالم الهندى الشهير براهماجوبتا Brahmagupta. واهتبل المنصور تلك الفرصة وأمر على الفور بترجمة هذا العمل الهام، وعهد بذلك للعالم الشهير الفزارى[٩٩]، كما عهد إليه أن يؤلف كتاب على نهجه ليستخدمه الناس فى أعمال الحساب والفلك، وبالفعل أخرج الفزارى كتاب السند هند الكبير[١٠٠].

وقد استطاع العرب أن يوحدوا تلك الأرقام ويهذبوها، وخرجوها فى صورة سلسلتين من الأعداد، الأولى وعرفت بالأرقام الهندية (١ ، ٢ ، ٣، . . .)، والثانية عرفت باسم الأرقام الغبارية[١٠١]، وهى المستعملة حالياً فى أوربا، وسميت بالأرقام الغبارية لان الهنود كانوا يضعون غباراً على لوح من الخشب ويرسمون عليه الأرقام لإجراء عملياتهم الحسابية، وكانت تلك الأرقام ترتب على أساس عدد الزوايا التى يضمها كل رقم منها، فالرقم ١ يتضمن زاوية واحدة، والرقم ٢ يتضمن زاويتين وذلك على الشكل التالى:

ثم قام العرب بتطوير هذه الأشكال حتى أخذت الشكل المعروف حالياً:

1, 2 , 3 , 4 , 5 , 6 , 7 , 8 , 9.

بجانب ذلك أخذ العرب عن الهنود أيضاً استعمال الصفر، الذى ظهر لدى الهنود لأول مرة حوالى عام ٤٠٠ م، وكان يسمى لديهم سونيا Sunya أو سونيابندا Sunyabinda بمعنى الفراغ، كما أطلقوا عليه أحياناً اسم خا Kha بمعنى الثقب، وقد أدى إدخال الصفر إلى تسهيل تركيب أى عدد حسابى مهما كان كبيراً، وحل الكثير من المعادلات الرياضية[١٠٢]. كما نقل العرب أيضاً عن الهنود لفظ الجيب فى حساب المثلثات وهو مشتق من الاصطلاح السنسكريتى جيف Jiw، وكذلك جداول الجيوب الهندية[١٠٣].

وقد ترتب على هذا التفوق الهندى فى مجال الرياضيات تفوقاً مماثل فى مجال الفلك الذى ارتبط لديهم بعلم الحساب، وقد ساعد تفوقهم فى العلم الأخير على

مهارتهم فى حساب حركات الكواكب والأجرام السماوية، ووضع الجداول الفلكية[١٠٤].

وفى هذا المجال كان لكتاب السدهانتا أثره الكبير على علم الفلك الإسلامى بعد ترجمته، وهناك العديد من الفلكيين المسلمين فى الشرق والغرب الذين اعتمدوا عليه فى ازياجهم ومنهم:

١ ـ الفزارى، وزيجه السند هند الكبير الذى ألفه على نهج السدهانتا.

٢ ـ يعقوب بن طارق، وزيجه علم الفلك وتركيب الأفلاك، وقام على أساسه أيضاً.

٣ ـ الخوارزمى، ووضع زيجان عرفا باسم السند هند.

٤ ـ زاد حبش المروزى، ووضع ثلاثة ازياج على نهجه.

٥ ـ عبد الله بن أماجور، ووضع زيجاً على نهجه.

٦ ـ الحسن بن مصباح، ووضع زيجاً اعتمد فيه عليه.

٧ ـ الفضل بن حاتم، ووضع زيجاً كبيراً على نهج السدهانتا[١٠٥].

وبجانب ذلك كان لهذا الكتاب أثره على علماء الأندلس أيضاً، فقد وضع أبو القاسم بن السمح زيجاً كبيراً من جزأين، أحدهما فى الجداول والآخر فى رسائل الجداول على نهج هذا الكتاب. وكذلك ابن الصغار الذى وضع زيجًا مختصراً على نهج السدهانتا[١٠٦].

ولم يكن السد هانتا هو الكتاب الفلكى الوحيد الشائع بين الفلكيين المسلمين حيث كانت هناك أنظمة فلكية هندية أخرى معروفة لدى الفلكيين المسلمين، ومنها المؤلف الآخر لبراهماجوبتا ويعرف باسم كار كاندا كاتكا Kar KhandaKhadyaka والذى اشتهر بين المسلمين باسم الأركند، وكتاب أريابهاتا Aryabhata الذى عرف باسم الأرجبهر[١٠٧]. وقد قام الفلكى أبو الحسن الأهوازى بوضع زيجه فى حركات الكواكب على غرار النظام الأخير[١٠٨].

صفوة القول، أن التراث الهندى بروافده العديدة قد ترك بصماته الواضحة على التراث العربى فى مجالات عدة، وفى مقابل رسالة الإسلام السامية التى حملها العرب للهند، قدمت الهند للعرب خلاصة تجاربها الإنسانية فى المجال الفكرى، لتكمل بذلك منظومة العلاقات المتميزة بين الجانبين، ويحسب للمسلمين أنهم فى طور التأثر بالحضارات الأخرى كاليونانية والهندية، لم يكتفوا بالنقل فقط بل طوروا ما نقلوه، ليقدموا للعالم بعد ذلك خلاصة تجارب الحضارة الإسلامية.

هوامش الفصل الرابع

(١) راجع الفصل الأول.

(٢) فتوح البلدان، ص ٤٣٣ .

(٣) وهى مقاطعة اسيوان الحالية بالبنجاب، انظر، الندوى، العلاقات التجارية، ص ١١٢ .

(٤) عجا ئب الهند، ص ٢ ـ ٤ .

(5) Minorsky (ed.), Hudud, p.88.

(٦) وتقع ننهار Ninhar على الضفة الغربية لنهر كابل، على بعد ٨ كم من مدينة جلال آباد Jalalabad انظر،

Minorsky, Hudud, p.91, 252.

(٧) تتكون هذه الكلمة من الناحية اللغوية من مقطعين : (ما) بمعنى أم، (بلا) بمعنى ابن انظر، الحاج مولوى، فيروز اللغات، ص ١٩٠، ١٠٣١ ؛

Platts, A dictionary of Urdu, pp.163,977.

(٨) عن هذا الرأى انظر، شيخ اكرام، تاريخى هند، ص ٤٦ ؛ أبو الصلاح، كيرلة، ص ١٠

Tarachand, Influence of Islam, p.33.

(٩) انظر، محيى الدين الألوائى، مابلا، ص ٣١ .

(10) Innes, Malabar and Anjengo, p.190.

(١١) المسالك والممالك، ص ١٠٥ .

(١٢) صورة الأرض، ص ٣٢٠ .

(١٣) أخبار الصين والهند، ص ١٢ ؛ مروج الذهب، ج١، ص ١٧٠ .

(١٤) انظر، البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٤٣٣ .

(١٥) انظر، الكوفى، فتحنامه سند، ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(16) Titus, Islam in India, p.39.

(17) Friedmann, Early Islam, p.324.

(18) Qureshi, The Muslim community, p.42.

(١٩) البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٤٢٧ .

(٢٠) كتاب الخراج، القاهرة، ١٣٩٦ هـ، ص ١٣٩ .

(٢١) انظر، ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج١ ، دمشق، ١٩٦١ ، ص ١٧ .

(٢٢) البيروني، تحقيق ما للهند، ص ١١ .

(23) Friedmann, Temple of Multan, p.178; Nigam, Religions Attitude, p.97.

(٢٤) تلبيس إبليس، تحقيق محمد الصباح، بيروت، ١٩٨٩ ، ص ١٠٠ .

(٢٥) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٠٣ .

(٢٦) الفرج بعد الشدة، ج١ ، القاهرة، ١٩٥٥ ، ص ٣٠٦ .

(٢٧) تاريخ الأمم والملوك، ج٤ ، ص ٥٤٨ .

(٢٨) هو أبو حفص ربيع بن صبيح السعدي البصري، من التابعين ويعد أول من صنف في الإسلام توفي عام ١٦٠ هـ/ ٧٧٧ م وللمزيد عنه انظر، الربعي، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق، عبد الله أحمد سليمان، ج١ ، الرياض، ١٤١٠ هـ، ص ٣٧٤ .

(٢٩) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٤٧٩ .

(٣٠) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج١ ، بيروت، ١٩٣٣ ، ص ٢٤٦ ؛ عبد المجيد الندوي، تأثير الأدب الهندي في الآداب العربية، ثقافة الهند، يناير ١٩٧٠ ، ص ٢٧ .

(٣١) للمزيد من التفاصيل عن تلك الناحية انظر، السيد محمد يوسف، البضائع الهندية وأسمائها المعربة، ثقافة الهند، ديسمبر ١٩٥٥ ، ص ٢ ـ ١٣ .

(٣٢) وفي ذلك يقول الشاعر :

هـذا كتاب أدب ومحنـة وهو الذي يدعى كليلة ودمنة

فيـه اختيارات وفيه رشـد وهـو كتاب وضعـه الهند

انظر، الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠ ، ص ٧٣ .

(٣٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١ ، ص ٩٨ ؛ شاستري، صلات الهند ببلاد الغرب في العصور الوسطى، ديوجين مصباح الفكر، القاهرة، ١٩٦٦ ، ص ٧١ ؛

Schleifer, J., Studien Kalila wa Dimna, WZKM, 29(1915), pp.399 419;Spengling, M., Kalila Studies, AJSL, 40(1923 24), pp.81 97.

(٣٤) المسعودي، مروج الذهب، ج١ ، ص ١٦١ ؛ ابن النديم، الفهرست، ص ٤١٣ ؛

Ross, E., Ibn Muqaffa and the Burzoe Legend, JRAS, (1926), pp.503 505.

(35) Nicholson, R., A Literary History of the Arabs, (Cambridge, 1969), p.346.

(٣٦) نقلا عن سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، القاهرة، ١٩٧٧ ، ص ٣٧ .

(37) Fragmants d>une étude sur les mille et une nuits, MIFAO, XXVII ،Galter,E., (1912), pp.138 139.

(٣٨) انظر، كتاب ألف ليلة وليلة، ج١٦ ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ١١٩٤ ـ ١٢٦٢ .

(39) Cosqin, E., Le prologue carde des mille et une nuits, les legendes perses et livre d esther, RB,(1909),pp.14 15.

(٤٠) سهير القلماوى، المرجع السابق، ص ٧٧، ١٩٧، ٢٠٧.

(٤١) وقد أخطأت سهير القلماوى حين ذكرت أن اسم المجموعة هو بانتا تنترا Panthatantra، وإنما الصحيح هو بنج تنترا، وهو يتوافق مع الترجمة التى ذكرتها (الكتب الخمسة). وهو بالطبع كتاب كليلة ودمنة كما ذكرنا آنفاً.

(٤٢) سهير القلماوى، ألف ليلة وليلة، ص ٢٢٤ـ٢٢٦.

(43) Galter, Fragments dune étude sur les mille et une nuits, pp.142 - 146 Davar, F., Iran and India through the Ages, (London, 1962), p.140.

(٤٤) عن مغامرات السندباد انظر، كتاب ألف ليلة وليلة، ج١١، ص ٨١٨ ـ ٨٥٩.

(٤٥) انظر، بزرك، عجائب الهند، ص ١٢ ـ ١٤، ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٤٦) انظر، ابن ماسوية، كتاب الجواهر وصفاتها، تحقيق عماد عبد السلام، القاهرة، ١٩٧٧ ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٤٧) تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٥٢٢.

(٤٨) طبقات الأمم، ص ١٦.

(٤٩) انظر، أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص ٢٤٥.

(٥٠) انظر، البيرونى، تحقيق ما للهند، ص ٦٥.

(٥١) تاريخ العرب، ج٢، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٥٢٧.

(٥٢) الحضارة الإسلامية، ترجمة مصطفى بدر، القاهرة، ١٩٤٧ ص ٤٧.

(٥٣) الصوفية فى الإسلام، ترجمة نور الدين شريبة، القاهرة، ١٩٥١، ص ٢٢.

(٥٤) للمزيد عن حياته وفكره انظر، القشيرى، الرسالة القشيرية فى علم التصوف، القاهرة، ١٩٦٦ ص ٢٣ ؛ ابن الجوزى، صفة الصفوة، ج٤، حيدرآباد، ١٣٥٦ هـ، ص ٨٩ ـ ٩٤ ؛

Areberry, A., A Bistami Legned, JRAS, (1938), pp.89 91; Subhani, A., A daring Utterance of Abu Yazid Al-Bistamy, JRCI, 5 (1972), pp.19 36.

(٥٥) والفدينتا كلمة سنسكريتية معناها ختام الفيدات، وهى تستخدم فى الدلالة على طرق البراهمة الفلسفية الست (النيايا، الفايشيشيكا، السنخيا، اليوجا، بيرفا - الميمانصا، الفيدانتا) وللمزيد من التفاصيل عنها انظر، ويل ديورانت، قصة الحضارة، ج٣، ص ٢٥٠ ـ ٢٧٦ ؛

Radhakrishnan, S., Indian Philosophy, vol.2, (London, 1931), pp.29 430;

Bernard, T., Hindu Philosophy, (Newyork, 1947), pp.20-127.

(٥٦) هناك العديد من المعانى لتلك الكلمة، فهى فى السنسكريتية معناها منطفئ، أما الكتب البوذية فتستخدمها لتعبر عن حالة السعادة التى يصلها الإنسان بعد الإقلاع التام عن شهواته وانعدام شعور الفرد بفرديته انظر، ويل ديورانت، قصة الحضارة، ج٣، ص ٨٤ ـ ٨٥.

(57) Tarachand, Influence of Islam, p.72; Yousuf, M., Influence of Indian Science on Muslim Culture, 111.

(58) Ahmed, A., Studies in Islamic Culture in the Indian Environment, (London, 1964), p.125.

(٥٩) وهو الحسين بن منصور، وسمى بالحلاج لأنه كان يتكلم على أسرار الناس فسمى بحلاج الأسرار، وللمزيد عنه انظر، الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، ج٨، بيروت، (ب. ت)، ص ١١٢ - ١١٣؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ٣١٩.

Gouthier, L., El Haladj et le panthéisme ca propos de deux livres récents, RHR, 91 (1925), pp.77 96 ; Massignon, L., La survie dal Hallaj. Tableau chronologique de son influence après sa mort, BEO, 11(1945), pp.131 143 ; Idem, El- Hallaj Mystique de lIslam, BEA, 9(1949), pp.99 102.

(٦٠) مجهول، كتاب أخبار الحلاج، نشر ماسنيون وكراوس، باريس، ١٩٣٦، ص ٥٧، ٨٣

(٦١) البغدادى، الفرق بين الفرق، ص ٢٤٦ - ٢٤٩.

(٦٢) انظر، نيكلسون، الصوفية فى الإسلام، ص ١٣٩.

(٦٣) محمود إسماعيل، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة (ب. ت)، ص ١٦٢.

(٦٤) البغدادى، تاريخ بغداد، ج٨، ص ١٢٠، ابن الجوزى، المنتظم، ج٦، ص ١٤٤.

(٦٥) عن حياة هذا المتصوف وفكره انظر، القشيرى، الرسالة القشيرية، ص ١٣.

Nicholson, R., Ibrahim b. Adham, ZA, 26(1912), pp.215 220.

(٦٦) انظر، القزوينى، آثار البلاد، ص ٢٦١.

(٦٧) للمزيد عن أعماله وفلسفته انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ١١٣ - ١١٤.

Fischer, A., Abu l-Ala al Marri und das Buch De tribus impostoribus, WO, 1 (1947 - 52), pp.416 420 ; Hatem, A., Presentation dal- Marri, OM, 34(1954), pp.122 136.

(٦٨) شاسترى، صلات الهند ببلاد الغرب، ص ٧٧.

(٦٩) تحقيق ما للهند، ص ٥٦ - ٥٧.

(٧٠) البدء والتاريخ، ج٤، ص ٩ ١٩.

(٧١) الفهرست، ص ٤٦٨ - ٤٧٣.

(٧٢) الأغانى، ج٣، ص ٢٤ - ٤٢٥.

(73) Yousuf, Influence of Indian, p.111.

(٧٤) انظر، الذهبى، تذكرة الحفاظ، ج١، ص ٢١٦؛

Nadvi, Early relations, p.177.

(٧٥) للمزيد عنه أنظر، الأصفهانى، الأغانى، ج١٦، ص ٨١.

(٧٦) وللمزيد عنه انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص ٤١٣ - ٤١٤.

(٧٧) انظر، الشيرازى، طبقات الفقهاء، بغداد، ١٣٥٦ هـ، ص ٥٣.

(٧٨) انظر، ابن عبد البر، جامع بيان العلم، ج٢، ص ١٤٧.

(٧٩) عن التراث الطبى الهندى القديم انظر،

Hoernle,F., Studies in Ancient Indian Medicine, JRAS, (1906), pp.283 298.

(٨٠) ورغم ذلك هناك من يرى أن هذا التأثير كان ضئيلاً مقارنة بالعلوم الهندية الأخرى التى أثرت في الحضارة الإسلامية انظر،

Barakat, S., Indian Influence on Muslim Culture, SI, 13 (1976), p.49; Meyerhof, M., On the Transmission of Greek and Indian Science to the Arabs, IC, 11 (1937), p.27.

(٨١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٧٨؛ ذبيح الله صفا، تاريخ علوم عقلى در تمدن اسلامى تا أواسط قرن بنجم، مجلد أول، تهران، ١٣٣١ ش، ص ٨٩.

(٨٢) انظر، ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، بيروت، ١٩٦٥ ص ٤٧٣.

(83) Sulayman, The early relations between Arabia and India, p.178.

(٨٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٤٠٨.

(٨٥) انظر، سامى خلف حمارنه، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، ج١، عمان ١٩٨٦، ص ٣٨؛

Meyerhof, On the Transmission of Greek and Indian science p.26.

(٨٦) انظر، ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٧٣ ـ ٤٧٥.

(٨٧) فردوس الحكمة، تحقيق محمد الصديقى، برلين، ١٩٢٨، ص ٢ ـ ٨.

(٨٨) انظر، ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٧٣.

(89) Yousuf, M., Influence of Indian Science on Muslim Culture, IC, (1962), p.108.

(٩٠) انظر، الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٥١٦.

(٩١) ابن أبى أصيبعة، المصدر السابق، ص ٤٧٥.

(٩٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٧٩.

(٩٣) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٧٥ ـ ٤٧٧؛ القفطى، أخبار العلماء، ص ١٤٥ ـ ١٤٧؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٧٤.

(٩٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٤٠٩.

(٩٥) للمزيد من التفاصيل عن النظام الهندى فى الأعداد انظر، زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقى، الدار البيضاء، ١٩٩١، ص ٧١ ـ ٧٢؛

Krishnaswami, A., The Hindu Arabic numerals, QHMS, 18 (1928), pp.256 267; Karpinski, C., The Hindu numerals among the Arabs, BM, 13(1912 13), pp.97 98.

(٩٦) وللمزيد من التفاصيل عن هذا النظام انظر، عبد المجيد نصير، علم الحساب العربى الإسلامى مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد التاسع، دبى، ١٩٩٥، ص ٣٨.

Schanzlin, G., The Abjad notation, MW, (1934), p.257 - 261; Worrell, W., Jummal notation, SM, 9 (1943), pp.272 - 274.

(٩٧) للمزيد من التفاصيل عن هذا النظام انظر، زيغريد هونكة، شمس العرب، ص ٧٠ ـ ٧١

(٩٨) ومعنى كلمة سدهانتا بالسنسكريتية معرفة وعلم، وأطلق هذا اللفظ اصطلاحاً على كل كتاب فى علم الهيئة وحساب حركات الكواكب انظر، كرلونلينو، علم الفلك، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى، القاهرة، (ب. ت)، ص ١٥٠.

(٩٩) للمزيد عنه انظر، ابن النديم، الفهرست، ص ٣٧٤.

(١٠٠) البيروني، تحقيق ما للهند، ص ٢٠٨.

(١٠١) للمزيد من التفاصيل عن هذا النظام انظر،
Candz, S., The origin of the Ghubar of the Arabian abacus and the article ISIS, 16 (1931), pp.293 344; Welborn, W., Ghubar numerals, ISIS, 17(1932), pp.260 63.

(١٠٢) انظر، زيغريد هونكة، شمس العرب، ص ٧٣.

(١٠٣) انظر، كرلونلينو، علم الفلك، ص ١٦٨ - ١٦٩ ؛
Nadvi, Early Relations, p.178.

(١٠٤) للمزيد من التفاصيل عن علم الفلك عند الهنود وأبرز مصنفاتهم فيه انظر، فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد السابع، ترجمة عبدالله حجازي، الرياض ١٤١٠هـ، ص ١٢٤ ـ ١٣٤.

(١٠٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨١؛ القفطي، أخبار العلماء، ص ١٧٥.

(١٠٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(١٠٧) القفطي، أخبار العلماء، ص ١٧٥.

(١٠٨) البيروني، تحقيق ما للهند، ص ٢١١.

الخاتمة

تمخض هذا البحث عن عدة نتائج هامة فيما يخص العلاقات بين الدولة العباسية والهند ومنها:

خلال الفترة التى سبقت الوجود العباسى فى الهند قام المسلمون بالعديد من الحملات الحربية لفتح الهند خلال العصرين الراشدى والأموى، واستطاع الأمويون أن يؤسسوا ولاية لهم فى شمال الهند، أو ماعرف جغرافياً باسم السند. لكن الأمويون لم يتوسعوا فى تجربتهم الحربية فى أعماق الهند نظراً لقسوة الظروف الطبيعية والجغرافية التى صادفتهم، وانتقلوا للتوسع فى جغرافيا الشمال الذى عد أحد العوالم الجغرافية الكبرى التى تكونت منها الدولة الأموية، لذلك بقيت أعماق جغرافية هائلة فى الهند بعيدة عن امتدادات التوسع الإسلامى.

وعشية تدشين الوجود العباسى فى الهند كان الأمويون قد تركوا تلك الولاية جنيناً فى رحم التاريخ لم يكتمل، فلم يورثوها تخوماً آمنة مع ممالك الجوار كما لم يخلفوا بها مؤسسات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية قادرة على حفظ هذا الكيان لفترات طويلة.

ومن خلال دراسة العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والهند وضح لنا أن العباسيين لم يدركوا خلال تجربتهم فى الهند، أن الحسابات الإستراتيجية لتوازن القوى لا بد أن تأخذ باعتبارها كل مدخلات القوة والضعف، فقد كان من الجلى أن

العرب عندما غادروا مواطنهم واستقروا فى الهند قد جلبوا معهم إرثهم القبلى من الخلافات المتجذرة فى نفوسهم. وخلال سنى تواجدهم فى الهند تفجرت تلك الخلافات من جديد. وأدى التدخل العباسى إلى تأجج نار تلك الخلافات، فعوض التقريب بين الأطراف، أدت خطة السلطة العباسية لتعميق انقسامات القبائل وتفاقم خلافاتها.

وفى أجواء استعصاء كهذه، أصبح منطقياً أن يتصاعد العنف بوتائر مخيفة، وأدى إلى مزيد من التأزم والتوحل فى الأزمة التى اكتسبت أكثر فأكثر طابع أزمة مستفحلة لا حل لها. وفى مواجهة سياسة كهذه، ومع استمرار التمرد طورت السلطات العباسية حل تنجزه القوة، ولجأت أحياناً للحلول التصفوية العنيفة.

وقد تباينت الأوضاع السياسية فى الولاية خلال العصر العباسى، فخلال القرن الأول منه خضعت الولاية للسلطة العباسية المباشرة، واقتصرت الأوليجاركية الحاكمة على الولاة المناط بهم إدارة الولاية من قبل تلك السلطة وفقاً لسياستها القائمة على تأمين الأمن الداخلى للولاية، والحفاظ عليها فى فلك العباسيين. لكن الأوضاع تبدلت خلال العصر العباسى الثانى الذى شهد انحسار الهيمنة العباسية عن العديد من الولايات، ومع انقطاع حبل السيطرة العباسية وبداية التجاذب حول الولاية، ارتسمت علامات أولى للانفكاك فيها. إذ أن الدولة العباسية سرعان ما ترهلت تحت غبار قرن من المتاعب، وأصابتها شيخوخة غير مبكرة، ورغم أنها حاولت أن تحقن جسدها بمنشطات آنية تبعد عنها التلف السريع، إلا أنها بدا من الواضح أنها دخلت فى عداد الإمبراطوريات الهرمة، بعد أن أرخت التحولات الجذرية التى عصفت ببنية الدولة بأثقالها على طبيعة دورها السياسى، وتركت فى جسدها أثراً لا يندمل.

وما بين سندان الاهتراء الداخلى وسيطرة العناصر الوافدة، ومطرقة التفسخ المتتابع لأطراف الدولة، كان الخيار الوحيد الذى بات متاحاً هو الاكتفاء بصيغة توفيقية مع الكيانات الإسلامية الجديدة التى خرجت من العباءة العباسية، رضى العباسيون فيها بالسلطة الروحية وعضوا عليها بالنواجذ، فى محاولة يائسة لاستعادة ما تيسر لهم من تواجد على الساحة الدولية.

وبرغم كل عوامل الضعف التى انتابت العباسيين، ومع هذه العوامل والمعطيات، إلا أنها لم تنفى بروز هيكلية سياسية فى أعقاب انتهاء السيطرة العباسية المباشرة، ستترك بصماتها على الأوضاع العامة للبلاد خلال المرحلة التالية. تلك الهيكلية التى أعادت الخطوط الكبرى للعلاقات بين الطرفين. إذ أن القبائل العربية القاطنة بالولاية والطامحة للاستقلال لم تضع تلك السانحة التاريخية النادرة، واهتبل عمر بن عبد العزيز الهبارى زعيم القيسية اضطراب الأمور فى الولاية خلال عهد المتوكل، وقام بالاستقلال بالولاية مؤسساً الإمارة الهبارية فى السند. وبعد حين من الدهر تبعه قيام الإمارة السامية، بجانب ثلاث إمارات قزمية أخرى فى مكران.

وبرغم دلوك شمس السيطرة العباسية عن الولاية، إلا أن تلك الإمارات حافظت على علاقاتها الطيبة بالعباسيين، وحرصت على الاعتراف بنفوذهم الروحى على تلك الإمارات، وكان ذلك نوعاً من استكمال الصبغة الشرعية لتلك الإمارات، ولم يكن هناك مفر أمام العباسيين سوى القبول بهذا الوضع الجديد بعد أن أتى عليهم حين من الدهر لم يعد فيه الخليفة العباسى شيئاً مذكوراً.

وعبر مخطط بعيد المدى نجح الفاطميون فى مد نفوذهم إلى الهند، واهتزت أسماع خلفائهم طرباً بالدعاء لهم فى خطب جوامع الإمارة السامية التى أضحت جزيرة من جزر الفاطميين، وباتت السيطرة الشيعية على السند وشيكة باعتراف الهباريين بالنفوذ البويهى، لكن ظهور الغزنويين كقوة سنية فى الأفق أعاد رسم خارطة الأوضاع السياسية للمسلمين فى السند.

ولم تتخذ العلاقات بين الدولة العباسية والممالك الهندية الطابع الإيديولوجى التقليدى، باعتبار أن العباسيين احتلوا جزءاً من كيانهم القومى، وأن الشكل العدائى كان هو المفترض فى تلك الحالة. لكن الحسابات الاستراتيجية تأخذ باعتبارها كل مدخلات القوة والضعف، ومع تفسخ الكيان الهندى للعديد من الكيانات المتناحرة، كان من الصعب أن توجد جبهة موحدة يمكنها أن تطرد

العباسيين ، أو أن تتخذ موقفاً عدائياً تجاه دولتهم . ويمكننا إدخال عوامل إضافية فى المعادلة وهى المصالح التجارية التى حرص الطرفان على رعايتها ، والتى أدلجت الرؤية الهندية تجاه العباسيين .

ومن خلال دراسة العلاقات الاقتصادية بين الدولة العباسية والهند أظهرت الدراسة أن تلك العلاقات ترجع لفترات قديمة تضرب بجذورها فى عمق التاريخ الاقتصادى للعرب . كما أبانت تعدد الطرق التجارية التى ربطت بين الجانبين ، وأوضحت أن ذلك كان أمراً طبيعياً لأن العباسيين منذ أن ارتضوا لهم مكاناً شرقياً فى العراق ، اتجهت سياستهم بدرجة كبيرة نحو السيطرة على المجال الحيوى لهم وما يتاخمه فى نطاق المحيط الهندى ، وكذلك للغنى الاقتصادى للعالم الهندى .

كما أكدت الدراسة على حيوية الدور الذى لعبته كل من السلطات العباسية والهندية فى تشجيع التجارة بين الجانبين على المستويين الرسمى والشعبى ، بجانب التعاون مع القوافل التجارية من أجل القضاء على المعوقات التى اعترضت المجرى التجارى بين الطرفين .

ومن خلال دائرة العلاقات التجارية بين الطرفين ، أظهرت الدراسة أن عمليات النقل التجارى لم تكن حكراً على فئة بعينها ، فقد كان هناك العديد من الوسطاء التجاريين الذين أنيط بهم تفعيل هذا النشاط ، حيث اتسعت دائرة هؤلاء لتشمل أجناس شتى بجانب طرفى المعادلة التجارية من العرب والهنود . كما أكدت الدراسة على أن العرب لم يكتفوا بتجارة المرور فقط ، بل جنحوا للاستقرار فى بعض المراكز التجارية فى الهند . بجانب ذلك أبرزت الدراسة أن ميزان التبادل التجارى بين الدولة العباسية والهند كان يميل نحو الأخيرة بشكل واضح نظراً لتنوع منتجاتها ، وللطابع الاستهلاكى للطرف الثانى .

ومن خلال دراسة العلاقات الاجتماعية بين الدولة العباسية والهند ، أثبتت الدراسة أن الانسياح العربى فى أرجاء شبه القارة الهندية يرجع لحقب قديمة وأنه أثمر عن تبلور بعض المراكز الرئيسية التى حوت تجمعات كبرى للعرب هناك ؛

وأمكننا تحديد اربع مراكز كبرى فى هذا الصدد وهى: ساحل مليبار، ساحل كجرات جزيرة سيلان، السند.

وقد أظهرت الدراسة أن العوامل السياسية والاقتصادية والدينية تضافرت معاً لتحرك أمواج الهجرات العربية صوب الهند. كما أكدت على أن العرب عاشوا كأقليات محترمة فى مليبار، وكجرات، وسيلان، وحظوا بترحيب رسمى من قبل السلطات الحاكمة، وكذلك ترحيب شعبى ظهر فى الاختلاط معهم وعدم التعرض لهم أو مؤسساتهم الدينية والاجتماعية بالسوء. كما أبرزت الدراسة أن خلافاتهم لم تطف على سطح البيئة الهندية، ربما بحكم كونهم أقليات هناك، أو لغلبة المصالح الاقتصادية على الخلافات القبلية المزمنة.

أما عن التواجد العربى فى السند، فقد أبانت الدراسة أنه ارتبط بالوجود السياسى لهم هناك أكثر من ارتباطه بالوجود الاقتصادى، حيث كانت السند فقيرة نسبياً مقارنة ببقية أجزاء الهند. وأن العرب فى استقرارهم فى السند حملوا معهم مفاهيم ومثل غرسوها فى بيئتهم الجديدة، ولم تفلح تلك البيئة فى معالجة الخلافات القديمة فطفت من جديد على سطح بيئتهم الجديدة. كما أبرزت الدراسة تداخل العاملين السياسى والدينى فى الهجرات التى قام بها دعاة الشيعة الإسماعيلية إلى السند، واستقرارهم شمالها من أجل التمهيد لدعوتهم ونجاحهم فى ذلك، على الصعيد السياسى على الأقل.

أما بشأن الهجرات الهندية للدولة العباسية فقد أثبتت الدراسة أنها ترجع أيضاً لفترات قديمة. كما أظهرت أن بعض هذه العناصر كان لها باع طويل فى التمرد والشغب، ربما لأنها لم تتمكن من تغيير نمط حياتها ليوائم الواقع الجديد، أو ربما لأن السلطة العباسية لم تحاول ذلك، لذلك ظلت طباعهم تغلب عليهم فى موطنهم الجديد. ولذلك نجد أن الموقف الرسمى والشعبى من تلك العناصر لم يكن مشابهاً للموقف من العرب فى الهند، فالسلطة العباسية لم تستطع أن تقف ساكنة أمام عبثهم، وقابلته بالقوة العسكرية. كما أن الأهالى لم يرحبوا بهم أيضاً نظراً

لاشتغالهم بقطع الطريق، وتهديد القوافل التجارية مما أضر باقتصاديات المنطقة، وبالتالى حياة الناس فى المناطق التى استوطنوها. كما أوضحت الدراسة من ناحية أخرى أن صورة الهنود فى الجانب العباسى لم تكن قائمة على طول الخط، فقد لعبت بعض هذه العناصر دوراً إيجابياً مميزاً فى حياة الدولة العباسية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ومن خلال تناول العلاقات الثقافية بين الدولة العباسية والهند أكدت الدراسة على أن التراث الهندى بروافده العديدة قد ترك بصماته الواضحة على التراث العربى فى مجالات عدة، وفى مقابل رسالة الإسلام السامية التى حملها العرب للهند، قدمت الهند للعرب خلاصة تجاربها الإنسانية فى المجال الفكرى، لتكمل بذلك منظومة العلاقات المتميزة بين الجانبين، ويحسب للمسلمين أنهم فى طور التأثر بالحضارات الأخرى كاليونانية والهندية، لم يكتفوا بالنقل فقط، بل طوروا ما نقلوه، ليقدموا للعالم بعد ذلك خلاصة تجارب الحضارة الإسلامية.

ومن خلال تناول انتشار الإسلام فى الهند، أوضحت الدراسة أن حالات الاعتناق الملكى للإسلام التى وصلتنا عن حكام الهند كانت فردية، لم يصاحبها اعتناق الأسر الملكية أو الرعايا للإسلام، وفقاً للقاعدة الشهيرة " الناس على دين ملوكهم ". وأبرزت أن تلك الحالات لم ترتبط بالضرورة بضعف هؤلاء الملوك بقدر ما ارتبطت بمدى انتشار وقوة البوذية، وتغلغلها فى أعماق المجتمع الهندى.

كما أثبتت الدراسة أن انتشار الإسلام فى الساحل الهندى الغربى كان أكثر قوة من بقية أجزاء الهند، باستثناء السند بالطبع. وأرجعت ذلك لعاملين هامين ؛ الأول عن طريق التجار المسلمين الذين لم ينشروا الإسلام فقط فى المناطق التى ارتادوها فى الهند، بل كان لثقلهم التجارى أثره الكبير أيضاً فى انتشار الإسلام، وتمتع المسلمين بوضع ممتاز فى تلك المناطق. أما العامل الثانى فيرجع للهجرات العربية التى استقرت فى نواحى الهند، حيث اختلطت بالسكان هناك، وأقامت المساجد وغيرها من المؤسسات الدينية التى ساهمت فى نشر الإسلام.

كما أبرزت الدراسة الدور الذى لعبه التجار فى نشر الإسلام فى الهند، فمن خلال توغلهم فى أنحاء الهند للعمل بالتجارة، حرصوا على نشر تعاليم الإسلام وبذلك كانوا خير مثال للتاجر المسلم الداعى، الذى كان أبرز مظاهر الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى.

كما أكدت الدراسة على أن المعيار الدينى لا يقف وحده فاعلاً فى دراسة انتشار الإسلام فى الهند، إذ كان للعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية دورها المؤثر فى هذا المجال. وظهر دور التجار المسلمين بقوة ليس فى انتشار الإسلام فحسب، بل فى المكانة المتميزة التى حظى بها المسلمون فى الهند.

وقد أثبتت الدراسة أن العرب قد تأثروا بالتراث الهندى فى كثير من العلوم المختلفة كالرياضيات والفلك والطب، بجانب تأثرهم بالفلسفة والآداب الهندية، وأن العرب نقلوا الكثير من هذا التراث للحضارة الإسلامية بعد أن أضافوا إليه طابعهم الخاص. كما أكدت الدراسة أيضاً على أثر الهجرات الهندية والهنود الذين استقروا فى البلاد العربية منذ عهود مبكرة فى تلك العلاقات، فقد ظهر فى التربة العربية العديد من العلماء والفقهاء والأدباء الهنود الذين أثروا الحياة الفكرية فى الدولة العباسية.

بجانب ذلك أظهرت الدراسة قيمة الدور الفارسى كوسيط بين الحضارتين الهندية والإسلامية، فقد نقل الفرس عن الهنود الكثير بحكم التقارب الجغرافى والتاريخى، ثم نقلوا ذلك بدورهم للعرب بعد دخولهم الإسلام، سواء فى مجال ترجمة كتب العلوم أو كتب التراث الأدبى الهندى، وأضافوا بذلك مزيجاً خاصاً من التراث الهندى الفارسى للحضارة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

* ابن الأثير، النهاية فى غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الحمزاوى، محمود الطناحى، القاهرة ١٩٦٣ .

--------، الكامل فى التاريخ، عدة أجزاء، بيروت ١٩٨٦ .

* أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج١ ، بيروت ١٩٣٣ .

* أحمد بخشى هروى، طبقات أكبرى، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلى، القاهرة ١٩٩٥

* أحمد تونى عبد اللطيف، الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك، أبحاث المؤتمر الدولى (المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، الماضى والحاضر والمستقبل)، جامعة الأزهر ١٩٩٣ .

* أحمد عبد الحميد الشامى، العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى، وأثر ذلك فى بعض الجوانب الحضارية فى العصور الوسطى، المؤرخ العربى، العدد (١٢)، بغداد١٩٨٠ .

* أحمد فؤاد السيد، الإسلام والثقافة العربية فى بلاد ما وراء النهر، القاهرة ١٩٩٦ .

* أحمد مختار العبادى، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام، بيروت، ١٩٧٢ .

* الإدريسى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، القاهرة ١٩٩٦ .

* الأزدى، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق على عمر، القاهرة، ٢٠٠١ .

* أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، تحقيق حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى، القاهرة ١٩٤٧ .

* إسماعيل العربى، الإسلام والتيارات الحضارية فى شبه القارة الهندية، القاهرة ١٩٨٥ .

* أشتور، التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادى عبلة، مراجعة أحمد عنان سبانو، دمشق ١٩٨٥ .

* الاصطخرى، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة ١٩٦١ .

* الأصفهانى، مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٤٩ .

---------، الأغانى، عدة أجزاء، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٠ .

* الأصفهانى، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، بيروت (د. ت).

* إصلاح عبد الحميد ريحان، علاقة كابل بدولة الخلافة من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الطاهرية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس ١٩٩١ .

* ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت ١٩٦٥ .

* الأندلسى، طبقات الأمم، تحقيق لويس شيخو، بيروت ١٩١٢ .

* أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، العدد ١٣، الكويت ١٩٧٩ .

* أيمن فؤاد السيد، العرب وطريق الهند حتى أواسط القرن السادس، المؤرخ المصرى، العدد ٨، القاهرة ١٩٩٢ .

-----------، الدولة الفاطمية فى مصر، القاهرة ١٩٩٢ .

* اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة عادل زيتون، دمشق ١٩٨٨ .

* باريزى، يعقوب بن الليث الصفار، ترجمة محمد فتحى الريس، القاهرة (ب.ت).

* بدر عبد الرحمن، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة، القاهرة ١٩٨٩.

* بروكلمان، تاريخ الأدب العربى، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٥٩.

* بزرك بن شهريار، عجائب الهند بره وبحره، ليدن ١٨٨٦.

* البغدادى، الفرق بين الفرق، بيروت ١٩٨٧.

* البكرى، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عدة أجزاء، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٥١.

* البلاذرى، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت ١٩٧٨.

* البيرونى، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة، تحقيق ساخو، فرانكفورت ١٩٩٣.

--------، الجماهر فى معرفة الجواهر، حيدر أباد ١٣٥٥هـ.

* البيهقى، تاريخ البيهقى، ترجمة يحيى الخشاب، صادق نشأت، القاهرة ١٩٦٠.

------، المحاسن والمساوئ، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة ١٩٦١.

* تاراشند، الثقافة الهندية ووصول المسلمين إلى الهند، ثقافة الهند، مارس ١٩٥٠.

* تجامنسا ميتا، تجارة المسلمين البحرية وظهور الإسلام فى إندونيسيا، ثقافة الهند، يوليو ١٩٦٢.

* الترمذى، صحيح الترمذى، القاهرة ١٩٣١.

* التنوخى، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، دمشق ١٩٣٠.

------، الفرج بعد الشدة، القاهرة ١٩٥٥.

* التوم الطالب محمد، فتح إقليم السند وانتشار الثقافة العربية الإسلامية، المؤرخ المصرى ١٩٨٩ .

* الثعالبى، يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محى الدين، القاهرة ١٩٥٦ .

------، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الابيارى، حسن كامل الصيرفى، القاهرة ١٩٦٠ .

--------، ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة ١٩٩٥

* الجاحظ، البيان والتبيين، جزءان، تحقيق. عبد السلام هارون، بغداد ١٩٦٠ .

------، التبصر بالتجارة، القاهرة ١٩٣٥ .

------، رسائل الجاحظ، ج١، رسالة فخر السودان على البيضان، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٤ .

* الجهشيارى، الوزراء والكتاب، تحقيق إبراهيم الابيارى، مصطفى السقا، القاهرة١٩٣٨ .

* ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، عدة أجزاء، الدكن ١٣٥٨هـ.

---------، صفة الصفوة، حيدر آباد ١٣٥٦ هـ.

--------، تلبيس إبليس، تحقيق محمد الصباح، بيروت ١٩٨٩ .

* حتى (ف)، تاريخ العرب، القاهرة ١٩٦٥ .

* ابن حزم الأندلسى، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٣ .

* حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية فى أسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى، القاهرة ١٩٦٨ .

* حسين فوزى، حديث السندباد القديم، القاهرة ٢٠٠١ .

* حسين المسيرى، تجارة العراق فى العصر العباسى، الكويت، ١٩٨٢ .

* ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، القاهرة (ب. ت).
* ابن حماد، أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامى نقرة، عبد الحليم عويس القاهرة ١٤٠١ هـ.
* حورانى (جورج)، العرب والملاحة فى المحيط الهندى فى العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، القاهرة ١٩٥٨ .
* ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن ١٩٣٨ .
* ابن خرداذبة، المسالك والممالك، نشر دى غويه، ليدن ١٨٨٩ .
* الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، بيروت (ب. ت).
* ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، عدة جزاء، بيروت ١٩٧٧ .
* ابن خياط، تاريخ ابن خياط، تحقيق سهيل زكار، ج١، دمشق ١٩٦٧ .
-------، تاريخ ابن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمرى، ج٢، النجف ١٩٦٧ .
* خير الله سعيد، عمل الدعاة الإسلاميين فى العصر العباسى، دمشق ١٩٩٣ .
* ابن دحية الكلبى، النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس، تحقيق عباس العزاوى، القاهرة ١٩٤٦ .
* ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق محمد السورتى، سالم كرنكو، حيدر آباد ١٣٥٢ هـ
* الدينورى، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٠ .
* ديورانت (و)، قصة الحضارة، الهند وجيرانها، ترجمة زكى نجيب محمود، القاهرة ١٩٥٠ .
* الذهبى، العبر فى خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٠ .
-----، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، تحقيق على محمد البجاوى، القاهرة ١٩٦٣
* ابن رسته، الأعلاق النفيسة، نشر دى غوية، ليدن ١٨٩١ .

* رأفت عبد الحميد، الصراع الدولى حول شبه الجزيرة فى القرن السادس الميلادى، الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة ٢٠٠٠ .
* زامباور(ادوارد)، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة زكى حسن، حسن أحمد محمود، القاهرة ١٩٥١ .
* ابن الزبير، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، مراجعة صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٧٩ .
* الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمد شاكر، القاهرة ١٩٣٨ .
* الزهرى، الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة (ب. ت) .
* الساداتى، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم، القاهرة ١٩٥٧ .
* سامى خلف حمارنه، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، ج١، عمان ١٩٨٦ .
* سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، نشر جان سوفاجيه، باريس ١٩٤٨ .
* سليمان العسكرى، التجارية والملاحة فى الخليج العربى فى العصر العباسى، القاهرة ١٩٦٢ .
* سليمان الندوى، العلاقات التجارية بين العرب والهند، ثقافة الهند، يونيو ١٩٥٠ .
----------، أسطول كجرات، ثقافة الهند، يناير ١٩٦٩ .
* سهير القلماوى، ألف ليلة وليلة، القاهرة ١٩٩٧ .
* السيد مخمد يوسف الهندى، بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب، كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٠ .
----------------، علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجرى، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، مايو ١٩٥٣ .
----------------، البضائع الهندية وأسمائها المعربة، ثقافة الهند، ديسمبر ١٩٥٥ .

* سيد رضوان على، تعريف مدن الهند وتحديدها الواردة فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى مجلة العصور، المجلد الثانى، الرياض، ١٩٨٧.

* سيدة إسماعيل الكاشف، علاقة الصين بديار الإسلام، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، العدد١، القاهرة ١٩٧٦.

* السيرافى، رحلة السيرافى، بغداد ١٩٥٦.

* شاسترى، صلات الهند ببلاد الغرب فى العصور الوسطى، ديوجين مصباح الفكر، القاهرة ١٩٦٦.

* شوقى عبد القوى، تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية (٤١ـ٩٠٤ هـ/ ٦٦١ ـ ١٤٩٨ م)، عالم المعرفة، العدد ١٥١، الكويت ١٩٩٠ ص ٦٧.

* الشيرازى، طبقات الفقهاء، بغداد ١٣٥٦ هـ.

* أبو الصلاح، كيرلة القديمة والعرب، ثقافة الهند، يناير ١٩٦٢.

* صلاح الحيدرى، يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الدولة الصفارية، آداب الرافدين، العدد (٧)، بغداد ١٩٧٢.

* طارق منصور، الروس والمجتمع الدولى (٩٤٥ ـ ١٠٥٤م)، القاهرة ٢٠٠١.

* الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، عدة أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة ١٩٧٧.

* الطبرى (ابن ربن)، فردوس الحكمة، تحقيق محمد الصديقى، برلين ١٩٢٨.

* ابن الطقطقى، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق على الجارم، محمد على إبراهيم القاهرة ١٩٢٣.

* ابن طيفور، كتاب بغداد، تحقيق محمد زاهد الكوثرى، بغداد ١٩٤٩.

* ابن عبد البر، جامع بيان العلم، بيروت (ب. ت).

* ابن عبد ربه، العقد الفريد، عدة أجزاء، تحقيق أحمد أمين، إبراهيم الابيارى، عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٤٦.

* عبد الشافى محمد، الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر .أبحاث المؤتمر الدولى (المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، الماضى والحاضر والمستقبل)، جامعة الأزهر ١٩٩٣ .
* عبد العزيز السالم، أضواء على العلاقات بين الإمارة الصفارية والدولة العباسية فى القرن الثالث الهجرى، المؤرخ العربى، العدد ٤، القاهرة ١٩٩٦ .
* عبد العزيز سالم، سياسة الدولة العباسية فى عصرها الأول مع الأمويين فى الأندلس المؤرخ العربى، العدد ٢، بغداد ١٩٧٥ .
* عبد الله مبشر الطرازى، أسماء الولاة والحكام العرب فى بلاد السند والبنجاب فى صدر الإسلام والعصرين الأموى والعباسى، الفيصل، العدد ٨٤، (١٩٨٤).
* عبد الله محمد جمال الدين، التاريخ والحضارة الإسلامية فى الباكستان، القاهرة ١٩٩٠ .
* عبد المجيد أبو الفتوح، ثورة عبد الرحمن بن الأشعث، مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة، ١٩٨٢ .
* عبد المجيد الندوى، تأثير الأدب الهندى فى الآداب العربية، ثقافة الهند، يناير ١٩٧٠ .
* عبد المجيد نصير، علم الحساب العربى الإسلامى مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد التاسع، دبى ١٩٩٥ .
* عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية، جزءان، القاهرة ١٩٦٠ .
----------، أضواء على البرامكة ونكبتهم، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة ١٩٧٣ .
* عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فى الهند، القاهرة ١٩٥٩ .
* عبد النعيم حسنين، قاموس الفارسية، القاهرة ١٩٨٢ .
* العسقلانى، الإصابة فى معرفة الصحابة، القاهرة ١٩٣٩ .
* عصام الدين عبد الرؤوف، بلاد الهند فى العصر الإسلامى القاهرة ١٩٩٦ .

* عطيه القوصى، سيراف وكيش (قيس) وعدن، المجلة التاريخية المصرية، م٢٣، ١٩٧٦.

* على منصور نصر، مكانة الخليج العربى التجارية فى العصر العباسى، ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربى على مر عصور التاريخ، القاهرة ٢٠٠٠.

* ابن العماد، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القاهرة ١٩٣١.

* عماد الدين إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق محمود غالب، بيروت ١٩٧٨.

* العمرانى، الإنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائى، ليدن ١٩٧٣.

* الغزولى، مطالع البدور فى منازل السرور، القاهرة ٢٠٠٠.

* فاروق عمر، انتشار العرب فى أقاليم الخليج العربى الشرقية فى العصور الإسلامية الأولى، حوليات كلية الآداب جامعة الإمارات، ١٩٨٨.

* فتحى أبو سيف، الجذور الفكرية لحركة الشعوبية الإيرانية، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، القاهرة ١٩٨٢.

----------، حركة عبد الرحمن بن الأشعث وأثرها على ولايات المشرق الإسلامى القاهرة، ١٩٩١.

----------، المشرق الإسلامى بين التبعية والاستقلال، القاهرة ١٩٩٢.

----------، الساجيون فى المشرق الإسلامى، دورهم السياسي والعسكرى، مركز بحوث الشرق الأوسط، القاهرة ١٩٩٣.

* فخر الدين مباركشاه، تاريخ مباركشاه فى أحوال الهند، تحقيق ثريا محمد على، القاهرة ١٩٩١.

* ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، نشر دى غوية، ليدن ١٨٨٥م.

* فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربى، ترجمة عبد الله حجازى، الرياض ١٤١٠ هـ.

* قاضى اطهر المباركبورى، من النارجيل إلى النخيل، ثقافة الهند، يوليو ١٩٦٥.

-------------، الهند فى عهد العباسين، القاهرة ١٩٨٠.

-------------- ، العقد الثمين فى فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، القاهرة ١٩٨٠ .
* القاضى النعمان، رسالة إفتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضى، بيروت ١٩٧٠ .
---------- ، المجالس والمسايرات، نشر شتيرن،
In: BSOAS, 17(1955), p28 33.
* ابن قتيبة، عيون الأخبار، جزءان، القاهرة ١٩٢٥ .
------- ، المعارف، تحقيق محمد اسماعيل الصاوى، القاهرة ١٩٢٤ .
* قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، نشر دى غوية، ليدن ١٨٨٩ .
* القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٦٠ .
* القشيرى، الرسالة القشيرية فى علم التصوف، القاهرة ١٩٦٦ .
* القفطى، تاريخ الحكماء، بغداد ١٩٠٣ .
* القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، القاهرة ١٩٥٣ .
------- ، نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الابيارى، القاهرة ١٩٥٩ .
* ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، دمشق ١٩٦١ .
* ابن كثير، البداية والنهاية، عدة أجزاء، القاهرة ١٩٥٠ .
------ ، تفسير القرآن العظيم، بيروت ١٩٩٤ .
* كراتشكو فسكى (أغناطيوس)، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة١٩٦١ .
* الكرديزى، زين الأخبار، ترجمة عفاف زيدان، القاهرة ١٩٨٢ .
* كرلونلينو، علم الفلك، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى، القاهرة (ب. ت)
* كريمر (ف)، الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، ترجمة مصطفى بدر، القاهرة ١٩٤٧ .
* الكوفى، فتحنامه سند، ترجمة بلوش، دمشق ١٩٩١ .

* لسترانج (كى)، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد، بغداد١٩٥٤ .
* ليلى عبد الجواد، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية، القاهرة ١٩٩٠ .
* لوبون (ج)، حضارات الهند، ت. عادل زعيتر، القاهرة ١٩٤٨، ص ٢٩٥ .
* لومبار(م)، الإسلام ومجده الأول من القرن ٢- ٥هـ، ترجمة إسماعيل العربي، المغرب ١٩٩٠ .
* ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، القاهرة ١٩٦٠ .
* ابن ماسويه، كتاب الجواهر وصفاتها، تحقيق. عماد عبد السلام، القاهرة ١٩٧٧ .
* مجهول، كتاب أخبار الحلاج، نشر ماسنيون وكراوس، باريس ١٩٣٦ .
* مجهول، العيون والحدائق وأخبار الحقائق، بغداد ١٩٦٩ .
* مجهول، كتاب ألف ليلة وليلة، كتاب الشعب، القاهرة ١٩٦٩ .
* مجهول، قصة شكروتى فرماض، نشر فريدمان

in IOS, V (1975), pp.246-257.

* محمد أرشيد العقيلى، دور الخليج العربى فى الفتوحات الإسلامية، ندوة مكانة الخليج العربى فى التاريخ الإسلامى، جامعة الإمارات ١٩٨٨ .
** محمد التونجى، المعجم الذهبى فارسى عربى، بيروت١٩٩٢ .
* محمد جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب، القاهرة ١٩٥٠ .
* محمد عبد الهادى شعيرة، الممالك الحليفة أو ممالك ما وراء النهر، مجلة كلية الآداب - جامعة فاروق، القاهرة ١٩٤٨ .
* محمد نصر عبد الرحمن، كرمان منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية الدولة الطاهرية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس١٩٩٩ .
* محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامى، جزءان، القاهرة ١٩٨٨ .
----------، الأغالبة، سياستهم الخارجية، القاهرة ٢٠٠٠ .

-----------، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة (ب. ت).
* محمود شيت خطاب، محمد بن القاسم الثقفى فاتح السند، مجلة المجمع العلمى العراقى، المجلد ١٦، ١٩٦٨.
* محى الدين الألوائى، مابلا، ثقافة الهند، سبتمبر ١٩٥٥.
-----------، مليبار (كيرلة)، ثقافة الهند، مارس ١٩٥٦.
* المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٤٦ هـ.
* ابن المصعب الزبيرى، نسب قريش، تحقيق ليفى بروفنسال، القاهرة ١٩٥٣.
* المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، نشردى غوية، ليدن ١٩٠٦.
* المقدسى، البدء والتاريخ، القاهرة (ب. ت).
* المليبارى (زين الدين)، تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين، تحقيق حكيم شمس الله قادرى، حيدر آباد (ب. ت).
* ابن منظور، لسان العرب، القاهرة ١٨٨٩.
* ميتز (آدم)، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ترجمة محمد عبد الهادى، القاهرة ١٩٧٠.
* ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، الجزء الخاص بتاريخ الدول، الطاهرية، الصفارية، السامنية، آل بويه، ترجمة وتعليق أحمد الشاذلى، مراجعة السباعى محمد، القاهرة ١٩٨٨.
* ميكيل (ا)، جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادى عشر، ترجمة إبراهيم خورى، دمشق ١٩٩٥.
* ابن نباته المصرى، سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة ١٩٦٤.
* ابن النديم، الفهرست، القاهرة ١٩٤٨.
* النسائى، كتاب السنن الكبرى، ج٣، تحقيق عبد الغفار سليمان، سيد حسن، بيروت ١٩٩١.

* نصارى فهمى غزالى، الإمارات العربية فى الهند، مجلة كلية الآداب جامعة المنيا، ١٩٨٨ .

* النوبختى، فرق الشيعة، تحقيق عبد المنعم الحفنى، القاهرة ١٩٩٢ .

* النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، عدة أجزاء، تحقيق أحمد الزين، القاهرة ١٩٢٩ .

* نيكلسون، الصوفية فى الإسلام، ترجمة نور الدين شريبة، القاهرة ١٩٥١ .

* هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمود رضا القاهرة ١٨٨٥ .

* ابن هذيل، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق محمد عبد الغنى حسن، القاهرة ١٩٦١ .

* هونكة (ز)، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة، فاروق بيضون، كمال دسوقى الدار البيضاء ١٩٩١ .

* الهيثمى، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة ١٤٠٧ هـ.

* ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ج١ ، بيروت ١٩٩٦ .

* ولفنستون (إ)، تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، القاهرة ١٩٢٧ .

* ياقوت الحموى، معجم البلدان، عدة أجزاء، طهران ١٩٦٥ .

* اليعقوبى، كتاب البلدان، القاهرة ١٩١٨ .

------، تاريخ اليعقوبى، عدة أجزاء، بغداد ١٣٥٨هـ.

* أبو يوسف، كتاب الخراج، القاهرة ١٣٩٦ هـ.

ثانياً : المصادر والمراجع الفارسية والأردية:

* استاد خليلى، سلطنت غزنويان، طهران ١٣٣٣ ش .

* أكرم بهرامى، تاريخ إيران از ظهور إسلام تا سقوط بغداد، تهران ١٣٥٠ ش .

* باول هرن، تاريخ مختصر ايران، از أول اسلام تا انقراض زنديان، ترجمه باحواشى وتعليقات رضا زاده شفق، طهران ١٣١٤ ش.
* بكيران، جهان نامه، مخطوطة مصورة، موسكو (ب. ت).
* بناكتى، روضة أولى الألباب فى معرفة التواريخ والأنساب، تهران ١٣٤٨ ش.
* الجوزجانى، طبقات ناصرى، تصحيح وتعليق عبد الحى حبيبى، جاب دوم، كابل ١٣٤٢ ش.
* الحاج مولوى فيروز الدين، فيروز اللغات، اردو جامع، لاهور، ١٩٧٨
* حمد الله المستوفى، نزهه القلوب، بسعى واهتمام كاى لسترانج، ليدن ١٩١٣ .
* خواندمير، حبيب السير فى أخبار البشر، تهران ١٣٥٨ ش.
* ذبيح الله صفا، تاريخ علوم عقلى در تمدن إسلامى تا اواسط قرن بنجم، تهران ١٣٣١ ش.
* شيخ محمد اكرام، آب كوثر، اسلامى هند وباكستان كى مذهبى اور علمى تاريخ عهد مغليه سى بهلى، دهلى ١٩٩١ .
* عباس برويز، تاريخ ديالمة وغزنويان، تهران ١٣٣٦ ش.
* على أكبرد هخدا، لغت نامه، تهران ١٣٣٦ ش.
* فرشته، تاريخ فرشته، بومباى ١٩٠٠ .
* فيليسين شاله، تاريخ مختصر أديان بزرك، ترجمه منوجهر خدايا مرجى، تهران ١٣٥٥ ش.
* القزوينى، لب التواريخ، تهران ١٣١٤ ش.
* مجهول، مجمل التواريخ والقصص، تصحيح، بهار، تهران ١٣١٨ ش.
* مجهول، تاريخ سيستان، تصحيح بهار، طهران ١٣١٤ ش.
* ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، طهران ١٣٣٨ ش.
* ميرزا عبد العظيم خان، تاريخ برامكة، تهران ١٣١٣ .

ثالثا: المراجع الأوروبية:

Abbasi, M., " Muhammad Bin Qasim's conquest of Sind (A military appraisal) ", JCA, 2 (1979), pp.159-188.

Abbott, N., "Arabic numerals ", JARS, (1938), pp.277-280.

Abdul Ali, "Arabs as seafares", IC, 54 (1980), pp.211-222.

Abdul Hakim, "Authority and law under Hajjaj's administration", Proc.3rd.P.conf.1962, pp.73-80.

Abdul Wahab, "Un Tournat de l'histoire Aghlabite ", RT, (1937), pp.343-352. n und die Fatimiden " , Die Welt Des Orients , xii (1981) , pp.108 – 135.

Hardy, A., "Is the Chach Nama Intelligible to Historian as Political Theory? ", SQ, 9 (1980), pp.16 – 22.

Hamadani, A., The Beginning the Isma'ili Da'wa in Northern India, (Cairo, 1956).

-----------------, " The Fatimid-Abbasid Conflict in India ", IC, 41 (1967), pp.185-189.

Hassan , A . , " A Survey of the Expansion of Islam into Central Asia During the Umayyad Caliphate ", IC, 44 (1970), pp.165-175.

Hashimi, S., " The Arab Rule in Sindh ", IC, 1 (1927), pp.190-222.

Hatem, A., "Presentation d'al- Ma'rri ", OM, 34(1954), pp.122 – 136.

Hoernle, F., " Studies in Ancient Indian Medicine ", JRAS, (1906), pp.283 – 298.

Holdish, S., " Notes on Ancient and Mediaeval Makran ", GJ, VII (1896), pp.387-405.

Horovitz, S., " Baba Ratan, The Saint of Bhatinda ", JPHS, 2 (1954), pp.97 – 114.

Hudud al – 'Alam (372 A.H / 893 A D.), Eng.Tarns.V.Minorsky, (Oxford, 1937).

Humayun, G., " A note of Albiruni's India", AFGHANSTAN, 31 (1978), pp.84-89.

Ikram,S., History of Muslim Civilization in India and Pakistan, (Lahore, 1982).

Innes, Malabar and Anjengo, Madras Districy Gozetteers, (Madras, 1906).

Ishaq, M., "A Peep into the First Arab Expeditions to India under the Companions of the Prophet ", IC, 19 (1945), pp.109-114.

Ivanow, A., "The Organization of the Fatimid Propaganda", JBBRAS, 15 (1939), pp.1-35.

-------------, "Ismailis and Qarmatians ", JBBRAS, (1940), pp.74 – 76.

-------------, Ismaili Tradition Concerning the Rise of Fatimids (London, 1942).

-------------, Studies in Early Persian Ismailism , (Bombay , 1955).

Jacobi, J., " Die Radaniya ", DER ISLAM, 47 (1971), pp.252-264.

Jaffar, S., "The Arab Administration of Sind ", IC, 17 (1943), pp.119- 129.

-------------, "End of Imad- Uddin Muhammad Ibn Qasim The Arab Conqueror of Sind ", IC, 19 (1945), pp.54 -68.

Kabi, M., "Les origines Tahirides dans da'wa Abbaside", ARABICA, 1972, pp.145 – 164.

Kabir, M., " The Relation of the Buwayhids Amirs with the Abbasid Caliphs ", JPHS, 2 (1954), pp.228 – 243.

-------------, "The Relation of the Buwayhids with the Fatimids ", IN.IR, 8iv (1955), pp.28 – 33.

-------------, "The Function of the Khalifah during the Buayhid Period (946 – 1055 A.D)", JASP, 2 (1957), pp.174 – 180.

Karpinski, C., "The Hindu Numerals among the Arabs", BM, 13(1912 –13), pp.97 – 98.

Khan, H., " Debal and Mansura: the Historical Cities of the Early Islamic Period ", PJHC, 2 (1981), pp.103-122.

Khan, M., " Albiruni and the Political History of India", ORIENS, 25-26 (1976), pp.86-115.

Kieffer, C., "Les Ghorides une grande dynastie nationale", Afghanistan, 16 (1961), pp.37 – 50; 17 (1962), pp.40 – 56.

Kmietiwicz, T., "The Term Ar-Radanya in the Work of ibn Hurdadhbeh ", FO, II (1970), pp.163-173.
Krenkow, F., " Pôyeh ", ZDMG, 65 (1911), pp.861 – 862.
Krishnaswami, A., " The Hindu Arabic numerals", QJMS, 18(1928), pp.256-267.
Lal, K., "The Ghaznavids in India ", BPP, 89 (1970), pp.85 – 92.
Landek, B., "External policy and Interdynastic Relations the Saffarids", RO, 36 (1974), pp.133 – 150.
Lane Poole, S., Medieval India under Mohamedan Rule (London, 1971).
Law, B., Historical Geography of Ancient India, (Paris, 1954).
Lestrange, G., " The Cities of Kirman", JARS, (1901), pp.281-290.
Levy, R., "Ismaili Doctrines in the Jami At- Tawarikh ", JRAS, (1930), pp.516-522.
Lewicki, T., "Les premiers commercants arabes en China ", RO, (1935), pp.173 – 186.
Lewis, B., "Ismailli Notes ", BSOAS, XII (1947-8), pp.597-600.
-----------,Origins Ismailism, (Cambridge 1948).
Lewis, Ch., An elementary Latin dictionary, (Oxford, 1979).
Mahajan, D., Ancient India, (New Delhi, 1970).
-------------,Muslim Rule in India, (New Delhi, 1970).
Majumdar, C., An Advanced history of India ,(London, 1950).
-------------, " The Kingdom of Kira ", IHQ, 9 (1933), pp.11-17.
Mamour, P., Polemics on the Origin of the Fatimi Caliphs, (London, 1934).
Maqbul, A., "Travels of Abu 'lHassan Ali b.Alhsain AlMasaudi", IC, 28 (1954),pp.509-524.
-------------, "AlMasaudi on the Kings of India", Almasudi Mill. Comm. Vol. (1960), pp.97-112.
-------------, " Commercial Relation of India with the Arab World ", IC, 38 (1964), pp.141-155.
-------------, " Multan (as Described by Arab Writers), JIH, (1973), pp.361-367.

Massignon, L., "La survie d'al – Hallaj.Tableau chronologique de son influence après sa mort", BEO, 11(1945), pp.131 – 143.

------------, "El- Hallaj Mystique de l'Islam", BEA, 9(1949), pp.99 – 102.

Meyerhof, M., "On the Transmission of Greek and Indian Science to the Arabs ", IC, II (1937), pp.17-27.

Mingana, A., " Arabic Numerals ", JRAS, (1937), pp.315-316.

Minorsky, V., "Les Tsiganes Luli et Lurs Persans", JA, (1931), pp.281- 305.

Mishra, J., " Albirunis Stay and Travel in India ", JIH, 44 (1966), pp.517-528.

Mirza, Y., "Influence of Indian Sciences on Muslim Culture ", IC, 36 (1962), pp.102-118.

Mizk, H., " Die wiener handschraft des Persischen Balchi – Istachri", ZDMG, 103 (1953), pp.315 – 317.

Nadvi, S., " The Origin of the Barmakids ", IC, 6 (1932), pp.19-28.

------------, "Muslim Colonies in India before the Muslim Conquest ", IC, 8 (1934), pp.477-489, 600-620; 9 (1935), pp.144-166, 423-442.

-------------, "The Early Relation between Arabia and India ", IC, 11. (1937), pp.172-181.

------------,"Early Muslim Geographers on India", IC, 11(1937), pp.488-497.

------------, "Arab Navigation ", IC, 15 (1941), pp.435-448;16 (1942), pp.72-86, 182-189, 404-422.

------------,Qannauj (an Inquiry into the Origin and Geographical "Position of the City)", IC, 17 (1943), pp.361-377.

------------, " Daibul ", JPHS, 1 (1953), pp.8-14.

------------, "Albiruni and his Kitab al-Jamaher Fi Maraft al-Jawaher: Ethical Reflection and Moral Philsofy", IS, 13 (1974), pp.253 -280.

Nafis, A., "The Arabs' Knowledge of Ceylon", IC, 19(1945), pp.223-241.

Nicholson, R., " Ibrahim b. Adham", ZA, 26(1912), pp.215 – 220.

------------, A Literary History of the Arabs, (Cambridge, 1969).

Nigam, S., " Religious Attitudes of Muslim Rulers in India (711 A.D - 1388 A.D)", IC, 56(1982), pp.97-104.

Ninar, M.,Arab Geographer's Knowledge of Southern India,(Madras, 1942).

Omar, F., " A ppoint of View on the Nature of the Iranian Revolts in the Early Abbasid Period ", IC, 48 (1974), pp.1 – 9.

------------, " Some Observations on the Reign of the Abbasid Caliph al – mahdi (158 / 775- 169 / 785), ARABICA, (1974), pp.139 – 150.

------------,Abbasiyyat, Studies in the History of the Early Abbasids , (Baghdad , 1976).

Oseni, Z., "The revolt of Black Slave in Iraq under the Abbasid Administration in 869 – 883 C.B ", HI, 12 (1989), pp.57 – 65.

Pathan, M., "Foundation of al Mansura and its Situation ", IC, 38 (1964), pp.183-194.

------------, " Present Ruins of al Mansura ", IC, 38 (1968), pp.25-33.

------------, " Multan under Arabs ", IC, 43(1969), pp.13-20.

------------, "The Ruins of Bambhor and its Identification with Al Daybul, the Arab Seaport of Sind ", IC, 43(1969), pp.183-194.

Périer, J., Vie d' Al-Hadjdaj ibn Yousf,(Paris , 1904)

Pirenne, H., Mohammed and Charlemagne, (London, 1958).

Plata, J., A dictionary of Urdu, classical Hindi and English, (Lahore,1983) .

Powel, P., A history of India, (New York, 1955).

Prakash, B., "India as Described by a Tenth Century Persian Geographer ", PRO.XXVI.CON.OR (1970), pp.578-587.

Prassad, I., History of Medieval India, (Allahabad ,1952).

Qureshi,i.,The MuslimCommunity of the Indo-Pakistan Subcontinent (The Hague, 1962), p.39.

Rabinowitz, L., "The Routs of the Radinites ", JQR, 35 (1944), pp.251-280.

Radhakrishnan, S., Indian Philosophy, vol.2, (London, 1931).

Rahman, A., " Almasudi as Geographer ", Almasudi Mill. Comm. Vol. (1960), pp.72-76.

Rai, R., " Albiruni and Indian Ears", IJHS, 10 (1975), pp.166-173.

Ramkumar, CH., "India as Described by an Unknown Early Arab Geographer of the Tenth Century", PRO. III. IH.CON (1939), pp.661-664.

Rashid, K., "The First Muslim Invasion of the North West Frontier of the Indo- Pakistan Subcontinent. (44 A.H / 664-5 A.D) ", JASP, 8ii (1963), pp.25-32.

Raverty, H., "The Mihran of Sind and its Tributaries", JASB, (1893), Special Number, Repr.Lahore (1979).

Ray,H., "Word Ba'urah in Muruj ul - Zahab of al – Ma'sudi " , IHQ , 18 (1942) pp.369 – 372.

Reinaud, M., Mémoire géographique historique et scientifique sur l'Inde (Frankfurt , 1993)

-----------,Fragments arabes et persans inédits relatifs Al'inde (Frankfurt, 1993).

Rooman, A., " Baluchistan in Our History", JPUHS,ii (1960),pp.1-5.

Ross, E., "Ibn Muqaffa and the Burzoe Legend", JRAS, (1926), pp.503 – 505.

Saddiqi, M., " India as Known to the Ancient Arabs ", IAC, 5 (1957), pp.275-281.

Saidan, A., " The Development of Hind- Arabic Arithmetic ", IC, 39 91965), pp.209-221.

Schanzlin, G., " The Abjad Notation ", MW, 24 (1934), pp.257- 261.

Schefer, Ch., " Notice sur les relation s des peuples musulmans avec les Chinois, depuis l'extension de l'Islamisme jusqu'à la fin du XV siècle ", CLOV, (1895), pp.1 – 9, reprinted in Islamic Geography, vol. 126, by: Fuat Sezgen, (Frankfurt, 1993.

Schleifer, J., " Studien Kalila wa Dimna", WZKM, 29(1915), pp.399 – 419

Schmidt, F., " Karl der Gross und Harun al Rashid ", DER ISLAM III, (1912), pp.409-411

Sharma, R., " The Ghaznavids in Punjab ", JIH, 46 (1968) , pp.125 – 146.

Simonsen, D., "Les marchands jufis appeles (Radanites) ", REJ, 105 (1907), pp.141-142.

Soloviev, A., L'organisation de l'état Russe au X siècle, L'Europe aux IX – XI siècles, (Varsovie, 1968), pp.260 – 261. repeinted also in : byzance et la formation de l'état Russe, (London, 1979.

Sourdel, D., " Une Profession de l' histoir al-Tabari", REI, 36 (1968), pp.177-199.

Spate, O., India and Pakistan, A General and Regional Geography, (London, 1954).

Spengling, M., "Kalila Studies ", AJSL, 40(1923 – 24), pp.81 – 97.

Spooner, b., " Notes on the Toponomy of Persian Makran", IR.I, (1970), pp.517-533.

Stanley, M., " An Ancient Account of India and China (Described by Tow Mohammedan Travelers of the Ninth Century) ", MW, (1922), pp.170-177.

Stein, M., " Memoir on Maps Illustrating the Ancient Geography of Kashmir", JASP, IXViii (1899), pp.1-232.

Steingass,F., Persian – English dictionary,(Beirut 1975).

Stern, S., " Ismaili Propaganda and Fatimid Rule in Sind ", IC, 23 (1949), pp.298-307.

----------, "Heterodox Ismailism at the Time of Al- Muizz ", BSOAS, XVII (1955), pp.10-33.

----------, " The Early Ismaili Missionaries in North – West Persia and Khurasan and Transoxania ", BSOAS, 23 (1960), pp.56 – 90.

---------, " Ya'qub the Coppersmith and Persian National Sentiment", Iran and Islam, in Memory of V. Minorsky, 1971, pp. 535 – 555.

----------, Studies in Early Ism'ilism, (Jerusalem and Leiden, 1983).

Strohmaier , G., " Abu l'Abas der elelfant Karls des Grossen " , MIO 17 , (1971-2) , pp.365-358.

Subhani, A., "A daring Utterance of Abu Yazid Al-Bistamy", JRCI, 5 (1972), pp.19 – 36.

Taherali, Y., "Kitab – al Majalis wa al- Musaiarat of Qadi al - Nu'man ", SUR, (1961), pp.5 – 15.
Talwalkar, V., " Gujarat in Medieval Times", PROC. 7th ALL IND. OR. CONF., (1933), pp.555-567.
Tarachand, M., Influence of Islam on India Culture, (Allahabad, 1954).
Tate, s., Seistan, Amemoir on the History, Topography, Ruins and People of the Country, (Quetta, 1977).
Tibbetts, G., Arab Navigation in the Indian Ocean before the Coming of the Portuguese, (London, 1971).
Titus, T., Islam in India and Pakistan, (Calcuta, 1959).
Traini, R., "La Corrispondenzatra al-Mansure e Mohammad "an-nafs Azzakiyyah", AION, 14 (1964), pp.773-798.
Tucker, W., "Abd Allah ibn Muawiya and the Janahiyya: Rebels and Ideologues of the Late Umayyad Period ", SI, 51 (1980), pp.39 -57.
Vajda, G., "Les zindiqs en pays islam au debut de la periode Abbaside ", RSO, xvii (1938), pp.173 – 229.
Vanderlith, P., "Discours sur l'importance d'un ouvrage du X me siècle intitule Kitab Agayib al – Hind", Ac.6th.Cong. Inter.Or. (1885), pp.1 – 19.
Yazdani, G., "The Inscription on the Tomb of Abdullah Shah changal at Dhar ", EIM, (1909 – 10), pp.1 – 5.
Yusuf, K., "Albiruni and his Indica ", IN.I, 29 (1976), pp.98-101.
Yousuf, M., "Influence of Indian Science on Muslim Culture ", IC, (1962), p.108.
Yusuf, S., "AlAhwar, Lokhot and Lahowur", IC, 21(1947), pp.52-55.
Welborn, M., "Ghubar Numerals", ISIS, 17 (1932), pp.260-263.
Whitehead, R., "Multan: the House of Gold ", N.CH, 5th ser. (1937), pp.60-72.
Worrell, M., "Jumal Notation", SM, 9 (1943), pp.272-274.
Wright, E., "Babak of Badhadh and Al – Afshin during the years A.D 816 – 841. Symbols of Iranian Persistence against Islamic Penetration in North Iran ", MW, 38 (1948), pp.43 – 59; 124 – 131.

رابعاً : الشبكة الدولية للمعلومات:

* http://www.cyberistan.org
1- Rao, B., New Fact on Islam'sArrival.
2- Zahoor, A., Shakrawati Framas, King of Malabar, India.
* http://www.fordham.cdu
1- Halsall, P., History of India.

الفهرس

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

ت : ٢٥٧٧٥٠٠٠
٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤
٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢

مكتبــات ووكـــلاء

البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب

شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة-

بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣

ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب

بيـــروت - الفــرع الجــديد - شـــارع

الصيدانى - الحمراء - رأس بيروت -

بناية سنتر ماريا

ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢

فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سـوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -

سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد -

المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦

- الجمهورية العربية السورية

تونـس

المكتبة الحديثة ـ ٤ شارع الطاهر صفر-

٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

المملكة العربية السعودية

١ - مـؤسـسـة العـبـيـكـان - الرياض

(ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمـز ١١٥٩٥ - تقـاطـع

طريق الملك فـهـد مـع طريق العـروبة -

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨ .

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات

والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية -

شـارع الســتين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جـدة :

٢١٤٨٧ - ت : المــكــتــب: ٦٥٧٠٧٢٢ -

٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبـة الرشد للنشر والتوزيع -

الرياض - المملكة العربية السعودية -

ص. ب: ١٧٥٢٢ الـريـاض: ١١٤٩٤ - ت:

٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مـؤسـسـة عـبـدالرحـمن

السـديرى الخـيـريـة - الجـوف -

المملكة العربية السعودية - دار الجوف

لـلعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجـــوف - هاتف:

٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع

ت: ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١

فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع

عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين

ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٢٦ +

تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +

ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.